سهيل مطر

# أيّها الأصدقاء

## من القلب إلى القلب

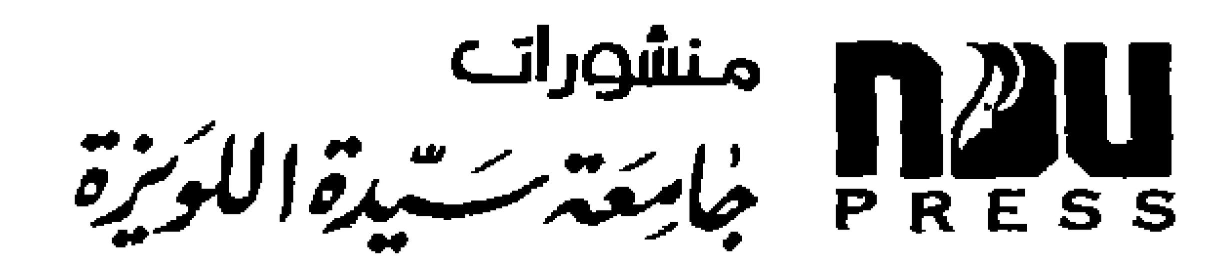
منشورات
جامعة سيّدة اللويزة

NDU PRESS

سهيـــل مطـــر

# أيّهـــا الأصدقـــاء

## من القلب إلى القلب



منشـــــورات     جامعة سيِّدة اللويزة©
ص.ب.: ٧٢ زوق مكايل – لبنان
تلفون: ٠٩/٢١٨٩٥٠/١
فاكس: ٠٩/٢١٨٧٧١
www.ndu.edu.lb
الطَّبعة الأولى     ٢٠٠٤
القـيــــاس     ١٧×٢٤ سم
تـنـفـيــــذ     مطابع معوشي وزكريّا
ISBN: 993-418-98-5

# إهـــداء

إلى زياد وإليـاس..

مع حبّي لأحلى صديقين

[illegible]

# تمهيد

لئلا تضيع

لئلا يخطفَها النسيان... والزمن

لئلا تسقط في الدخان والضباب،

جمعتُ هذه الكلمات في هذا الكتاب،

لجأتُ الى أوراقي القديمة، لم أُنقّح، لم أحذف، لم أُعِدِ النظر؛

كلماتٌ على المنابر، في وسائل الإعلام، في مناسبات واحتفالات...

استعدت ملامح الذين تحدّثت عنهم، أو الذين تحدّثت اليهم،

كلّهم «أصدقاء»؟ لست أدري،

ولكنّهم، كلّهم، يشعّون في الذاكرة:

من رحل منهم، له، في القلب، وجع وصلاة

ومن يستمرّ في الحياة والعطاء، له الحبّ والأمل.

ويا أيّها الأصدقاء

من القلب الى القلب، أتحدّث اليكم، فاعذروا صراحتي... والأخطاء.

سهيل

٢٠٠٤/٤/١٨

# أديب صعيبي

في ذكرى رحيله سنة ١٩٩١

أديب صعيبي: معلّمي

عنه أتحدّث، ومن «بضاعته» أستعير لأكتب، وأترك للآخرين أن يقولوا: هذه بضاعةُ أديب، رُدَّت إليه.

وبهيبة وخشوع، أدخل إلى حرم شخصيته، فكأنه لا يزال، ذاك المارد النموذج، ولا أزال، ذاك الطفل المراهق.

بعضهم يرحلون وينتهون، والسلام عليهم...

وبعضهم يرحلون، وفي رحيلهم حضورٌ عجائبي غريب،

فكأنهم يرحلون عنا، ولا يرحلون منا.

وأديب، كان من هؤلاء، - أو لعلّه كان بالنسبة لتلاميذه، على الأقل - ذاك الضمير الذي لا يغيب فهو، في بداية السطر، كما في النهاية، في الفعل، متصلاً أو منفصلاً، وفي الواقع، ولو استتر.

تستوقفني، في أديب صعيبي، وفي عجالة الصفحات القليلة، ثلاثُ صفات:

صفة المعلم، صفة الشاعر، صفة الانسان.

**المعلّم:**

خمس وأربعون سنة في التعليم من خمس وستين سنة على الأرض. والعشرون رفقة فقرٍ وكتاب وشموع.

خلف أباه، على منبر التعليم، وهو لا يزال فتى، لا اختصاص يتباهى به، ولا شهادات يختال بها في جوار البيت. ومضى في رحلة المعاناة: من مدرسة إلى أخرى، من قرية إلى مدينة، من منطقة إلى منطقة، زادُه خزانةُ كتب يغرف منها، وثقة أصيلة بالنفس والكرامة، ونزوع نحو العمل والعطاء والتضحية حتى الشهادة. وبين شهادة الدروس الثانوية - وقد توقّفَ عندها - وشهادة الموت سنة ١٩٨٦، بوركت يدً توزّع الشهادات... وهؤلاء أبنائي فجئني بمثلهم.

ماذا كان يبتغي أديب صعيبي من التعليم؟

مالاً؟ جاهاً؟ عرفاناً بالجميل؟

لو كان للتاريخ أن ينطق لكان له وقفة نُبل في الحديث عن أديب صعيبي المعلّم الذي عاش حياته بشرف وإباء، وودّعها بفقر وكرامة، ولم يقف على باب، ولم يستجد زعامةً وأمجاداً مزوّرة، ولم ينتظر وساماً كان الأليق به أن يتمجّد هو على صدر أديب صعيبي.

ومرّة جديدة: لماذا لم يفتش أديب صعيبي عن مهنة أخرى غير التعليم، أقل تعباً، وأكثر مردوداً، وأوفر حظاً في النجاح والتفوّق الإجتماعي؟

لأنه كان مؤمناً بأن رسالة التعليم هي الأشرف والأجدر بكرامة الانسان. لم يعتنقها بحثاً عن مال، أو تمضية لوقت أو جواز مرور لمحطة أخرى، بل آمن بها مشاركة لله، جَلَّ جلالُه؛ فالتعليم هو صناعة الانسان الجديد، وصناعته، على يد المعلم، شفافية لا يعرف حقيقتها إلاّ الرسل الكبار من معلّمي الانسانية.

(يا معلّمي، هنيئاً لك رحيلك، قبل أن ترى زملاءك المعلّمين، وبينهم فلذة لك وشقيق، يغضبون، في وطن العز، ويُدفعون إلى الإضراب، حفاظاً على بقايا كرامة، يتمسّكون بها، ولو على بقايا النفس الأخير).

ولم يكن أديب صعيبي معلّماً، لا لون له ولا طعم ولا رائحة. لا أذكره إلاّ «واثق الخطوة، يمشي ملكاً»، بقامته الشامخة، بنبرة صوته، بعينيه الحادّتين، مكثفاً الزمن زمناً، فكأنه يجعل من الساعات دقائق، ومن الدقائق ثواني، وتصيبه، برنة الجرس، ارتعاشة الدهشة فالوقت لا يكفي، ولا يستطيع أديب صعيبي، أن يُفرِغ خَمرَ ثقافته في كؤوس تلاميذه... وتحمرُّ عيناه، تراهُ كان يتحدّى الزمن؟

ولا أذكره، إلاّ وهو مسرع، في حقيبته الجلدية أوراق وكتب، وفي حقيبة الذاكرة، أشعار وأخبار، بحجم دائرة معارف، يدخل الصف، يخرج، قليل الابتسام، سخريته صعبة، لا يستدرّ اعجاب تلاميذ ولا عطف ادارة: هو الأكبر، ويثق بذلك. وشكراً له أمثولة، أتمنّى، في مرحلة التعليم، أن لا أخونها، حفاظاً على كرامة، هي الأبقى في مرحلة الجوع والفقر والإذلال.

**الشاعر:**

أنا شاعر عصّرتُ روحي خمرةً     وسكبتُها في أجمل الكاساتِ

وبريتُ ضلعي مرقماً وغمستُهُ     بدمي، وما لوّثتُهُ بدواةِ

الحبُّ قرباني وقدّاسي الهوى     والشعر انجيلي وفيه صلاتي.

هكذا اختصر أديب صعيبي نفسه، وأعلن هويته: فهو شاعر، ولكنَّ الشعر، عنده، ليسَ وقفةَ منبر، أو نشر ديوان، أو نظم قصيدة في مهرجان؛ ولا الشعرُ عنده، دعاوة أو إعلان. إنه فقط هويةُ نفس وصرخةُ إيمان ونزفَ روحي صادق.

وفي شعره تفوّق كلاسيكي، مع تجديد لا يخلّ بالاصول ولا يتمرّد على التقاليد والتراث، فالشعر انجيله ولا استرخاص، والكلمة قولة مقدّسة فلا كذب أو خداع.

كان فناناً في نظمه ولم يكن صانعاً. الشعر لديه مهرجان من اللَعب الفنيّة التي يتقنها حتى المهارة، دون أن تتحوّل لديه إلى مفرقعات نارية، حلوة، للحظات، ثم تغيب.

بعض صلابة جسده وشموخ نفسه، في بناء القصيدة، وبعض الصعوبة في صعيبيّته الشعرية، فكأنه يأبى السهولة «والاستلشاق»، حتى في شكل القصيدة أو محتواها.

موضوعاته: وطن وأخلاق وحب وإنسان.

والوطن إلفة وسلام ومجد:

| | |
|---|---|
| لبنان ماضيه أمجادٌ مسلسلة | بأحرف من ضياء خطّها القلم |
| لكنَّ حاضرَه ويحاً لحاضره | يلفّه البؤس والحرمان والألم |
| فالبيت محترق والشمل مفترق | والبُطْلُ منتصر والحقُّ منهزم. |

وفي وقفة وجع، بعد أيام من ١٣ نيسان ١٩٧٥، وقف أديب، كما الجرح، وكأنّه يودّع أو يوصي:

| | |
|---|---|
| أبناءَ لبنانَ الأشمّ | خطى الجدود ترسّموا |
| وتعلَّموا منهم دروسَ | المكرمات وعلّموا |
| لبنان في دنيا العروبة | واحةٌ تُتوسَّمُ |
| لا تهدموه فتأسَفُوا | لا تقتلوه فتندموا. |

(ولكننا قتلناه، ومن خلاله كنا نقتل أديب صعيبي، ونوجّه الطعنة إلى صدورنا، دون أن ندري...).

والشعر أخلاق: كرم ووفاء وشجاعة وصدق وجرأة في الرأي وصبرٌ على ظلم الأيام:

أبناءَ قومي اذا حلت بكُمْ غِيَرُ بالوعي والجد تُقصى عنكم الغيَرُ
سيُزهَقُ البطلُ اياً كان عاضده وصاحبُ الحق ايّاً كان ينتصرُ
ولا تظنوا المآسي زفّها قدرٌ ارادةُ الشعب في الجُلّى هي القَدَرُ

إنه فلسفة حياة خبرها أديب صعيبي، في مرّها وحلوها، وعرفها، ساعة له وساعةً عليه، وفجّرَها أقوالاً، بمثابة وصيّة:

لا الجاه أغراه ولا المجدُ لا الكأس الهتهُ ولا النردُ
لا المال أغواه فكدّسه لا هند أحببته ولا دعدُ
والكأسُ ليست متعةٌ فهي السمُّ الزعافُ طلاؤها الشهدُ.

والشعرُ حبٌّ: والحب حكاية عمر لدى أديب صعيبي، عَرفَ مقدّمتها، في بجّه، وعاشها مراهقاً وشاباً، وتنفسها زوجاً وأباً، إلاّ أن حبّه لم يكن تعريةً وبوحاً واسترسالاً في الشكوى والعتاب والنواح. حبّه لحبيبته ولنفسه، أمّا للآخرين فَلُمَحٌ وطرائف:

أهوى الربيع واعشق الوردا لكن أرى اهداءه أجدى
فتقبّليهِ يا شقيقته ان الورود لأختها تُهدى

وتفيض رومنطقية دامعة على بعض شعره، فيذكر «ميّ» - ولكلٍ ميٌّ من سراب لذيذ -:

عندما يغمض الردى مقلتيّا ويدبُّ الذبولُ في وجنتيّا
وأُعرّى من الحياة وأُلقى في ضريحي والتربُ يهوي عليّاً
لا تنوحوا، بل اذكروا لي «ميّا» ذكر ميٌ يعيدُ روحي اليّاً

ويبقى شعر أديب صورةً لإنسانيته:

يتغنّى بأمّه:

مـحـيّـا الام خـاشـعـة تصـلّـي وتضـرعُ عـنـد أقـدامِ الـسـريـر
مـتـمـتـمـةً يـجـلّـلـهـا خشـوع وايمانٌ: إلهي، صُنْ صغيري.

**يتغزّل بالأرض والشجرة:**

سـنـبعث الـمـجـد أن نـغـرس أراضـيـنـا
لا يـرتـجـى الـخـيـر إلاّ مـن أراضـيـنـا

فـهـي الـتـي إن نشـرنـا الـقـوت تشبعنا
وهـي الـتـي إن نشـرنـا الـمـاء ترويـنـا

**يحلم بيسوع ويفيض ايماناً ليلة الميلاد:**

يـا إلـهـا مـحـطـمـاً كـلّ سـيـف والـغ فـي دمـائـنـا الـمـوّاره
كـلـمـا اطـبـق الـظـلامُ عـلـيـنـا مـزّقـتـه أنـوارُ تـلـك الـمـغـاره.

إلاّ أن أديب صعيبي ترك قصائد مخطوطة، ولم يترك ديواناً مطبوعاً ويبقى سؤال: هل تبقى هذه القصائد مطمورة ومجهولة، أم تتولاها دار نشر وأصدقاء وطلاّب وزملاء، وتنتفض ترابات شكر وفرح في «كرمة الحوّاط في بجّه؟ هل نرى نفثات الصبا (غزل) ودموع الوفاء (رثاء) ومواسم (وطنيات ومناسبات) تزهو يوماً في المكتبات، زهوة من يفي أديب صعيبي بعضاً من عطاءاته.

## الإنسان:

في حديثي عن أديب صعيبي - الانسان، أشعر ببعض الحرج وببعض التعدّي: فأنا لم أعرف شخصية هذا الأسمر القروي خارج الصف، ولم أعاينه في حياته العائلية أو السياسية أو الإجتماعية.

إلاّ انني، وهنا التحدّي، أحاول، ومن وراء حجاب الجسد، ومن خلال شفافية سمر ورباب ورُبى وهزار، وهنَّ بعضُ ابيهن، احاول أن أنتزع انسانية أديب،

من جسده ومن التراب، لتكون لي الصورة الحقيقية لرجل له عليَّ بعض ما هو لأبي:

رجل الحق، فلا يهاون ولا يسامح، ولا يختبئ وراء اصبع أو حجاب.

رجل الشجاعة، مهما كانت ظالمة ومُتعبة، وأي شجاعة أكبر من أن يواجه الانسان الموت، بإيمان وصمت واستعلاء؟

رجل البذل، لا يكل ولا يتعب، لا يهدأ ولا يستريح، همّه أن يعطي وأن يختصر الزمن؛ حول عينيه سواد المتعب الساهر، إلاّ أن العمر قصير ولا مجال لإضاعته في النوم.

رجل الصلابة والعناد، فلا انصاف حلول ولا استسهال مواقف، يغضب، يصرخ، تخاله يقاتل ويضرب، ولكنه لا ينحني...

رجل الصبر والجهاد، فلا تذمّر أو استلشاق، يعد ويفي، يتحمّل المسؤولية ويؤدي الدور، يصعب عليه أن يكون فاشلاً، أو أن يخرِّج فاشلين...

رجل الكبرياء، صوته يجلجل بالحق، وأعصابه ثورة تمرّد، أبيٌّ كما الضمير، نقيّ كما شجرة زيتون، يعصف إنْ لمح استخفافاً، ولا يُمهل أو يهمل. جبلاً كان في تحدّي التفاهات والصغائر.

رجل القصّة والحزن: أخاله مهزوماً ورافضاً للهزيمة، فينفرد وينزوي ويفجّر دموعه شتائم لا تتعدّى سمعه؛ كان طموحه أقوى من الجسد، فاصطدم بالواقع، وكان نشاف دمه...

رجل الكأس: يشربه متحدّياً، لا يفتش فيه عن لذةٍ أو دوار، بينه وبين الخمر رفقة طريق وعلاقة قُربى، والوفاء من شيم أديب، فلا تنكّر أو خصام؛ وخمرة أديب لترفع وتشيل لا لِتُحِطّ أو تصغرٍّ...

رجل الحنان: إلى تلميذته تطلّع وانخطف، فتزوّج، ولم يستغلّ... وإلى بناته الأربع، تفجّر حبّاً إلى حدّ الهوس، ولم يعرف منهنّ إلاّ حلاوات الطفولة والبراءة والجمال، فكأنهن الخمرة، وما الكؤوس إلاّ صلة بينه وبينهن.

رجل العزّة والكفاف: فلا مال ولا قصور ولا سيّارات ولا جاه ولا لباس الحرير وسفر الليالي الملاح. يكفيه كتاب ورغيف، وتلذّه كلمة حب ولفافة تبغ وثروته عنفوان.

ويموت الانسان، من الطبيعي أن يموت، وهذه هي ارادة اللّه، ورحل أديب صعيبي في ١٩ أيّار ١٩٨٦، ورقد في «كرمة الحوّاط»، عاد إلى الأرض التي أحبَّ، وسكتَ عن كل كلام، غاب وجهه، سقط صوته، أدار ظهره ومشى...

وماذا تبقّى؟ تبقّى الكثير... وحده المعلم يموت، ولا يدري إنه يترك نتفاً هنا، ونتفاً هناك، وحده المعلّم يتوزّعُ حضوراً وشهادات ومواقف وذاكراتٍ وأسماء وصوراً وحكايات...

وحده المعلّم يتفعّل، حياةً وموتاً، وفي حضوره المدهش انتصار على الحياة والموت.

فيا معلّمي

يا أيها العظيم الذي رحل

اليوم، أعود إليك، بعد غربة خمس وعشرين سنة،

أعود إليك، لا لأبكيك أو أرثيك،

بل لأتعلّم منك، ولأقول فيك - ولا جديد لدي - ما قلته أنتَ في ڤيكتور خوري:

مَنْ كانَ مثلك دنيا في روائعه وفي مآثره يَقوى على العَدَمِ

# توفيق يوسف عوّاد

بعد استشهاده، بقذيفة
سقطت على منزل سفير اسبانيا في لبنان سنة ١٩٨٩،
ألقى المؤلف، في احتفال تقديري هذه الكلمة، في ١٩٩١/٦/٢٧

سكوت، سكوتْ

لا تتكلّموا

لا توقظوا الرجلَ النائمَ

لا توقظوا المسافرَ الحالمَ

سكوت، سكوتْ،

أخاف أن يموتْ...

❖ ❖ ❖

أُلملمُ الجسدَ شظايا

أمسحُ الغبار عن الدم والعصب

أجمع الأصابعَ بقايا

أرسمُ الكلمات طواحينَ غضب

أُحجّر عينيه رغيفاً ومرايا

لبيروت... لبيروت...

لبيروتِ الخطايا والضحايا

لشعبٍ لن يَجوعْ

ينتصب المكوّم في «قلب يسوعْ»

سكوتْ، سكوت،

لا ترفعوا الصوت

أخافُ عليه، مرة جديدة،

أن يموت...

❖ ❖ ❖

أفسحوا له الشوارع

ها هو يمشي على رأس الأصابع

وعلى رقص الفواجع

ها هو، كالحبّ، ساطع

يحمل في صدره مئاتِ فوهات المدافع

ألفَ، ألفَ قصّة

تحكي حكايات الأضالع

والمدامع،

أفسحوا له الشوارع

ها هي، سامية❖، جنب أبيها

حلوةً مثل الروائع

---

❖ سامية توتنجي ابنة توفيق يوسف عواد وقد استشهدت معه.

حلوة، فتّانة

في عمق عينيها، براءاتُ المنابع

تمشي، وفي خُيلائِها

كبرياءُ الشرق في زهوِ

الكنائس والجوامع.

❖ ❖ ❖

سكوت، سكوت،

أخرسوا صوتَ الضفادع

انه يمشي في «بحر صافٍ»

يُنشد أحلى المقاطع

اسمعوا صوت الزوابع:

لبنان ليس عمولةً تُدفع

لشارٍ أو لبائع

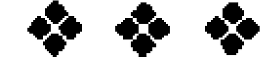
والشعب ليس مواشيَ

تصطفُّ في عتم المزارع

ارفعْ جبينك، لا تكن يوماً،

لغير اللّه

راكع...



سكوت، سكوت،

أفسحوا الدرب

لتوفيق السفير والمسافر

لا تطلقوا ناراً عليه

قلبه أضحى منائر

لا تبحثوا عن حبر مخطوطاته

اعراقه أمست محابر

لا تسألوا عنه، وعن

طلقاته فوق المنابر

سقطت كلُّ الستائر

نزفتَ كلُّ الشعائر

لم يبقَ من توفيقَ الاّ

نبضةُ شريان ثائر

لم يبقَ من وجعِ «الرغيف»

غيرُ آهاتِ البيادر،

لم يبقَ من دمع «العذارى»

غيرُ شهقاتِ الأساور

لم يبقَ من بيروته السمراء

غيرُ غضباتِ الضمائر

لم يبقَ من «صوف القميص»

غيرُ امٍّ لم تهاجر

لم يبق من ابن صغيرٍ

«أعرج» الخطوات

غيرُ نابٍ وأظافر...

لا تطلقوا ناراً عليه

لا تشهروا سود الخناجر

توفيقُ آتٍ

أطردوه

ارجموهُ

اصلبوهُ

اصرخوا ملءَ الحناجر:

نحن عشّاقَ بربّا

نقتلُ الابطالَ

نقتل الاطفالَ

نمشي في جنازاتِ الأزاهر

يا ويلَنا، في مجدنا،

كم مرّةً، كنّا نتاجر

يا ويلنا، في حبّنا

كم مرّة، كنّا نُقامر

ونبيعُ رأسَ نبيّنا

مِزقاً على ليّ الخواصر

نتفاً على ساقِ العواهر

ونفيقُ بعد ندامةٍ

نبكي، فتصفعُنا المقابر

ويصيح أطفال لنا:

لا شيء يبقى نفسَه

والدهرُ دولاب ودائر

ولكلِ ليلٍ آخر

مهما بدا من دونِ آخر.

❖ ❖ ❖

سكوت، سكوت،

ها هو، يستيقظُ

من غفوة الجرح، ينادي:

يا بلادي

أرضُنا أرضُ الجراحات العميقة والدماء

ماذا فعلنا كي نصيرَ اليوم،

أشتاتاً يوحدّنا الشقاء؟

بعضنا في وَجَعِ الهجرة، منفيٌّ

يعذّبه الوفاء

بعضنا غاب، مع الليل، ضياعاً

في عدادِ الشهداء،

بعضُنا الآخرُ، نحنُ،

نمضغُ الحلمَ الحزين

❖ ❖ ❖

سكوت، سكوت،

لن أموت

في كل طفلٍ، سأكون

في كل سطر، سأكون

في أجفان كلِّ صبيّةْ

في آهاتِ كلِّ ضحيّة

في ومضاتِ الأقلام

في سكراتِ الأحلام

في ألوانِ كل زهرة

في أوجاعِ كل صخرة

في وجدان كل طالب

في شريان كل كاتب

سكوت، سكوت،

لن يموت

❖ ❖ ❖

الحمد لله، يبقى الحرُّ منتصبا

ولو على خَشَبَاتِ القهر قد صُلبا

هو، ولبنان بعضٌ من وصيته

أن لا تكونَ لغير الأرزِ منتسبا

السيفُ أصدق أنباءً من الكتب

يا عارَ سيفٍ تحدّى نصلُهُ الكتبا

لا يسكرُ العود عزفاً دون «عوّاد»

ولا يموتُ أديبٌ مجّد الأدبا

# منصور عيد (١)

أصدر منصور عيد كتابه «... وبعدك يا بيروت» فكانت
هذه الكلمة في تكريم الكاتب والكتاب، في ١٩٩٢/١/١٧

أيها الأصدقاء

في أقصوصة مخطوطة، لم تُنشر بعد، وربّما كانت وهمية، ومنسوبة إلى صديقنا الدكتور منصور عيد، ورد ما يلي:

أنا في الطريق، لا أدري أيّة طريق، زوجتي وولدي معي في السيّارة، حاجز طيّار: قف. انزل. أنزل. سر. اسير.. ومن ثمّ، في أحد الأقبية:

**سؤال:** ماذا فعلت خلال ست عشرة سنة من الحرب؟

**جواب:** كنت لاجئاً، هارباً، أليف الزوايا والحمّامات والأدراج والأقبية، كلّما سمعت رصاصة، أو دوّت قذيفة، أركض، أهذي، أختبئ، أنظر إلى عيني زوجتي، أضمّ ولديّ، أحتمي بجدار، وبين لحظة وأخرى، أهرب من منزل إلى آخر، من بيروت إلى القليعات، أعود حيناً إلى بتدين اللقش، أسمع راديو، أشتم، ألعن.. ومن حين لآخر، أعلّم، فأنا مهنتي ورسالتي التعليم، وأكتب، وأحكي حكايات، وأروي قصصاً، وأتسلّى..

**سؤال:** ألم تقتل؟ ألم تخطف؟ ألم تقنّص؟ ألم تحمل بندقية وتشترك في اقامة حاجز وتدافع عن الوطن والقضية؟

**جواب:** لا يا سيّدي، لم أقتل ولم أخطف، ولم أقنّص، ولم أنتمِ إلى حاجز، ولم أُطلق رصاصة على عدو..

**سؤال:** لماذا؟

**جواب:** لأنني لم أعرف من هو الصديق، ومن هو العدو، ولم أتعلّم القتل، وأخاف من الدم، ولا أتقن حمل البندقية ولا المسدّس.

**سؤال:** ما اسمُك؟

**جواب:** اسمي: منصور

**سؤال:** منصور.. آ.. وعلى من انتصرت وكيف؟ اسكت، أنت مهزوم ابن مهزوم. ما هو اسمك المستعار؟ أبو من؟

**جواب:** يا سيّدي، لم أحمل اسماً مستعاراً. اسمي الحقيقي منحني إيّاه والديّ، وأنا فخور به.

**سؤال:** اسكت. ستة عشر عاماً، لم تقتل، لم تخطف، لم تفرح بالدم، لم تحمل اسماً مستعاراً. حملت قلماً، كنت تكتب.. آ.. عيب وعار.. أين وطنيتك؟ أين ايمانك؟ أين دورك في خدمة القضية والشعب؟

**الجواب:** يا سيّدي، حاربت بالقلم، وكتبت دفاعاً عن شعبي، وها كتابي الأخير: «... وبعدك يا بيروت» شاهد على أفكاري والتزامي.

**سؤال:** جبان أنت. هربت وتلطيّت وراء قلمك. هات كتابك الجديد، لأرى..

دقائق من القلق والسخرية والاستخفاف، دقائق من القهر المنظّم، ثمّ:

- هذا الكتاب فضيحة، هو شهادة ضدّك في الانهزامية والتواطؤ والتآمر والرجعية.

- ولكن، يا سيّدي، على العكس، أنا، في هذا الكتاب، دافعت عن بيروت. بيروت - الجمال، بيروت - السلام، بيروت - الحرية والحضارة والانفتاح، بيروت عاصمة العرب ولؤلؤة الشرق وست الدنيا.

- اسكت، يا مجرم، يا جبان، يا رومنطيقي أنت، يا شاعر، يا حضرة المثقّف، اسكت فأنت الآن معتقل بالجرم المشهود. وسأظهر لك مفاسدك وجرائمك وكلماتك العاهرة وآراءك الغبيّة، ولا أريد أن أسمع جوابك، قبل أن أذكر، وبالحرف، الجرائم المنسوبة إليك:

- في الصفحة ١٢ قلت عن بيروت انها قطعة من الأكباد مزّقناها بأظافر الجشع وقطّعناها بمخالب الأطماع وأنياب الحقد. هيّنة هي؟
- في الصفحة ١٧ قلت عن صيدا انها مجد فينيقيا.. شوفو وين بعدو؟
- في الصفحة ٣٧ قلت عن انسان هذه الأرض انه كرة تتقاذفها أرجل كبار المتلاعبين بالمصائر، لأنّ مصائر الناس أرقام في حساباتهم وحروف في سجلاّتهم.
- في الصفحة ٣٨ تحدّثت عن التهجير وكأنه جريمة أو لعنة. وأين القهر اذا سكن المهجّرون المقابر؟ أليست أفضل من المدارس الزرائب، ومن الأديرة حيث الوجوه كالحة عابسة مقفرة كضمائر أبطال الحرب، وملاجئ البنايات مقاه للجرذان ومراقص للفئران ومطاعم للعفونة.
- ثمّ في الصفحة ٥٣ شننت هجوماً على قبضايات خطوط التماس. وكتبت بالحرف: هذا منبوذ رفع فوق عِقَدِ نفسه شعارَ بطل، بعدما كره اسمه، وحقد على ماضيه، ولفظ ذكرياته وطفولته، فتسمّى بأبو عنتر. وذاك معتوه غارت جثته في ثوب مرقط، وآخر خائر ضائع رمته الأقدار بين أفواه الذئاب، وها هو يتمرّغ في الأتربة يفتّش عن اسم يقنع به نفسه، فلا يجد الا كلمة صاحب قضية.
- ثمّ: ما معنى قولك: خطوط التماس مسارح للدعارة وممارسات الذل وحوار السفهاء. خطوط التماس صليب مشرذم وهلال محطّم، يتنادمان في حفرة موحلة آسنة، تجمّعت فيها أوساخ الشعوب كلها، ونفايات

حضارات الأمم، ويتسامران في غفلة من العقل وضياع الله. خطوط التماس في بيروت سقوط الضمير في رصاصة قنّاص.

■ ثمّ، يا حضرة المثقّف، من هو هذا، صابر، الذي تتحدّث عنه. صحيح، لقد هجّرناه من ضيعته الجنوبية، ولكن لنسكنه في بيروت، ولنوزّع عليه أكياس الحبوب المخزّنة بالحس الانساني: مساعدات، مساعدات، مساعدات. هل أصبحت الانسانية ذلاً مغلفاً بأكياس النايلون؟ وما هي المصيبة، اذا ضحّى صابر هذا بأرضه وبيته وكرامته في سبيل القضية؟ وأين المشكلة إذا زاحم، بعض الأحيان، الكلاب والهررة والفئران على التقاط فضلات سوق الخضار؟

■ ثمّ، يا حضرة المثقّف، ألم تعد تعجبك أغانينا وهتافاتنا: بالروح، بالدم، نفديك يا.. فصرت تترحّم على ايّام الميجانا والعتابا والدلعونة وأبو الزلف.

■ ثمّ، تزعجني أنت دائماً بلفظة غرباء. أصبحنا غرباء في وطننا. ألا نضحّي بكم سنة في سبيل القضية؟

■ أكثر من ذلك، جئتنا في الصفحة ٨٥ بموعظة على لسان ختيار عجوز «تعتير» يقول: هذا غضب الله يا بنيّ، أصبح الشعب كافراً فارسل الله له حكّاماً أغبياء مجرمين يتلذذون بدم الأبرياء..

■ وبعد، وبعد، أشياء كثيرة أنت متّهم في قولها، وجريمتك محفورة في كتابك، ولا يمكن أن تفرّ أو أن تتهرّب أو أن تلبس وجه البراءة، ولهذا..

- ولكن، يا سيّدي، دعني أدافع عن نفسي. أنا من الجنوب، أخذوا أرضي و..

- دعني من الجنوب وحكايات الجنوب. قطعة أرض، ألا نفتدي بها وطناً؟ ماذا لنا في الجنوب؟ ماذا بقي لك؟

- بقي لي قلم وصوت. وسأبقى أكتب وأصرخ.. وافعل ما تشاء.

... ويهمّ بضربي... وأستفيق من الحلم، على أصابع ولدي وسام، وهو يتلمّس وجهي ويقول: بابا، بابا، صارت الساعة السابعة، ألا نذهب إلى المدرسة؟

أيها السادة

لن أعلّق على هذا الحلم، على هذه القصّة المخطوطة، أرجو أن تكون وهمية كاذبة، ولنعتبرها قصّة رمزية سريالية أو فيلم كوبوي.

ولكن اسمحوا لي بملاحظة واحدة:

بيروت جرح مفتوح في صدر كل واحد منا، وطعنة موجعة في خاصرة كل من أحبّها.

بيروت عاصمة الحب والفرح والحريّة،

بيروت الملعب والحلم والبسمة الخارقة،

بيروت المدرسة والشارع والكأس والمظاهرة والرفض والجريدة والعطر والكتاب والليل الشعري الرائع،

بيروت الصبية المغناج التي لم نعرف كيف نحب، ولا كيف نحافظ على حبّها، بيروت المرأة - الأم والحبيبة والجارية وعارضة الأزياء،

تلك البيروت، أيها السادة، هي بيروتُنا، نحن جيل منصور عيد، ولكنّنا وفي غيبة من الزمن والعقل والضمير، حوّلناها إلى أطلال نازفة.

فالعطر سحابات دموع وحزن،

وليل الشعر والحب والخمر عتمة جنازات حزينة،

وصور الغوى والاغراء والدلع شعارات وشهداء على الجدران،

وفرح القلوب مقصلة وأشباح ورصاصة قنّاص،

ومنبر الثقافة مدافع وكلمات منبرية غبيّة،

والأطفال عجائز احترقت عيونهم وذبلت خدودهم واستوطن القهر في صدورهم.

كلّنا، أيها الأصدقاء، أخطأنا في حق بيروت، بيروتنا نحن، وقد حرقنا وجهها وشوّهنا قامتها ومارسنا عليها كلّ أنواع الهمجية والبربرية والساديّة.

بيروتنا نحن، وقد شرّدناها وصلبناها واقترعنا على ثيابها.

كانت بيروت - الغار، فأصبحت بيروت العار.

منصور عيد يكشف وَجْهَي بيروت، ويقول لنا: أيها السادة، أيّهما تختارون العار أم الغار؟

أيها الأصدقاء،

باللّه عليكم، وأنتم تخرجون الليلة، من هذه القاعة، اذا شاهدتم شخصاً طفولي العينين والبراءة والخجل، اسمه منصور عيد، وهو في حالة تأمّل وغربة، لا تتحدّثوا إليه، لا تزعجوه بسلام وكلام، لا تناقشوه، بل دعوه لأفكاره وقلمه، لعلّه يتابع كتابة الفصل الثاني، من القصّة المخطوطة الوهمية، في الجمهورية الثانية.

ونحن وإياكم على موعد جديد.

وشكراً.

# هنري زغيب

بعد غياب سنوات، عاد هنري زغيب إلى لبنان،
وكان له لقاء في جامعة سيدة اللويزة في ١٩٩٢/١١/٣٠

أيها الأصدقاء

آتٍ هو، الليلة، مبلّلاً بالحنان الحنين،

آتٍ هو، بعد غربة واغتراب، عارياً، الاّ من كنزة الحبّ والشوق التي حاكتها أصابع أمّه المتعبة.

آتٍ هو، مضرّجاً بدماء الحلم، يحمل انكساره الحزين وصليباً محطماً: سراب، سراب، سراب... العالم الجديد، صحراء... الحضارة الغربية، اسمنت وسلاح وفراغ. النظام العالمي الجديد، أضحوكة مال وسلطة... ولبنان، هنا وهناك، وجع الذاكرة. نعناع أخضر ساكن في قعر كل الكؤوس، لهبُ الخاصرة النازفة... من أين وإلى أين تهرب؟ ماذا ينفع الانسان إذا ربح العالم كلّه وخسر وطنه وأرضه الحبيبة والطفولة ومطارح الهوشلة ولذاذات الرفض والشتيمة والتمرّد؟ وعروسة السكّر، في البال، يا طيبها مع هناءة غفوة واستراحة ظليلة ورشّة ورد وماجدة تغنّي:

ذكرياتي عمتُوميلي يا أصحابي صرتو بعاد
تذكّروني بالعياد
ذكرياتي عمتُوميلي وأنا أومي للطرقات
يا حُبي شرّدنا التنو
وانتهى ماضي الـ لوين
تبقى تذكّرني ما بين
آخر نجمه وأول ضو

عائد هو، كالابن الشاطر، افسحوا له الطريق، اعدّوا له المآدب، اغمروه بالقبل، واذبحوا الخروف المسمّن: كان ضالاً فوُجد وكان ميتاً فعاش. يا هلا به يعود، نقيّاً كما الفجر، مشتاقاً كما العصافير إلى أعشاشها الدافئة.

عائد هو، كالابن الشاطر: جلس «فلفش» أوراقه، كذا محاضرات... انظروا ماذا كتبوا عني، اسمعْ، كنت أحمل اسم لبنان، أنا شاعر لبناني، لم أضيّع دقيقة من وقتي، كتبت، اشتركت، تفاعلت وفعلت... لا، لا، تقولوا انني هربت، كنت أعمل...

كنتَ تعمل؟ شاعر لبناني؟ اسكتْ، اعترفْ انك هربت، مغفورة لك خطاياك، انشدْ خمس مرّات: بحبك يا لبنان،

صلّ ثلاث مرّات، لفيروز وسعيد عقل، ولكلّ حبّة الماس لم تهاجر.

اركع وقبّل كل حبّة تراب.

انهض إلى الخارج واغتسل بالدمع والمطر، ثمّ عُد، ولا تخرج مرّة ثانية.

عُد إلينا، لنشرب كأسك، أيّها الابن الشاطر الذي لا نزال نحب.

أخي هنري، أهلاً بك:

من الذوق، وإلى الذوق تعود.

من هنا انطلقت صبياً شاعراً، وإلى هنا تعود شاعراً كبيراً.

أهلاً بك، مجدّداً، شاعراً أخوت... ومن قال اننا في هذا الوطن، لا نحبّ المجانين؟ أحببناهم إلى حدّ الجنون معهم أحياناً... والمجانين هم: امّا قدّيسون وامّا متمرّدون وامّا شعراء.

أهلاً بك، شاعراً مهووساً، بمار شربل، بلبنان، بالحبيبة، بالقمح والورد، بالليل والحريّة والعيون الجميلة.

أهلاً بك، شاعراً لبنانياً وكفى...

أخي هنري،

مرحباً بك، لك منبر في هذه الجامعة، كلّ يوم، تأكدّ انّ جامعات الأرض لا تستطيع أن تلملم شظاياك المتناثرة هنا وهناك... نحن، يا أخي، لم نخلق للغربة، نحن لم نولد للسفر بعيداً، نحن ما وجدنا لنكون سلعة أميركية في مزاد البيع والشراء. نحن، خلقنا، لهذا الوطن، للوجع، للحزن، للشهقة تدوم، وتدوم، وتدوم. نحن والقدر ولبنان، على موعد دائم. صليبنا وخلاصنا اننا هنا، فلنبقَ، ومن جراحنا تُزْهِر النعمة والشعر والطفولة والمرأة والفرح. فلنبق

أيها الأصدقاء،

عفواً، لم أقدّم شاعرنا هذه الليلة، بل كنت أخاطبه، وكأنما أهذي، حديث من القلب إلى القلب، وأنتم شهود. فاغفروا كلماتي وهذياني ودموعاً لم تسقط.

أهلاً بكم وشكراً.

# منح الصلح

**بدعوة من جامعة سيّدة اللويزة - شكا،**
**ألقى منح الصلح محاضرة بعنوان: «لبنان وتحدّيات الغد»،**
**في ١٩٩٢/١٢/١١**

أيها الأصدقاء

... وأنت في الطريق، من جونيه، من كسروان، من موطن «الانعزالية المارونية» المتعصبة، إلى الشمال، مروراً بمحطات، فيها من الذكريات، ما يوجع، ومن الذل ما يثير التوتر، ومن الأسى ما يجرح، تكاد تبكي، ولكنك تتذكر انك آتٍ إلى الشمال، برفقة منح الصلح، والحديث: لبنان-النهضة العربية... وتحدّيات الغد، فتكاد تضحك ساخراً، ولكنك تبتسم... تبتسم بفرح فـ «هوا الشمال غيّر اللونا». وكل الجهات، هي للقلب، شمال.

أيّها السادة.

تبقى محاضرة، الليلة، ولي، ثلاث ملاحظات:

- الملاحظة الأولى هي مجرّد سؤال: هل يمكن الحديث اليوم عن لبنان النهضة العربية؟ وأين النهضة في نظام يُرسم، وفي شعوب تُذلّ، وفي أوجاع عنوانها لبنان، وجراح اسمُها العراق، ومآسٍ لونها أسود كالصومال، وضمير مطعون ينزف دماً فلسطينياً، وبعضنا يكتفي بسماع أغنيات «أمجاد يا عرب أمجاد... والسلام عليكم، والعزّة للعرب»

- الملاحظة الثانية: عروبة لبنان ليست فرضاً، ولا هوية طائفية، ولا مادة قانونية، ولا مرسوماً جمهورياً، ولا نصّاً في طائف ما. كما انّها ليست

مذهباً سياسياً، ولا انتساباً إلى حزب، ولا سيطرة الأكثرية على الأقلية، إنما هي حالة نفسية ومناخ ارادي قومي، يعرفه اللبناني، عافية وصحة وحضارة، وينشده مع كاهن ماروني، من هذه المنطقة يدعى الخوري يوحنا طنوس:

أبناءَ يعرُبَ نفسي رهنُ عُنصرِكم،
ان مُتُّ يوماً فِداكم، صحتُ: واطربي
لا تعجبوا يا بني الاسلامِ من هَوَسي
انا أنا من صميم العنصر العربي

- أما الملاحظة الثالثة، أيها الأصدقاء، فهي تعتمد على اقتناع بدور لبنان النهضة العربية. مُعقّد من يحاول أن يسلب لبنان هذا الدور، تاريخياً، ومتواطئ إلى حدّ التآمر، من يحاول أن يعزل لبنان أو يغتال طاقاته الخلاّقة في بناء المستقبل. التفاعل بين لبنان والعرب، ومن خلال سوريا بالذات، هو الاطار الصحيح لفعل لبناني، رائد. ليس نحن من يحاول أن يفخر بتاريخ وحضارة، كي لا نُتّهم بغرور، بل اسألوا الفيتوري، وهو يقول:

أنت في لبنان
والخلدُ هنا
والرجال العبقريون أقاموا
حملوا الكون على أكتافهم،
ورعوا غربته وهو غلامُ
غرسوا الحبَّ، فلما اثمر الحبَّ
أهدوه إلى الناس وهاموا

غُرباء ومغنين

وأحلى أغانيهم: على الأرض السلامُ.

أيها السادة.

عذراً، يبقى مُنح بك. حاولت أن أُغريكم بالكأس ولكنكم تنتظرون الخمرة. نحن الذين بدأنا نفهم العمل السياسي والحضاري والفكري، في مطلع الستينات، نحن لا نزال نتذكر انّ مُنح الصلح، حاول بمحاضرة نشرت في «النهار» آنذاك أن يضع نقطة على سطر الأزمة اللبنانية المفتعلة سنة ١٩٥٨. تُرى هل يكون هذا المُنح نفسه، هو من يحاول اليوم. وبالعمق نفسه، والموضوعية والعلم، أن يُغلق الستارة على حرب دامت ١٧ سنة، مُعرّياً الحقائق التي حاولوا الباسها أقنعة الوطنية حيناً والسيادة حيناً آخر، والحقوق والامتيازات، والقومية والوحدة، دون أن ننسى مشاعر الأخوة نحو سوريا، وكم وكم...

منح الصلح ليس خطيبَ منابر، منح الصلح مفكر.

مُنح الصلح لا يستثير العواطف، منح الصلح يستنهض العقول،

مُنح الصلح لا يجامل ولا ينافق ولا يفتش عن مناصب، بل يقول كلمته ويمشي.

مُنح الصلح، بيك، لا لأنه ابن العائلة فحسب، بل لأنه أصيل ونبيل وجريء وهادئ وكبير.

وغداً، يوم النهضة العربية نهضة حقيقية، سيكون اسم مُنح الصلح مدرسة في التقدمية والمنطق واستقراء الحقائق واستكشاف المستقبل.

مُنح بك، مدير عام، نضحك:

مُنح بك، نائب، وزير، رئيس وزراء، أكاد أقول، رئيس مجلس نيابي، رئيس جمهورية. يستحق ولكن: لا، لماذا؟ لأنه منح، ولأنه خطير وثابت، مستقيم لا ينحني، ومحلّل لا يبصم، ومستقل لا يرهن نفسه ولا يرهن الآخرين.

مُنح بك، لم تأتِ الساعة بعد، ستأتي قريباً، ولن يصل العاشق متأخراً، لأن الحبيبة آتية، آتية بلبنانَ كبير نقي حرّ حضاري طموح. وكلّنا عشّاق لهذه الحبيبة الحلوة. فأهلاً بها وأهلاً بك، وشكراً.

# انطوان سعادة

في لقاء حول كتاب زجلي له في طبرجا بيتش

في ١٩٩٣/٣/٧

أيها الأصدقاء

الساعة ساعة افطار،

الوليمة شعر،

والحبّ خمر،

لكل كأسه،

تعالوا، تعالوا أيها المُتعبون، الشعر يُريحكم،

خذوا واشربوا، هذا هو كأس العصفور - الشهيد، حيّاً، أو مصلوباً على قارعة الطريق، من دير دوريت إلى طبرجا...

خذوا واشربوا كأس الحبيبة، كأس كل الحبيبات، والحبيبة أرض أو امرأة، لا فرق، قرية أو صفصافة باكية، عذراء قديسة أو جنّية سمراء، ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كلّه وخسر حبيبته؟

لم يفهم انطوان، انطوان سعاده، هذا الرجل - الطفل، انّ الزمان ليس زمان عصافير، لم يفهم ان العصافير تستوطن الحرية ولا تسكن حقول الألغام وشوارع السيارات المفخخة ومدُن القذارة والنفاية والفساد والموت. ماذا تستطيع العصافير أن تفعل، يا صديقي، في غابة البنادق والخنادق وعهّار التاريخ والأرض والوطن؟

ماذا تفعل العصافير في زمن بيلاطس ويهوذا والفريسيين والقتلة؟

آه، يا صديقي، جسدك تخلّص من المقصلة، ولكن الروح... آه من مذبحة الروح التي لا يراها أحد، ولا يُدينها أحد، ولا يسمع عويلها أحد. ماذا تستطيع العصافير أن تفعل وقد سرقوا الشجر، ذبحوا الورد، صادروا بسمة الحبيبة وثغرها الطيّب، أطلقوا النار على جبهة القصيدة وقمر الأغنية والخصر المدلل رقة، اغتصبوا الشَعر الأسود المغناج، وخنقوا القبلة؛ والحبق، حتى الحبق، خطفوا عطره، حوّلوا جنائن الشقائق والوزّال والصعتر إلى أعمدة دخان ونار.

ماذا تستطيع العصافير؟ من أين لها أن تطير وتزقزق وتغطّ على شعر طفلي الأشقر، وعلى شال حبيبتي الأخضر، وعلى حلاوات ذلك البيدر؟ وهل بقيت لنا بيادر، بعد أن قصّوا السنابل؟ أوجعوا وجه الخمائل، لطّخوا بالعهر، قامات، وبالعار، جدايل؟

وتسكت شهرزاد، طلع الصباح، لا يزال العصفور يقاوم ويقاتل: يهمس، يغرّد، يطير، يقع، يطير من جديد، تصطاده بندقية، يختبئ وراء ورقة، منقاده قلم، صوته نشيد...

العصافير في هذا الوطن، لن تموت، قدرها أن تحمل الفرح، وأن تزرع الأغنية وأن تحتضن الجمال.

أنطوان سعاده، عصفور من بلادي، جرحه كبير ولكنه كبير على الجرح. نازف أبداً، ولكن نزيفه بعضُ حياته. فيه يصح قول الأخطل:

يبكي ويضحك لا حزناً ولا فرحاً    كعاشق خط سطراً في الهوى ومحا

لم يتخرّج هو من جامعة أو من معهد عالٍ. تخرّج على نفسه، درس على روابي دير القمر وفي حفافي بعقلين. من مدرسة الحياة هو، حيث الفقر يتآخى مع الكبرياء، وحيث الأصالة لا تعرف الزيف.

شهادته الوحيدة وقعتها حبيبته بأهداب عينيها وبراءة الشفتين. هنيئاً، يا أصدقائي، لمن يتخرّج من جامعة الحبّ، وهنيئاً لامرأة تغتسل بالشعر والياسمين، وهنيئاً لنا بشاعر هو نبيذنا المعتّق في خوابي القلوب والتراث وحكايات التاريخ.

# جوزيف أبي ضاهر

في لقاء حول كتاب له بعنوان «أنا العاشق البحر»،

ميفوق في ١٩٩٣/١١/٢٧

أيها الأصدقاء

في الصفحة ٤١ كتب جوزيف أبي ضاهر تحت عنوان كلمات بيضاء:

من تعجبهم كتاباتي

يقرأون فيها أنفسهم

... ويتجاهلوني

وليسمح لي جوزيف أن أضيف:

من تعجبهم كتاباتي

يقرأون فيها أنفسهم

وينسبون لي، عقدهم وخطاياهم،

ويصبح الكتاب مرآة لهم

وأنا المتهم الوحيد

نعم هو المتهم، وتُهَمُه لا تعد، واختصرها بسبع:

١- هو عاشق: عاشق متخلف، لم يكبر بعد، لا يزال يفكر بالنساء، هو عاشق بحجم البحر، يفرح بالحب، يشهق، يشتاق، ينام مع شوقه والخيال... فوق ذلك، وبكل وقاحة، يقول:

من زمان، أعلنتك وطني

رسمت وجهك في كلماتي

زينت صمتك بالأحلام

طبعت صوتك على فمي

أتهجاك

بكل ألوان الحنين

جوزيف، قف، نلقي القبض عليك بالجرم المشهود. أنت رومنطيقي في زمن الكمبيوتر والانترنت وكلنتون والصومال والبوسنة...

كم أنت متأخر عن القرن الواحد والعشرين. تحدث عن رصيد في البنك، يا أخي، عن ربح ممنوع، عن الوسط التجاري، اذا شئت، وأترك هذه السخافات في الحب، لأفلام الهند ومصر، ولدموع الأمهات والأجداد.

٢- هو عاشق أباحي أزعر: لا يستحي، لا من زوجته ولا من الناس. ويفتتح كتابه بقوله:

جسدُك قصيدة

تقرأها يدي

مثل أعمى

يتابع مسيرته الماجنة بقوله:

شفةٌ تلامسك

تغار أختُها

مسامك حروفُ هجاء

اقرأ أتلعثم

أكرر

لن أتعلّمَ القراءة غيباً

نعم، لن يتعلم، وسيظل يتلعثم، ويرمي عذريتها بالنقاط، والفواصل والحروف، يدنس طهارتها ولا يرف له جفن.

٣- هو كافر: جسده لعبة الشيطان. التفاحة بوابة النعيم، نضجت شفتاها: فالخبز والخمر قربانته الأولى. وحده حضورها الحضور. أيقونته الوحيدة هي اسمها يعلقه على صدره.
... والأنكى، من ذلك، أيها الأصدقاء، إنه يحمل اسم جوزيف، يوسف القديس الذي كان نموذج الحرمان والايمان، فإذا بابن أبي ضاهر يمرِّغ الاسم في وحل الكفر والشهوة والتمرد.

٤- إنه ذو طابع انثوي: يتحدث أحياناً، باسمها، باسم المرأة، يلبس جسدها وعريها واغراءاتها، يفكر عنها، يذوب شفافية، يجسِّد في كلماته، الجسد الحقيقي، في وحدانيته التي لا تعرف الذكورة أو الأنوثة.
عيب أن نتحدث باسم النساء، يا جوزيف، بعد ناقص... دعهن يتحدثن وكن رجلاً. الرجال قوامون على النساء. والرجل رأس المرأة. ونقطة على السطر.

٥- إنه مزارع فلاح: مئة كلمة وأكثر حوّشها من جنينة منزله، حيث لامه، هواية السمر مع الشجر والحجر والتراب. اجمعوا معي: ياسمين - تفاحة - العناقيد - القمح - الشجر - السنابل - الأغصان - العطر - العشب - الزهر - الحديقة - اللون - العصافير - الورد - بنفسجات - مساكب - عبير...

كلمات تتردد عشرات المرات، وهو يقطف ويقطف، وينسج عقد الياسمين كلمات، كلمات...

٦- إنه رسام: ما علاقة الأدب بالرسم؟ لست أدري، ومع ذلك هو يرسم. أفهم أن يرسم جوزيف بالريشة وأن يبرع، ولكن، ما علاقة الرسم، بالكلمات؟

مئات الصور يكدسها في الكتاب، اسمع:

أحصنة اللهب - زهرة الجسد - صوتك حفرته - وشماً في عيني - صوتي جرس العيد - عصفورة الرغبات - مفاتيح الحضور - يده الريشة والورقة فضاء - صار الوهج سواراً، بريق ذهب.

٧- وأخيراً - جوزيف شاعر: يكتب نثراً، يرسم بالريشة، يتحدث إلى الاطفال، يغني ويمسرح، وفي كل ذلك، وجهه يضيء شعراً ويتوارى خلف الحروف والخطوط.

ما هو الشعر؟ لست أدري... ما علاقته بالموسيقى والوزن والصورة والوجدان؟ لست أدري، ولكنه شاعر، ولا أسباب تخفيفية تمنع عنه هذه التهمة: علاقته بالحبيبة، بالطفولة، بالأرض... علاقة شعرية محرّمة. فلا تقربوه وأنتم سكارى.

أيها الأصدقاء

هذه الليلة، ونحن نخرج من هذا القبو، إذا التقيتم، بانسان صامت درويش، يحمل في جيوبه قلماً وأوراقاً، وعلى أصابعه بصمات حبر وشعر وبحر... بالله عليكم، دعوه يمر ولا تعتقلوه أو تزعجوه، إنه في الطريق إلى جريمة جديدة... وغداً سنعتقله في الجرم المشهود، مع كتاب جديد، ومع لوحة جديدة، وبحضوركم، سنحاكمه من جديد.

وشكراً.

# الأب يوحنا قمير (١)

أصدر الأب يوحنا قمير كتابه «ما أمسي وما غدي؟»

فوجّهت اليه الكتاب الآتي في ١٩٩٤/٦/١١

يا معلّمي

أكتفي بهذه الصفة، «المعلم»، أناديك بها، فكأنها وحدها تغمر كل الصفات وكل الشخصيات التي تحتويها في شخصك الواحد الوحيد: فالفيلسوف ورجل الدين والعالم والشاعر واللغوي والمترجم والفنان والذواقة... كلها فيك، وكلها في «المعلم» الذي هو أنت.

فيا معلمي

قرأتك في «ما أمسي؟ وما غدي؟» واعذرني، فأنا لم أقرأ الكتاب: فالقراءة التي يحتاجها كتابك، تستدعي البحث، التدقيق، المراجعة، المناقشة، المقارنة... وهذا ما اعجز عنه، ولو مؤقتاً، - وربما يعجز عنه الكثيرون -

لهذا قرأتك في الكتاب واكتفيت... ففي قراءتك متعة، سهولة، فرح، انبساط، حلاوة، لا يعرفها الا من يعرفك، بمحبة، بصدق، بصفاء الجسد والروح.

قرأتك في الكتاب، في ليلة واحدة، وكأنني في سهرة كأس، أنت المتحدث، وأنا محترف الاصغاء والسفر.

ماذا وجدتُ فيك؟ ماذا اكتشفت؟ وجدتُ واكتشفت أربع صفات:

١- **المتواضع على عناد واباء**: العالم البحاثة المؤرخ القارئ الذي لا يكتفي، ولا يتحكم به غرور غاشم... فأنت، لا تزال في حب المعرفة، طالب

معرفة، لا تزال تتدرّج وتسعى، لا تزال تقمّش وتفتّش، والبيادر واسعة وغنيّة، ومبارك الذي يجمع حبّات القمح، لا ليحبسها في صناديق وخزائن، بل ليوزعها قرابينَ على الفقراء والجائعين وما أكثرهم.

٢- **المتحرر على ايمان ومحبة:** في هذا الكتاب عن التطور الانساني، رميتَ، يا معلمي، عن رجل الدين، تهمةَ التحجر والتقوقع والانكماش ضمن قوالب يرسمها تجار الهيكل والفريسيون الذين، لم يحررهم الحرف، بل جعلوا من أنفسهم عبيداً للحرف.

ففي الكتاب، نظريات جديدة تخالف أقوال الكثيرين من رجال الدين:

- عمر الحياة ٣٢٠٠ مليون سنة - عمر الحيوان ٧٠٠ مليون سنة.

- عمر الانسان ٢٥ مليون سنة.

- الانسان ليس سليل القرد، ولكنهما تفرّعا من أصل واحد. وقف تطور القرد منذ ١٢ مليون سنة، أما الانسان فلا يزال يتطوّر.

- جدنا حيوان، أبونا حيوان، ونحن أحد الأنواع الحيوانية، وإن نكن أرقى نوع.

- احتمال ظهور أنواع انسانية جديدة.

- احتمال تطور الدماغ الانساني.

- لا نهاية للانسان، فالنهاية تعني فشل التطور وفشل الله.

- من المحتمل - بل من الأكيد - أن تكون النجوم مأهولة بالحياة والانسان.

- الانسان شقي لأنه لا يبلغ الغايات، وعظيم لأنه لا ييأس.

- النعيم الشيوعي وهم والحب الشارديني Chardin وهم، والحقيقة هي في التقدم المستمر، في التطور الانساني الدائم. فإنساننا هو الطَموح الذي لا يرتوي والمحدود الذي لا يبلغ كل ما يشاء.

- قد يتحكم العلم في التركيبة الوراثية فيركِّب أنواعاً بشرية جديدة.

هذه بعض النظريات الجديدة التي أطلقتها، يا معلمي، في الكتاب، والتي تحتاج، كل منها إلى كتاب، يفسرها ويحللها ويناقشها، وكأنك، بهذا الطرح، كنت تطرح الكثير من المعتقدات البالية والتقاليد الدينية الجوفاء.

وبوركت الحرية، نتعلمها على يديك، فلا تتحول إلى فوضى، ولا إلى جحود أو إلحاد.

٣- **الشاعر على خجل وتردد:** لا أتحدث عن صفتي الفيلسوف والعالم، فهما ملازمتان لك، منذ عرفتك باحثاً عن الحقيقة، عن طريق العقل، وعن طريق التجربة والكشف، وبورك للعاشق بمعشوقة هي الحقيقة.

لهذا أتحدث عن الشاعر الذي يستوطن صدرك، والذي تحاول أنت، عن قصد أو عن غير قصد، أن تُبعِده عن الأنظار، أو أن تروِّضَه إلى حد الكبت والاستهتار به.

فأنت شاعر في الكتاب، وشاعر راءٍ وراق... أقول ذلك، ونحن نمرّ في أزمة شعرية عاصفة، حتى كاد الشعراء الحقيقيون يمتنعون عن الانتساب للشعر، وراح الادعياء من معهري الكلمة، ومن مهرجي الصالونات - صالونات المنازل وصالونات الصحف والمقاهي - يتوِّجون أنفسهم شعراء كباراً، وهم، أقولها بصدق ومحبة، لا يستحقون أن يكونوا، ناظرين من بعيد إلى مملكة الشعر.

يا معلمي،

أنت الشاعر، في نظرتك إلى الانسان، في احساسك معه، في تفاعلك مع الأحداث والمآسي، في الحلم الذي يراودك حول الغد.

أنت الشاعر، في لعبة الكلمات التي تتقنها، بأناقة وحلاوة، بعيدتين عن التصنع والغرابة.

أنت الشاعر، في قولك:

«الغوص على كنوز النفس أجدى من غزو الفضاء.

أنين الناي أعمق صدى في الصدور.

الرسم والنحت أوسع باباً إلى الجمال.

ساعة في هياكل بعلبك أمتع من ليالي ولائم بلهاء.

قراءة حبيب في عينين أدرى بخفايا النفس من التحاليل.

وشوشة أم لطفلها احبس لدموعه.

شحوب الشمس في العشايا ارأف الهدايا...»

أنت الشاعر، يا معلمي، وكم الانسان، اليوم، في لبنان، بحاجة إلى من يشعر معه، بصدق، بتلقائية، بنبل، وبورك الشعر يتعانق مع الايمان والعلم والفلسفة، سعياً وراء الحقيقة والحق.

٤- العابد للجمال على نسك وصبر:

يا معلمي، يا ناسك اللقلوق،

كتابك حول الانسان وتطوره، سعي إلى اكتشاف الجمال في الانسان. صورة الغلاف رمز لهذا السعي، فالوجه الانساني يتطوّر في الصورة، إلى حد الوصول إلى الأكمل، من الناحية الجمالية. ونظرتك إلى الغد، تحمل الكثير من الرجاء، بالانسان، بابتعاده عن الجهل والشر والبشاعة، وبسموِّه إلى حد بلوغ الكمال.

والجمال الانساني، يعتمد على الحب، فأجمل المخلوقات هو الانسان، وأجمل الجميلات هي الحبيبة، وبقدر ما نحب، بقدر ما نكتشف الجمال.

وأنت في لقلوقك الخصب، في علّيتك الهادئة، في جيرتك للصخور والينابيع والشجر، تتعبّد للجمال، تفتّش عنه، في حجر صغير، في زهرة برية، في مغارة مهجورة، في نسمة داشرة، في وجه طفل خمّرته الشمس، في لفظة فلاحية عتيقة، في صلاة عفوية هامسة... فكأنك في الحياة، كما في الكتاب، لا يستوقفك الا الجمال، ولا يعصف بك الا الحب. وبالحب والجمال تكتمل شخصية الناسك الذي لا يتعبّد لله، عن أنانية شخصية أو عن رغبة في الهرب، بل يتعبد لله، عن طريق الانسان. وشتان بين ناسك يهرب، وناسك يُقبل. وسبحانك يا الله، فانت رمز التنسك والفداء، محبة بالانسان، ومن أجل خلاصه.

ويا معلمي، يا ناسك اللقلوق.

قالت المطرة للمصطفى، في كتاب النبي: «أعطِنا حكمتك، قبل أن ترحل، لنعطيها نحن لأولادنا، من بعدنا».

ونحن، بدورنا، نكرّر قولَ المطرة ونجدّد لك الدعاء والرجاء: أطال الله عمرك، أعطنا من حكمتك، وليسلم القلم وصاحب القلم، وشكراً.

# رياض شرارة...

يوم رحل رياض شرارة، في ١٩٩٤/٩/٢٧

سقط أميرُ الفرح.

أميرٌ هو، بشهادة استحقاق، لا ببطاقة هوية.

أمير على طلّة وثقافة وأناقة وحضور وجاذبية وثقة خارقة.

أمير في حياته. وكما الأمراء، كان رحيله بنبل وكبرياء وصمت.

لم يسقط بمرض عضال أو برصاصة غدر أو بكبوة جواد، بل، سقط كالأمراء - الأمراء، بضربة قلب وغربة زمن.

رياض شرارة

اسم لوجع الصدر، سيبقى... ودمعة لمن لم تدمع له عين.

شخصية تكاد تكون عجائبية الحضور: يحوّل التفاهات إلى ساعات فرح، والسخافات إلى لحظات دعابة وغنج.

«تصادره»، بعض الأحيان، وسائلُ التجارة والاعلان، فيرتفع بها، ببراعة جاذبيته، إلى مستوى الفن الضاحك الخلاّق.

رياض شرارة

صديقاً كان، لمن عرفه شخصياً، ولمن لم يعرفه.

إطلالته كانت شعنينةَ أحد.

وحدها إطلالةُ الأحد الأخير، كانت الجمعةَ العظيمة.

رياض شرارة

هذا الشاهق، الوائق، العاشق، لا أحد يصدّق أنّه رحل... رحل إلى غير رجعة.

تراه، لا يزال «يمسرح»، ولا يزال يضحك علينا؟

رياض

إضحك، كما تريد، وكما تحلو لك الضحكة.

أنت اليوم، كبير إلى حدّ القداسة والمستحيل.

أنت اليوم، في حلمك الوردي، لا إلى يقظة.

أما نحن، ففي لحظتنا الموجعة الكئيبة، يحق لنا أن نبكي، لأننا نحبّك...

# الأب ميشال عويط

بعد صدور كتابه «ابن اللّه - بعض تعاليم القديس يوحنا».
كانت هذه الكلمة التي نُشرت في ١٩٩٥/٢/١٥

كتاب جديد - واحد من عشرات - أصدره الأب ميشال عويط تحت عنوان: ابن الله - بعض تعاليم القديس يوحنا.

وقد استوقفني في مقدّمة الكتاب هذا المقطع:

«أربعة كتبوا الانجيل: متى ومرقص ولوقا ويوحنا. الثلاثة الأول دوّنوا الأحداث... أما الرابع فلم يكتفِ بتدوين الأحداث، بل علّق عليها. فكان متى ومرقص ولوقا بمثابة صحفيين عاديين، وكان يوحنا بمثابة صحفي غير عادي».

هذه العبارة جعلتني أقرأ انجيل يوحنا، بطريقة جديدة وبنظرة فاحصة ناقدة، وبوعي متميّز لكل كلمة وعبارة.

وقد شجّعني على ذلك، هذا التمهيد الذي افتتح به الرئيس شارل حلو الصفحات الأولى للكتاب، عندما قال: ولا شكّ أنّ انجيل يوحنا الرسول هو انجيل الحياة الالهية في يسوع المسيح... والحياة الحقيقية أولها وآخرها المحبة.

على ضوء ذلك، كانت قراءتي لهذا الكتاب، بحيث ظهر لي أنّ يوحنا، بالفعل، كان تلميذاً مميزاً ليسوع المسيح. وقد كشف الأب عويط هذا التميّز من خلال تعليقه على بعض الأحداث الواردة في انجيل يوحنا.

ففي معجزة الخبز، مثلاً، وبعد أن أطعم الجموع وأشبعهم، من خمسة أرغفة فقط، قال الناس: حقاً هذا هو النبي الآتي إلى العالم. وشعر يسوع أنهم يهمون باختطافه ليقيموه ملكاً، فابتعد عنهم وعاد وحده إلى الجبل.

هنا، لم يسرد يوحنا الواقعة فقط، بل علّق عليها، وكأنه ليس شاهداً بقدر ما هو صاحب رأي.

ويأتي الأب ميشال عويط، ليعلِّق بدوره على تعليق يوحنا: من يستطيع أن يُكثر الخبز والسمك، يستطيع أن يتسلّط على الناس... ولهذا أرادوا أن ينصّبوه ملكاً عليهم... ولكنه بخلاف توقّعاتهم، لم يأتِ لأغراض دنيوية، بل «ابتعد عنهم وعاد وحده إلى الجبل».

وفي حكاية «يسوع يُغسل أقدامَ تلاميذه»، علّق يوحنا قائلاً: «كان يسوع يعلم أن ساعةَ انتقاله إلى أبيه عن هذه الدنيا قد حانت، وقد أحبّ أصحابه الذين هم في العالم، فبلغ به الحبُّ لهم إلى أقصى حدوده...

وظهر هذا الحب في غسل الأرجل.

هنا يعلِّق الأب عويط في مجموعة أسئلة: هل هذه عادة بين الناس؟ هل هو أمر مرتبط برسالة يسوع؟ هل هو أمر يرمز إلى القربان الذي سلّمه يسوع لتلاميذه في ذلك العشاء؟ هل هو علاقة رضى وشكر أظهره يسوع لتلاميذه؟ لينتهي من هذه الأسئلة إلى خلاصة عميقة المعنى تقول: التواضع كالمحبة هو وصية يسوع الأخيرة لتلاميذه، لأنّ التواضع هو المدخل الصحيح إلى الآخرين.

نعلِّق نحن بدورنا، ونقول: كم من آذان صماء في هذا العالم... من له أذنان سامعتان، فليسمع.

وفي القطعة ٢٠ المعنونة: ابن الله. أنهى يوحنا انجيلَه بعبارة من عنده تقول: اذا آمنتم نلتُمْ باسمه الحياة.

حول هذه العبارة التي تختصر الايمان المسيحي، توقّف الأب عويط بكثير من الرهبة والخشوع، لينتهي إلى موعظة، ربما، هي أمُّ الموعظات، في هذا الزمن الموبوء: إذا كانت الخطيئة هي عصيانَ وهدمُ جسور وتكسير، فإنّ الخلاصَ هو إعادةُ بناءٍ ومحبة وسلام.

يقول:

«ففي الكتاب المقدّس طريقان: طريق الخطيئة وطريق الخلاص، طريق الخطيئة نقرأها في رواية آدم وحوّاء، في الفردوس الأرضي، وفي رواية قايين وهابيل، وفي رواية الطوفان وبرج بابل... أما طريق الخلاص فأننا نجدها في دعوة جميع الذين اختارهم الله أصفياءَ له، فمهّدوا الطريق، على مدى ألفي سنة، ليسوع المسيح الذي استطاع وحده أن يغلب شوكة الخطيئة، ويحقّق المصالحة، ويُعيد إلى الانسان كرامته».

انجيل يوحنا، تحت صرير قلم الأب عويط، انجيل متميّز شعاعاً وبلاغة وعمقاً.

في البدء، كان الكلمة، بدأ يوحنا.

وفي البدء، كان ابن الله، عنونَ الخوري ميشال.

وفي النهاية، لن تبقى سوى الحقيقة. إنها رسالة الصحفي غير العادي، فهل يسمعها الصحفيون، أصدقاء الأب عويط، على أبواب بكركي وفي صالاتها الواسعة؟

# سعيد عقل (١)

**في أمسية شعرية لسعيد عقل وفي حضور جمع من الرهبان،**
**في دير مار بطرس بيت شباب في ١٩٩٥/٦/٢٧**

أيها الأصدقاء

في هذا الدير العتيق العابق بروح القداسة والطهر والأصالة، أرحّب بكم، متمنياً لكم، جميعاً، عيداً مجيداً بشفاعة القديسين بطرس وبولس. وبين لبنان وبين بطرس، أيها السادة، حكاية تختصرها لفظةُ صخرة، فهو الصخرة التي عليها بُنيت المسيحية، أما لبنان - سعيد عقل، فهو الصخرة التي:

... عُلِّقتْ في النجم أسكنُها طارتْ بها الكتبُ قالت: تلك لبنان.

هذا في البدء، أما بعد، فأنا في قلق وحيرة وضياع: ظالم ومحرج وصعب أن تتحدّث عن سعيد عقل وأن تقدّمه إلى الناس.

كان يكفيك أن تقول: سيتحدّث إليكم هذا الرجل، وتشير إليه، ليعرف الجميع انه سعيد عقل... وكفى.

ولكن التقليد الثقافي، في المحاضرات والندوات، يفرضُ عليك أن تقدّم المحاضر، فماذا تقول عنه؟

أكتفي بثلاث عبارات:

- **الأولى:** أن سعيد عقل راهب، وراهب مميّز، يتحدّث اليوم عن زملائه الرهبان. ليس راهباً بمعنى العباءة والزنار ونذر الفقر والعفة والطاعة،

واتركْ كل شيء واتبعني؛ وهو ليس راهباً ينتمي إلى سلك مريمي أو أنطوني أو لبناني. كما انه ليس راهباً مكلّفاً بادارة مدرسة، بمرافقة رئيس عام، أو بتسلم دير، أو بالقيام بخدمة رعائية، أو زراعية، كما انه ليس راهباً بمعنى الخضوع والخوف واداء الصلوات في مواعيد محدّدة. ومن قال ان الثوب يكوّن راهباً أو يولد؟

لا، أيها السادة، إنه راهب في تنسكه وروحانيته، وهو ربيب العلى في المواقف، والقمم في الشهادة والحرية، وهو راهب في عبادته لثلاثة، ربّ ولا أجمل أو أطيب، ووطن، ولا أكبر أو أعظم، وحق ولا أنبل أو أطهر. وهو راهب في تطلعه إلى الأعمق الأعمق، حيث الصلوات، لا تمتمات ولا مسابح، بل تجذّر وسفر في خدمة الجمال والانسان. وهو راهب مُتعِب وكأنه ضمير، يقول لنا دائماً: ماذا تفعلون؟

قولوا لي أيها السادة، من هو راهب أكثر من سعيد عقل؟ فإن تحدّث الليلة عن الرهبان، فعن أهل البيت يتحدّث، وابن البيت أدرى بالذي فيه.

- **العبارة الثانية:** سعيد عقل كلٌ لا يتجزأ: يُغضبني واحد يقول: يعجبني سعيد عقل الشاعر، ولكن ماذا يريد هذا الرجل من السياسة والأرقام والفلسفة واللغة؟ ليكتبْ شعراً، وليصمت عن كل شيء آخر.

يُغضبني آخر عندما يقول: سعيد رائع هنا، عادي هناك، مبدع في هذه القصيدة، تقليدي في تلك.

يوجعني ثالث يقول: تعالوا نحلّل سعيد عقل، أين وكيف، ومتى، ولماذا؟

يا أصدقائي، سعيد عقل، اما أن يؤخذ ككل، واما أن يُهمل ككل. لا تعتقلوا الوردة وتفتّشوها وتبحثوا عن عطرها الطيب. سعيد عقل كالوردة، حرامٌ أن نُنتِّف أوراقها لنكتشفَ مواطنَ العطر فيها، فان فعلْنا، كنا كمن يمشي في جنازة العطر ووراء جثة الجمال. سعيد عقل، سلمتَ لنا، جسداً وروحاً، قامةً

مميّزة وشاعراً مبدعاً، انساناً كبيراً ولبنانياً أصيلاً، وبعد، فليسع الأبطال ميدان.

- **العبارة الثالثة:** سعيد عقل هو الصعب: لا تفتشوا عن السهل في سعيد عقل، لا تحاولوا أن تطلبوا منه النزول إلى السفح، دعوه في القمم واصعدوا إليه، حاولوا أن تصعدوا إليه، اجهدوا واتعبوا لتصلوا إليه. خياليّ هو، وحالم، وأسطوريّ المطلب والهدف. هذا هو الرائع فيه، فلا يُبنى وطن، كما نريد، الا اذا كان البنّاء فناناً مبدعاً، وعالماً كبيراً. يُضحكني من يقول: سعيد عقل ليس سياسياً ناجحاً. وأسألهم: من هو السياسي الناجح؟ أعفيكم من الجواب وأدعوكم إلى الانتقال من شاطئ الكذب والتخريب والفساد إلى شاطئ الجمهورية الفاضلة التي لا يمكن أن تقوم إلا في لبنان - الحضارة والانسان والحقّ.

أخيراً، وبمناسبة هذا العيد المبارك،

كونوا في سكوت أيها السامعون، لأنّ سعيد عقل يتحدّث اليكم الآن، فاسمعوا واصغوا، إلى وطنٍ جديد يولد، وبدلَ أهدابها - الحبيبة الحلوة - قولوا لسعيد عقل:

وإذا «شـعـرُك» جـاراهُ الـمـدى ... راح كـونٌ تـلـوَ كـونٍ يُـبـتـكَرْ.

أيها الأصدقاء

كلمة أخيرة: طُلب مني أن أقدّمَ سعيد عقل، فلم تتوفر لي الاّ نخلة عربية أقدّمها له، فليعذرني، وهو الذي لا تليق به الاّ وردة من لبنان. أغار منك، سعيد عقل، لقد ظَلَمَنا الزمان، فأنت خالد ونحن زائلون. ورغم ذلك، فنحن نحبك.

وشكراً.

# منصور عيد (٢)

مدرسة بيروت الانجيلية في ١٩٩٥/١١/٩

أيها الأصدقاء

نحن في قاعة عبادة - كونوا في سكوت أيها السامعون - في البدء كان الكلمة... مباركة الكلمات... مبارك الصمت... الحديث الليلة، بعضه محبة، بعضه صلاة، وبعضه الصغير الصغير، مديح وثناء. ربما كان المكرّم الليلة، يحمل في وجدانه، بعضَ قداسات الطيبين الذين لا يُحكى عنهم الاّ بالصلوات، وفي المعابد.

بين أن أتحدّث، باسم جامعة سيدة اللويزة عن الدكتور منصور عيد، كأحد أساتذتها الكبار، وبين أن أتحدّث عن منصور - وكفى - كصديق وأخ ورفيق درب طويل، بين الحالين، أجد نفسي في ضياع وحيرة.

اسمحوا لي، وفي جميع الحالات، وتلك خطيئتي، أن أخلعَ قفّازات الأجواء الرسمية، وأن أتحدّثَ، بعفويتي، وانفعالاتي. فهذا الرجل، لا يمكنك أن تقف منه على حياد، ولا أن تكون ناقداً وموضوعياً وكأنك في الكلام عنه، غريبَ أو عابرُ طريق.

لو كان لي، أيها السادة والأصدقاء، أن أفتحَ مزدوجين لأقدّم لكم بطاقةَ الهوية الخاصة بمنصور عيد:

لقلت:

- اسمه والعائلة: فرحٌ على عنفوان جردي. منصور دائماً وفي عيد. وفي كل فصلٍ مولودٌ جديد... ومباركة مؤلفاتٌ آتية باسم الطفولة والفرح والأصالة.

- جنسيته: لبناني، ويحلو لي أن أقول بتدّيني فلاح، وله أن يفخر، وصحتين على قلبك، يا طالب المعرفة والعافية.

- مذهبه: لست أدري، ويحلو لي أن لا أدري، فهو المؤمن على تجذّر، بإلهٍ، هو إلهُنا جميعاً، الهُ محبة وسلام وجمال وخير.

- علاماته الفارقة: سنابل وجراحات وشهادات. تطلّعْ إلى عينيه والجبين، إنه ينابيعُ نقاء وبيدر عطاءات. ما هجرَنا يوماً، أو ابتعدَ عن نفسه، الاّ ليُفْرِغَ ذاته في كتاب.

مُتعَبَ هو ومُتعِب: مُتعَب بعد ثلاثين سنة من عمل متواصل، ومُتعِب، كأنه ضمير، في زمن الاهمال والتفاهة والسقوط.

أعطى، ومن القلب، فان سألتَه: أدِّ الحساب، قرأت في عينيه نبل الفقراء وكرامة المثقفين. فان سألتَه عن هاتين: ومن أين لك هذا؟ أجاب بصمت هؤلاء الجبليين: من ذيل ثوبٍ عتيق لأمي، ومن جنى وشقاء أبي، ومن صلوات زوجتي وولديّ، ومن جراحات لذيذة في ميدان التعليم والتأليف. وان سألتَه عن الأجر، مُكبراً خدمته الطويلة، أجاب بصوت سعيد عقل:

| | |
|---|---|
| رذَكي جمالك يا دنيا أقول مع | الأبطال، غرّكي سواكيَ اليوم وادّهني |
| ما المال؟ قولةُ لا، والله ألبسُه | به غَنيتُ، وغيركي بالتراب غني. |

أيها الأصدقاء،

طال المزدوجان حتى التهما الوقت؛ مع ذلك، نحن لا نزال ننتظر من هذا المعلم أشياء كثيرة. لا نريد منه قصة تحت عنوان: كيف يطير الفيل؟... ولا قصة أخرى عن: بع وطناً تشتر فندقاً، ولا عن: زمّر عليها تنجلي.

لا، لا نريد قصصاً من هذا النوع، حضرةَ المعلم، ولكن نريدك، في قصصك، في حياتك اليومية، في تعاليمك ودروسك، أن تعلّم أبناءنا ثلاثة: علّمهم الله،

علِّمهم الوطن، علِّمهم الانسان. على فوقة، يا منصور، أريد منك أمثولة خاصة، فأنت، فوق كل العناوين، عنوانُك واحد: انسان على رقة وخجل وطفولة، حتى كأنك، في هذا الزمن السيء، لا تغضب، لا تتذمر، لا تسبّ. علمني، بالله عليك، كيف أمتنع عن السباب.

وكلمة أخيرة أوجهها إلى جاكلين، إلى الخلاّقة جاكلين: مباركتان عيناك، لا تُشرقان الاّ وقلم منصور في سكرة الهام ورحلة ابداع وجمال.

ويا منصور، كنْ على ثقة، اننا جميعاً، نحبك.

# اتحاد الشعر اللبناني (١)

بمناسبة اليوبيل الفضيّ للاتحاد، جونيه في ١٩٩٥/١١/٢٥

يوبيل فضي، أيها الأصدقاء، اذاً، فالكلمات ليست كالكلمات. كان الكلام من الفضة، والسكوت من ذهب، اليوم، كلُّ الكلمات عقودُ الماس على عنق اتحاد، قُدِّر له أن يصمد ويستمرّ، في زمن القهر والسقوط والموت.

يوبيل فضي، معظم سنواته مخطوفةً لأشباح الظلام والتخلف والقتل، ولكن ما جمعه الله في اتحاد، لا تفرّقه أهواء ومؤامرات وسواتر انقسام وتشرذم.

في هذا اليوبيل، ماذا نقدّم لكم؟

كان بودّي أن أعتدي على عمالقة الزجل والشعر العامي، فأمارس اللصوصيةَ البيضاء وأختلسُ من جنينة هذا وردةً من العتابا، ومن حديقة ذاك بنفسجة من الميجانا، ومن شجرة ذلك، زهرة من أبو الزلف...

كان بودّي كل ذلك، ولكنَّ المفارقة الغريبة التي أوحى بها اليّ صديقي الشاعر الدكتور الياس خليل، هي في أن أتحدّث باللغة العربية الفصحى، فأظهر غريباً عنكم - أو «غَريب» - عل حدّ ما نمازح به أهالي كسروان. وها أنذا، بكلمتي هذه، أطلّ كمن يحمل نخلةً، بدل الوردة، أو يلبس عباءةً، أو يمتطي ناقةً، في حفل، كل ما فيه، أصالة لبنانية، وأناقة وجدانية، هي بنت العفوية والبساطة والانفعال.

أيها الأصدقاء.

نحن في حفل شعري... لا تسألوا ما هو الشعر؟ الشعر لا يحدّد، ولا يُجنّس، ولا هوية له، خارج حدود الجنون.

لسنا في معرض التمييز بين الشعر الفصيح والشعر العامي. فليس للشعر صورة فوتوغرافية معروفة. من أين أتى؟ لست أدري... من الجبل، ربما، من أعماق البحر، من الغابة حيث كان يتنزه مع القمر والفراشات؟ لست أدري...

هو كالعصفور، يدخل من النافذة، إلى غرفة حسناء نائمة، فينقر من شفاهها، ويلعب بأساورها، ويوحي لها بأحلام وردية... ثم يطير.

ما هي لغة الشعر؟ لست أدري... الشعر هو رقصٌ باللغة، هو تغيير لها، هو رفض وتمرّد وخربطة، هو وحده الذي يسكن وطن «اللاّ» ويهرب من مدينة «النعم». لغة الشعر، كلغة العطر، ولغة البسمة، ولغة الغمزة، ولغة النهد...

لغة الشعر لا يرسمها الآخرون، ولكنها ترسم نفسها بنفسها. لماذا، يا أصدقائي، استوردُ لغة الحبّ من الكوفة أو من نجد، أو من خيمة امرئ القيس، ولا أستوردها، من هذه الخيمة، خيمة أبي خليل، ومن فم حبيبتي، ومن لثغة ابني الصغير، ومن صلاة أمي العجوز؟

أنا يا أصدقائي، منحاز إلى الشعر، لا إلى لغة معينة، أنا منحاز إلى شفتي حبيبتي، لا إلى أحمر شفاهها. أنا منحاز إلى عينيها لا إلى نظارتيها السوداوين، أنا منحاز إلى خصل شعرها، لا إلى ضفائرها المستعارة.

أنا منحاز، وبصورة نهائية، إلى القصيدة الحرّة مهما كانت لغتُها، ومن كان منكم ضدّها، فليطلق الرصاص عليها بتهمة الخيانة العظمى... عندما ترون طفلاً يصلي، لا تسألوه عن لغة الصلاة، بل تطلعوا في عينيه، وفي ما وراء عينيه، حيث لا يوجد الاّ الله، ينطق بكل اللغات وبكل الألسنة.

أنتم، أهل الشعر، أهل الصلاة والجمال والغضب والحب... أنتم، لا النفط، مخزونُنا الحضاري. لهذا، وبمحبة، نهنئكم، بعيدكم الفضي. تكريمُكم لن يكون بسهرة أو بخطبة، فنحن نجسِّد هذا التكريم، تدريساً فعلياً للشعر العاميّ، في الجامعة التي أعمل فيها، ولست وحدي، بل انني أستظلّ قامة

سعيد عقل، معلمنا الكبير الذي يمنح هذه المادّة الدراسية، أبعادَها الوطنية الكبرى.

بصدق أقول:

لا تنتظروا من معالي الوزير، أو من سعادة المدير العام، مرسوماً أو قراراً يمنح حريةَ تعليم الزجل أو الشعر اللبناني.

الشعر لا ينتظر ترخيصاً أو اجازة مرور على الاشارات الحمراء... اهجموا أنتم، على الجامعات والمدارس. تخلّوا يوماً عن منابر الدفّ، وعن وقفات الندب والحداء، وادخلوا إلى المؤسسات التعليمية، من باب الفنّ الذي لا تقف في وجهه سدود. بيد الرحبانيَين عاصي ومنصور، والأسعَدين، سابا والسبعلي، وميشال طراد، وخليل روكز و... بصوت فيروز ووديع وصباح وماجدة... حطِّموا أبوابَ المناهج المرسومة وادخلوا إلى قلوب أولادنا وطلابنا؛ أشعلوا الحريقَ في المهترئ من ثيابنا، وأضيئوا النور على أجمل ما يكاغي به طفل أو تنغِّم به أم، أو يردّده راع في جرودنا الشامخة.

أيها المتّحدون. من أجل الشعر اللبناني، كلُّنا متّحدون معكم، من أجل الشعر الطفل المشاغب، المقاوم، المحرّض، الشيطان والأزعر. كلنا في مظاهرة واحدة، من أجل الشعر النابض بحرية وجمال وبراءة، من أجل الشعر العاري الاّ من قميصه الشفاف، من أجل هذا الشعر، الخارج على القانون، وعلى المألوف، وعلى الشعارات القومية والوطنية، من أجل هذا الشعر، نقول لكم:

كل عيد وأنتم بخير، ولبنان بخير ونردّد:

لي صخرةٌ عُلِّقتْ بالنجم أسكنُها ... طارت بها الكتبُ قالتْ: تلك لبنانُ
أهلي، ويغلون، يغدو الشعرُ لعبتَهم ... اذا تطلّعَ صوبَ السفح عدوانُ
كنا ونبقى لأنّا المؤمنون به ... وبعدُ، فليسعِ الأبطالَ ميدانُ.

# اميلي نصرالله

في لقاء مع طلاّب الجامعة حول أدب اميلي نصرالله،

في ١٨/١٢/١٩٩٥

أيّها الأصدقاء

عندما أطلّت «طيور أيلول»، لمعَ في سماء لبنان شعاعٌ مميّز. يومَها كان سؤال؟ من هي إميلي نصرالله؟

ورحنا نتساءل؟ الأديبات عادةً، واستميحُهنّ عذراً، يعتبرن ان الأدب هو الجرأة التي تصل إلى حدّ الإباحية. الأديبة هي امرأة ولها الحق أن تمزّق الحجاب وأن تخرج إلى الحياة والنور، إلى الحب والفرح...

إميلي نصرالله لم تكن من فوج هؤلاء... تكاد تقول انها تناسَتْ أنوثتها، منذ امتشقتِ القلم، وراحت تكتب، كإنسانة لها موقف، وتعبِّر عن شخصية مميّزة.

بخجل الصبايا، برقة الأم، بشفافية الشعراء، ببراءة الجبليات، وبدفء الجنوبيات الموجوعات، حرباً وجراحاً وتشرّداً، كتبتْ اميلي نصرالله.

اليوم، عندما أتطلّع إليها، وإلى نفسي، أرى فيّ بعضَ فضلها وأدبها، فنحن طلاّبها، وإن لم نتتلمذْ عليها، فقد مارسنا اللصوصية البيضاء واستمدّينا من قصصها روحاً وثقافة وجمالاً: من طيور أيلولها، اجتذبْنا طيراً، ومن شجرة الدفلى، قطفنا زهرة، ومع «الرهينة» تحوّلنا رهائن، وأقلعنا معها عكس الزمن... وها نحن اليوم، نقول لها: إميلي نصرالله... أدامكِ اللهُ شجرةَ عطاء؛ وفي زمن الميلاد، شجرةَ ميلاد، نغتني بها، شعاعاً لا ينطفئ وولادةً لا تنتهي... والمجد للّه في العلى وعلى أرض الجنوب السلام، وأهلاً بك.

# الأب اسطفان صقر

في تكريم الأب الراحل اسطفان صقر،

بنتاعل في ١٩٩٦/٨/٣، والزمن زمن انتخابات... وصور

أيها الأصدقاء

أخطأتُ المناسبة، وأخطأتُ الطريق... كنتُ متوجهاً إلى بنتاعل، حيث يُكرَّم الفكر، ونُكرَّم به من خلال مجلس الفكر... ولكن عذراً، لقد أضعت الطريق: نحن، في زمن الانتخابات، حمّى وضجيج وصور، وكلنا نعمل من أجل الشعب، وفي خدمته.

بالفعل، كنت متوجهاً إلى بنتاعل، ولكن، إلى أين وصلتُ، لست أدري؟ ضباب وسحب ودخان... أين أنا؟ وإلى أين؟ لا، انها بنتاعل:

سكوت، سكوتْ،

لا ترفعوا الصوتْ،

لا توقظوا الراهبَ النائمَ في سكرته

سكوت، سكوت،

أخشى عليه أن يموت.

ومن جديد، إلى بنتاعل، نعود،

منها، وإليها، نعود

خفّفِ الوطءَ

إصغ إلى نسيمات العشية

إصغ إلى عصفِ المحبة، في المهود، وفي اللحود،

لا سدود، لا حدود...

لا... اخطأت المناسبة، إلى أين؟ والانتخابات؟ أبونا اسطفان، ما علاقتك أنت بالانتخابات؟

لماذا يا أبونا اسطفان، تضع هذه المواصفات للمرشحين.

اسمعوا الصوتَ الطالعَ من رحم التاريخ، يُعدِّد صفاتِ المرشحين:

١. أن يكون المرشح، أقله، ذا ثقافة جامعية، أو له انجازات حضارية، يمكن أن تصنّف بالمستوى الأكاديمي الجامعي.

٢. أن يقرأ كتاباً، أقله، كلَّ شهر، مثقِّفاً باعثاً على الخلق والابداع.

٣. أن ينشرَ بعضَ كتب قيّمة من تأليفه.

٤. أن يكفَّ عن الديماغوجية والوعود الكاذبة.

٥. أن يجمعَ حوله المثقفين - المثقفين، ويُصغي إليهم، ويجمع أفكارَهم في ما يسمّونه بنك الأدمغة.

٦- أن يكون رسولاً لمنع بيع الأراضي وقطع الأحراج وامتداد الزفت - آه من الزفت - حيث كان، ولوقف البناء الذي يسطو على الطبيعة بطريقة همجية بربرية، ولايقاف الكسّارات والمقالع والمصانع التي تعمل من دون أي تنظيم عقلاني مدروس، غير عابئة بصحة العباد وجمالات البلاد.

أبونا اسطفان

خلاص فلسفة... الزمن زمنُ ثرثرة، ما لنا ولهذه الشروط والمواصفات.

ويرفع صوته أكثر:

أيها السادة، رجالَ الحكم، تذرّعوا بالحكمة... كفّوا عن ايهام الشعب بأنكم محتكرو الحكمة وأنَّ من ليس منكم هو أحمق وجاهل. كفانا حمقاً واحتيالاً وتدجيلاً ومواربة وتسويفاً.

حكِّموا الحكمة واستنيروا بنورها، والا فحذارِ الظلام...

أبونا اسطفان

سكوت، لا ترفع الصوت، انهم هنا، مسؤولون عنا، يعرفون مصالحَنا أكثرَ منا، هم الأخبر، هم الخبراء والمخبرون، ليس صحيحاً، ما تقوله، بأن مملكةَ الفَقر تتسع وتتسع، وعدد المتضوّرين جوعاً يتفاقم ويتفاقم، باستثناء الذين يمتهنون اللصوصية، ويعدّهم الناسُ أذكياء، «مظبطين حالن»...

ليس صحيحاً، يا أبونا اسطفان، ان مجتمعنا يعجّ بباعة الهيكل، اللصوص، الكتبة والمرائين والفريسيين، الحيّات، أولاد الأفاعي...

هس، أبونا اسطفان...

آه، كم أنت شجاع، كم أنت في راحة، نيّالك.

نترك الهزل، ونعود إلى الجدّ.

أبتِ، أتحدّث إليك، وأهلُ التقى، لا يُتحدّثُ عنهم، إلا بالصمت.

وحدك جمعتَ الفلسفة إلى اللاهوت

وحدك جمعتَ كلمةَ العقل إلى كلمة الله

عظمتُكَ أنك المكمِّل لاثنين هما الكبيران الكبيران: أوغسطينوس والإكويني

أيها العاشق المميز،

كلُّ لغة غيرُ لغة الحبّ، لا تليق بك.

أيها الراهب التقي النقي، كلُّ لغةٍ غيرُ الصلاة، لا تليق بك.

أيها المعلّم المثقّف الفيلسوف، كلُّ لغة غيرُ الماء والصفاء، لا تستحق أن تكون لك حبراً.

أيها الساخر، على محبة غاضبة، كل لغة غير القلب، ليست لغتَك، ولا لغةَ هذه الأرض.

أيها المتواضع، على نبلٍ وجرأةٍ صقر وطفولة، كلُّ لغة غير لغة الطيبين، ليست لغتك، ولا لغة الأطفال.

أبونا اسطفان.

دعهم، في عالمهم، ودعنا منهم، دعنا معك.

وحدنا خسرناك: لبنان والفلسفة واللاهوت.

وحدنا، ولا مرّة ذكرناك، الا ولاح لنا ان عبقريةَ لبنان تدمع.

أحمل اليك تحيةَ صديقك سعيد عقل، مضمّخة بالحبّ والوجع، وهو يردّد لك ومعك:

الحبّ نحن شَرَعْنا، الحسن نحن بَدَعْنا
البغضُ نحن قطعْنا، انه العدمُ

من زهرِ لبنانَ خذْ عرشاً ومن قيمٍ
لا زهر لبنانَ منّا ولا القيمُ

# باسمة باطولي

في عيد البربارة، طرابلس في ١٩٩٦/١٢/٤،
وفي حفل تكريم بمناسبة صدور كتاب جديد لباسمة

أيها الأصدقاء

في عيد البربارة، آتية هي باسمةً دون قناع.

آتية، مكللة بالشوق، فلا وجهاً مستعاراً، ولا مساحيق، ولا أكاذيب شرقية...

آتية هي، عارية، صافية، نقية، إلا من ماء الورد وخمرة الحبّ.
هاشلة هي، كما بربارة، وفي قلبها شوق... تراه قدر القدّيسات أن يهشلن دائماً، للحاق بحبيب، يظلّ دائماً، خارجَ اللمس، وعلى حدود الهمس، وفي عالم الظن والرؤى؟

تُراني أكفر، أم تراني أدعوكم إلى تطويب باسمة الليلة ولمسِ أذيال ثوبها والاكتفاء؟

رحماك، اللهم، فما القداسة إلا الحب، وما الحبّ إلا القداسة، ومباركة الآتية، باسم الشوق والحبّ وطهارة الجسد.
أيها الأصدقاء.

باسمة لم تأتِ، مكللةً بشوك العذاب، ولا تئن من وجع الهجر، ولا تغضب من بعد وصدّ، انها آتية على صهوة الفرح، تعلن الحبّ حتى الموت، وتؤكّد لنا أن المسيرة لا تنتهي، وأن السنوات تزيد الخمر جوهراً ولذّة، وان الانتظار رائع المساحات، وانها القصيدة المفتوحة على الحرية والريح، وهي لا تزال... على موعد.

هذه المرأة لم تأتِ بداعي الوفاء؛ تذكّرني هنا بشاعرة صديقة حلوة، عراقية المنبت، لميعة عباس عمارة، وهي تقول:

كلانا كبرْنا،

كلانا اخترقْنا حدودَ الرياء،

إذا جِئتَني

قــلْ، هــو الشــوقُ، قــادَ خــطــوي الــيكِ
وأرجــوكَ، أرجــوكَ، ألاّ تــقــولَ الــوفــاء.

آه، ما أوجع الوفاء إن لم يكن مكللاً بالشوق:

«قــل، هــو الشــوقُ قــادَ خــطــوي الــيكِ
وأرجــوكَ، أرجــوك، ألاّ تــقــول الــوفــاء».

باسمة، آتية باسم الشوق.

فأهلاً بها

أهلاً بها شاعرة، رسّامة، فنّانة، معلّمة... وامرأة...

ولو خُيِّرت، والحديثُ همس، والكلام بسركم، لما تحدّثت إلا عن باسمة - المرأة، المرأة، بألف لام مكبرة. والمرأة، هي، في النهاية، بداية كل شيء.

والحديث عن باسمة - المرأة، فيه من الخطيئة لذّة التعرّف إلى امرأة استثنائية - واستثنائية جداً - وفيه من الخطورة، رهان على المغامرة والمقامرة، ومن هنا لذّة اللعب.

فلو كُلِّفتُ، أيها الأصدقاء، بمأموريةِ النفوس في مملكة الشعر، لحدّدتُ هويةَ باسمة على الشكل التالي:

- جنسيتها: لبنان وجبينُ حبيبها العالي

تُـراهُ مـن طـولِ مـا اشـتـاقُ رؤيـتَـه

غدًا... متى عدتُ... من عينيَّ يعرفُني

- عمرها: ولا خوف من الفضيحة، عمرُ قصيدة لا تعرف متى تبدأ ولا متى تكون النهاية.

- مهنتها: عاشقة ديمقراطية، ترفع الصوت، في زمن الكذب والقمع والتزوير، وتعلن أن للشفتين وظيفةً أخرى، غيرَ ملامسة الطعام، وان أجنحة العصافير أجملُ من المحابس والأقفاص. انها امرأة كل الفصول، أليست هي القائلة:

لئن يكن زمني كلَّ الفصول... فما

إلا على صهوةِ الإعصار... تلقاني

- شعارها: مع الحبّ حتى الموت... وأكثرنا، يا باسمة، مع هذا الشعار، وأعضاء في حزبك الكبير، ولو أعلنا العكس خوفاً من «شوبك» أو هراوةَ أو بندقية.

- برجها: برجُ الكبرياء والتحدّي. أليست هي القائلة:

عارفٌ مثل من أنا في النحل

فعلى من يودّني أن يُعلي

انَّ ملكي هذي السماواتُ حتى

تحسبَ الشمسَ والمدى... بعضَ ظلي

- هوايتها: المشاغبةُ على الكلمات، وتطويعُها، وعجنُها في قارورة العطر، وتمليس شعرها الأشقر، وشقعُ الجمالات ينابيع عطاء... واشرب، ما طاب لك، أيها الصبي العطشان.

- علاماتها الفارقة: جراح متعدّدة لا يلمحها إلا من يُتقنُ أبجديةَ العيون ويعرف التسلل إلى المسامّ الجلدية المضيئة على النار أو الرماد.

- ماذا تريد؟ تصرّح قائلة:

بـيَ ارحـلْ، عـقـدْتُ رحـابـي عـلـيكْ
لأنــي دروبُــك حــتــى الــيك

ألا ابــدأ بــذكــري اذا مــا تُــصــلّــي
كــأنّــيَ كــلُّ الســمــاءِ لــديك.

وأنا الليلة، أسمع الكلمة، وأصلّي: اللهمّ؛ دعني أسكتْ، فلا استرسل وأتمادى وأُكثر من الأخطاء... وعند ذلك لا أحد يضمن النتائج...

ويا باسمة

كلنا معك، وكلنا نحبّكِ.

وشكراً.

# بشاره حبيب (١)

في رحيل بشاره حبيب، في ١٩٩٧/٢/٦

بشاره حبيب اسمٌ للتاريخ والذكريات والحنين.

ما حمل في وجهه إلاّ ابتسامة، هي هي البشارة، بشارةُ الحياة والعمل والفرح،

وما حمل في قلبه إلاّ الحب، فكان الحبيب الذي يتوجّع، ووجعه لذيذ في خدمة الانسان ولبنان.

تُرى أي وجع كان وجعُه، يومَ خانه القلب، وكانت الإغماضة الأخيرة؟

من حيطوره إلى كل لبنان، كان مرصوداً من أجل الخدمة العامة:

والداه رصداه من أجل العلم،

أهله ورفاقه والأصدقاء رصدوه من أجل القيم والانسانية،

الدولة - أجل، الدولة - رصدته من أجل التربية،

زوجته والأولاد رصدوه من أجل الآخرين،

طلاّبه ومعارفه، رؤساؤه ومرؤوسوه، رصدوه من أجل المستقبل...

واستمرّ بشاره حبيب رجلَ العطاء، لا يهدأ، لا يستريح، ولا يستقرّ.

نلجأ إليه، عند كل صعوبة، فإذا هو رجلُ المشورة وصاحب القرار - وإن «جيّره» لغيره، تهذيباً وعفّةً ومحبة -

في كلامه، يتوارى صمت رقيق مؤلم؛

وفي صمته، كلماتَ توجعُ أحياناً أكثر من الكلمات.

مُتعِباً كان، وكأنه ضمير: انه الضمير الذي لا يسكت عن ظلم، ولا يجهر إلاّ بالحقيقة الساطعة.

صريحاً كان، على عدم وقاحة، لا سيما مع أصدقائه: ينبّه، يقوّم، يبتسم - وفي ابتسامته سخرية حيناً، وعتاب أحياناً - لكنه لا يُضمر إلاّ الخير والتقدّم.

مناضلاً كان، على عدم ادّعاء، وفي نفسه معاناة من يشاهدُ الانهيار ولا يستطيع أن يوقفَ الدمار، دمار الانسان قبل دمار الحجر.

وفي نضاله انتهى إلى... الشهادة: إنه شهيد العمل والتربية والثقافة.

اليوم، اذ استذكره واستحضرُه وأخاطبه، لا أبكي، بل أناديه بثلاثة:

- يا معلمي... شكراً لك.

- يا أخي... كيف حالك؟ وهل التقيتَ من تحبّ ومن كانت صورته تستوطن عينيك؟

- ويا بشاره... اشتقنا... كانت لنا مواعيد... اليوم خميس المرفع...

كاسك، وإلى اللقاء.

# بشاره حبيب(٢)

في احتفال تكريمي للراحل بشاره حبيب،

جامعة الروح القدس – الكسليك، في ١٩٩٧/٤/٢٠

يومَ أنتَ في ظلال الروح القدس، أنتَ في صلاة،

ويومَ أنتَ في أفياء روح بشاره حبيب، أنتَ في صلاة،

ويومَ أنتَ في جلجلة قانا، تنزف حزناً، ولا الدمع، وصليبُك بحجم لبنان، أنتَ أيضاً في صلاة.

خفِّفِ الوطء، وطأة الصوت، وهاتِ كلماتك همساً وقل:

سكوت، سكوتْ

الرجل الطيب يغفو

لا ترفعوا الصوتْ

نخاف عليه أن يموتْ.

أجل، أيها الأصدقاء، في الحديث عنه، نخاف أن يموت، ولهذا، لا نتحدّث عنه، بل اليه، حياً بيننا، وطلعةً كأنها نيسان، أناقة وابتسامة وحضوراً بهياً.

غائب هو، منذ مئتين وثلاثين يوماً... في رحلة هو... مُتعِب كالضمير، ولكنه لا يريح ولا يستريح... يفتِّش – وهو المفتّش – انها مخاطر المهنة – يفتِّش عن أحلام ضائعة... راحل هو، وراء خيالات، يودّ أن يحوّلها حقيقة... سراب وضياع: كل شيء ضاع هو وليده:

صورةُ لبنان الحلو، وليد

صورةُ جزين الموجوعة، وليد

صورةُ حيطورة الوديعة، وليد

صورُ الرفاق والأصدقاء والزملاء، وليد،

والكتابات والتقارير والحوارات والأمثولات... وليد. وتشعر، وأنت تتحدّث إليه، انه، في صمت القدّيسين، يجيبك بابتسامة طفلة، على جدّية كئيبة، وكأنه يهمس قائلاً: أنا من ضيَّع في الأوهامِ عمرَه.

تراها، أوهام؟ والمؤسسات، وعرق الجبين، وسهر الليالي: تراها أوهام؟ اللهم، غفرانك لنا وله، ولكننا موجوعون وجَعَ الوردةِ تُسحق، والبنفسجةِ تُداس، والعصفورِ يسقطُ قتيلاً.

بشاره، يا معلمي، يا أخي الكبير

أغنّيك، أصلّي لك، لا أبكي، لا أقف نادباً ورائياً،

أذكُرُكَ وأتذكّر، وهؤلاء الآتين اليك، بمحبة، فإذا أنت، في الأخيلة والأعين، أمير مجلس واستقامة وثقافة. تعاليمك والملامح، المشورات والفتاوى، محفوظات، لا في خزائن أو سجلات، بل في الضمائر والأفئدة، حيث للكبار، كبار الوطن، صدارة الذاكرة. ولم لا؛ وأنت، للمحفوظات، أمين وحارس وركيل وقف، لك من الورد، أن ترعاه وتسقيه، ولا تقطف، بل تكتفي بوليمة الشذا، فيا طيبَ يدك، لا تمتدّ إلى كنز، ولو حلا وغلا، وتعيش اليد على الحرمان والعفاف والشرف والطهارة، ويا رب: أعطِنا خبزنا كفافَ يومنا.

**بشاره، يا معلمي، ويا أخي الكبير**

**كتاب في الرجولة، كنتَ؟ عفوك، لا تزال... ولا نزال نقرأ، نحفظ، نتعلّم، نسير...**

**واليوم، نأتي اليك، يا أبا نديم، تتقدّمنا ليلي الفاضلة، هذه الشاهقة محبة وطيبة، هذه الشاهقة شهقةَ الشوق والحنان، وبرفقتنا، غياباً وحضوراً، أطيب الأطايب: رنده ومي وزينة ونديم، نأتي لكلمة حقّ ووفاء، في زمن ندر فيه الوفاء، لنقول لك، شكراً... وعفوك، إن أخطأ البعض وقصّر آخرون، فكلنا نحبّكَ... قامةً من قيم، وقلماً من كرامة، وسيفاً من حق... فأنت، لا لمرور، بل لحضور، والله معك... ومعنا... ومع لبنان... وشكراً.**

كأنّهُ كانَ في أرجائِنا النَسَمَا        إن مرَّ، قلتَ: أريجُ الوردِ صارَ حِمى

تزورُه تلتقي قلباً حلا، أَوَما        قالوا السما هي قلب حُلوُهُ ارتسما؟

يُحَبُّ، يبقى ببالٍ إنْ يغِبْ ويُطِلْ        للخيرِ كانَ يداً، للّطف كانَ فَما

الدارةُ هو فيها الرأسُ، علٌ بها        تغدو للبناتِ نهجاً يُنعِشُ الحُكُما

بشارةَ الحبِ، صلّ، أرضُنا وجع        ونحن للأرض، نبقى الأرزَ والعَلَما

# جورج غانم

بعد رحيل جورج غانم،

وفي ذكراه كانت هذه الكلمة، في ١٩٩٧/٥/٣١

«بَعُدْتَ بعدتَ

فلا الريحُ تحمل لي من شذاكْ

ولا الليلُ يُخبرني أينَ أنتَ

قبابُ بلادي سوادٌ سوادْ

وأرضُ بلادي رمادٌ رمادْ

وآفاقها في دنوّ اليكَ لترجعَ أنت...

اذا خلتُ أنّيَ أبكي

تذكَّرْ لأنكَ غِبتَ».

ليست هي كلمات للذكرى، بل للحياة...

ليست هي لي، ولا للآخرين، انها لجورج غانم،

كتبها سنة ١٩٦٠، نشرها في «مجامره»، ونستعيدها اليوم، وكأنها لا تليق الا به، ولا ترمز إلا إليه، ولا تعبّر إلا عن وجع الحنين.

عن هذه الكلمات، أتحدّث، اليوم، وأكتفي، وكأنني في لقاء خاص مع جورج غانم:

لقد ضاع الشذى... وضاع.

فاح عبقُ الورد... ثم ضاع.

الوردة سقطت في التراب، أما العطر... فللزمن والتاريخ والمدى... يضوع ويضيع، ولكنه، يبقى؛ يختفي، ولكنه، لا ينتهي، يستتر حيناً، ويستمرّ في فوحه الأبدي.

تلك حكايةُ الورد، وشعرُه الشذا.

أما الليل - يا ليل - فيتّضح على ضبابٍ ودخان وشموع مطفأة.

الليل الوفي، الطاهر، النبيل، الليل الصادق والصديق، ليل الأحلام وابداعات السكر والسهر، يتحوّل في لحظة إلى علامة استفهام:

أين أنت؟ والسؤال ليس مطروحاً على جورج غانم؛ إنه السؤال الأبدي الجارح الذي يدقّ على بقايا العمر، وينبض في تدفّق الشرايين، وينتفض في مسام الجلد، ولا جواب: رحماك، اللهمَّ، كُنِ الجواب.

أما بلادي، قباباً وأرضاً وآفاقاً... فحديثٌ للوجع، وللتاريخ...

جورج غانم، الجبلي الجردي، جليسُ الصخور وأفياء السنديان، صديقُ السواقي والعصافير وفراشات السنابل والزّال.

جورج غانم، العندليبي المنبت، الصنيني الهوى، البسكنتاوي على ضراوة في الايمان وحبّ الأرض، هذا «الغانم» محبة - ويكتفي - يحمل بلادَه جرحاً ينزف... ولا يزال. لقد تحطّم وطن - الحلم، رآه يحترق، قبلَ الحريق، ورأى الرماد... فلم يصدّق؛ تحوّل الشخص إلى مقاومة، تحوّل الفرد إلى مجموعة مناضلة، تحوّلت الكلمات إلى سيوف وسياط... ولكن... ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم، وخسر وطنه؟...

سقط الوطنُ شهيداً

سقط الحلم شهيداً

سقط جورج غانم شهيداً...

آه، كم الناس بسطاء؛ عيونهم لا ترى الا مذبحة الأجساد، أما مذابح الأرواح...

أما الآفاق، الآفاق التي لا تنتهي ولا تموت، فهي في التفاتة دائمة، في دنو مستمرّ، في مسيرة متجدّدة، إلى الرجل الذي غاب، وغداً يعود على فرس الشوق والشجاعة والخيال.

وتبقى الدمعة...

«إذا خلت ان بعينيّ دمعة... لأنك أنت بعيد»

من تراه يكون هذا البعيد؟

من تراه يكون هذا الغائب الذي يفجِّر غيابُه الدموع؟

تراه هو الحبيب؟ هو الوطن؟ هو الحلم؟

من كان يعرف ان جورج غانم يبكي؟

في شموخ الرأس كان عنواناً، وفي الكبرياء كان الفتى المدلّل، وفي عزّة النفس كان النار المتأجّجة... ولكنه كان يبكي، ولا نلمح دمعة...

آه من الذين يشربون الدمع، حتى الغصص، ولا يُرسلونَ حديثَ شفقة،

ويصرخ: يا ربّ، أبْعِدْ عني هذه الكأس...

ولكنه، لا يبكي.

يفترشُ الوطن صليباً... يحملُ صليبَه... يمشي...

وغداً... يوم القيامة.

# اتحاد الشعر اللبناني (٢)

مطعم تاج الأمراء
١٩٩٧/٦/١٤

أيها الأصدقاء

يا أصدقاء الليل والقمر والأحلام، مساء الخير، وشكراً لكم، تنتزعوننا الليلة من عناوين الصحف: اذلال الأمم المتحدة، استهتار الولايات المتحدة، غطرسة أولبرايت الشمطاء، بهدلة المليون وسبعماية ألف دولار ثمناً لدماء قانا وأطفالها،

من عالم الحزن والكذب والقبح والقمع، الى عالمكم الجميل...

الليلة شعر،

الليلة خمر،

الليلة حبّ وجمال... وغداً؟

آه من الغد، لندع المستقبل يتغاوى على خدّ طفلة، وفي لثغات صوتها، وشقاوة شعرها الأشقر، وتعالوا نسكر اللّيلة، مع ثلاثة: الشعر، المرأة، الوطن.

- **مع الشعر:** نحن في حفل شعري لبناني: هويته أصالة وأناقة، لغته، فصحى أم عاميّة، تحمل شذا وردة، تسلّل إليها الندى، ليلة أمس، خرمش جوريها الأحمر، لملم بقايا الغوى عن جسدها الطري، وطبع قبلة في مكان ما، ثم انتحى زاوية، يغني لها، حتى... الفجر.

الشعر، يا أصدقائي، شعر لبناني، فصيح أم عامي، لا فرق، لم يجنسه أحد، لم يتهمه أحد بانتحال صفة، ولم يستورده أحد، هو طفلنا الذي يحمل لون عينينا، وشيطنة أصابعنا، وهو شلة البراءة في صدورنا. انه الشعر الذي لا يطلب شهادة حسن سلوك، ولا اجازة مرور، ولا ورقة استخبارات، ولا رضى هذا أو ذاك، هو الطاعن والمطعون معاً، كما هو السكين والجرح والوجع. انه الشعر المشاغب، غير المدجن، والذي يتقن الصراخ والاحتجاج والرفض، حتى «اللاّ» وحتّى الغضب الواعي، وحتى الجنون.

إنّه الشعر الذي لا لغة له، إلاّ لغة العيون ولغة الشفاه ولغة اللمس. بعدها، ما هم، من أين نستورد قارورة العطر وكحل الجفون وأحمر الشّفاه وطلاء الأظافر؟ هذه اتركها لمن يريد، تفاصيل وأزياء، أمّا نحن، فيا رب، أعطنا خبزنا كفاف يومنا، ونكتفي بالحبيبة، عارية، بريئة، طيبة... ومن كان منكم بلا خطيئة فليرجمني بحجر...

- **ومع المرأة**: يا أصدقائي، كلّكم أصدقاء، وحدها، المرأة، شأن آخر. لولا المرأة، يسقط الشّعر. هي التي تمسحه بنقاوة الماء، لتنفض عنه غبار الصّحراء، هي الّتي تتمرّى بالقصيدة وتتحكّل،

معها يتحوّل الحبّ إلى فضيلة، دونها، العالم رذيلة وفضيحة،

معها تولد أبجديّة جديدة في الغزل، دونها، الجهل والأميّة والتوحّش.

لا أتصوّر الحبّ إلاّ ملوّناً بضحكة امرأة أو بجغرافية جسدها. كونوا في سكوت أيّها السّامعون، أيّها الشّعراء، واصغوا إلى صوت المرأة، صمتاً وهمساً وصراخاً... انصتوا أنتم، ودعوا التنصت لهم. هنيئاً لمن يعيش عمره في جامعة الحبّ، أو في مدرسة المرأة، لو كان لي الخيار، لتكاسلت عن قصد، وفضّلت إعادة الصف، نصف قرن آخر، حتّى لا أتخرّج أبداً. ومن له أذنان سامعتان، فليتنصّت...

- **ومع الوطن:** أيّها الأصدقاء، وطن الشعراء سماء الابداع والفنّ والجمال، حرام أن يتحوّل الوطن إلى وطن مستنسخ... استنسخوا كلّ شيء إلاّ الحبيبة والوطن. إلى هذا الوطن ندعو بعضنا، لنبنيه من جديد، وطن حريّة وكرامة وسلام.

لن نبيعه، ولن نرهنه، ولن نؤجّره، ولن نستبدله بآخر. وطن - الشعر هو التعويض الوحيد عن كل البشاعات: عن الحرب، عن القتل، عن الموت.

أنتم الشعراء المتّحدون، قادرون بالكلمة الواعية، على التصدّي لبشاعات هذا القرن الراحل. رصاص أقلامكم أقوى من رصاص مسدّساتهم. أوراقكم البيضاء أنظف من دولاراتهم الملوّثة، أصواتكم المدوّية أفعل وأنبل من أبواقهم المستعارة، كؤوسكم البيضاء أطهر من جيوبهم المكتنزة.

أيّها المتّحدون

كلمة أخيرة... في السّنة القادمة، نأمل لقاءكم على طاولة عمل مؤسّساتي يكرّس أولويّة الفنّ والشعر. لا تنتظروا ترخيصاً أو مرسوماً، تعالوا نعمل معاً يا أبا خليل، يا أيّها الأصدقاء، يا أيّها الكبار قدراً والتزاماً وشرفاً، الشّعر اللبناني على منعطف دقيق أو منزلق خطير. قيادتكم هي المسؤولة عن عمليّة الإنقاذ. ومعكم نردّد دائماً، وبلغتكم الحلوة:

لضياعنا الخجولي، ركعت وصلّيت

للحلا للطّفولة، ركعت وصلّيت

لسيوفك البطولة،

وعيونك يندهولي،

هوني السّما قريبي، بتسمعنا يا حبيبي.

بمجدك احتميت

بترابك الجنّي

عا إسمك غنّيت، عا إسمك رح غنّي

وإحمل بإيدي كاسك المليان

وإرفعو لفوق، لفوق،

لمطرح البيوقف الزّمان

وإسكر بإسمك مجد، يا لبنان.

# وليد غلمية

في احتفال أقامه نادي الليونز برعاية السيدة منى الهراوي،

مار روكز في ١٩٩٧/٦/٢٨

أيها الأصدقاء

يا أصدقاءَ الليل والموسيقى والشعر،

يا أصدقاءَ وليد والحب والجمال، مساء الخير

وشكراً لكم، أيها الليونزيون المميزون، تنتزعوننا الليلة، من عالم السياسة والاقتصاد والعناوين السوداء، وترتفعون بنا إلى المدى الأزرق، حيث للنغم وقعُ الصلاة، وللكلمة سحرُ عيني امرأة، لا هي تنام، ولا تدع أحداً ينام.

أيها الأصدقاء

وليد غلمية من أهل النغم... حرام أن يُتَحدّثَ عن هؤلاء بغير النغم، وظالمٌ أن يُخْتَصَروا، بألفاظ وعبارات.

تقترب إليه، تحاول الدخول إلى عالمه، تخال نفسك على عتبة كنيسة، يمتلكك الصمت... تراه يصلي، أم في سكرة ابداع؟ في الحالتين، كونوا في سكوت أيها السامعون، مبارك الآتي باسم الوليد... ويا أذني، اصغِ جيداً، فالصمت ينبئ بمهرجان،

ويا رب، أعطِنا خبزَ الجمال كفافَ يومنا، ولن نستزيد...

ويسألني الأصدقاء: ولم اسمه وليد...؟ لست أدري... ما أعرفه عنه، انه تآخى والموسيقى، حتى لتخالهما في عناق واتحاد، ولا تعرف من هو الوليد، هو أم

هي؟ كلاهما وليدان، وليد من وليد... انها آية الخلق، ولا كفر... فالفن من مصهر قلبه، من عصارة علمه، من جنون عبقريته؛ فلا انتحال صفة عند وليد، ولا انتهاك لاسم، ولا استعارة من أحد، ولا استيراد أو استئجار؛ ولا تجنيس أو تجنّس. إنه من وليد غلمية الجنوبي اللبناني، ومن يُصغِ جيداً، من ينصتُ بمحبة، ولا يتنصّتُ بحسدٍ وعقدةِ نقص، يكتشفُ أن موسيقى الوليد هي بعضُ شخصيته التي تجمع بين الأصالة اللبنانية والثقافة العالمية، بين العفوية الشرقية والأناقة الغربية، بين الجدّية الرصينة المتشدّدة والوجدانية البريئة الطالعة من ورقة تبغ أو من عطر زهرة ليمون... ولا تنس، وهنا عملقة وليد، ان هذا الرجل يؤَمِّن شيئاً من الاستحالة أو الأعجوبة عندما يجمع بين شخصية العالم المعلم وبين شخصية الفنان الذي لا يعرف حدوداً ولا ضوابط، ولا يؤمن لا بشهادات حسن السلوك، ولا باجازات المرور، ولا برضى هذا أو ذاك. وليد غلمية العالِم هو نفسه وليد غلمية الفنان، وكلٌّ فنان في العمق، هو رجل مشاغب، رافض، غاضب، متوتّر، ولو تحت قناع الجدّية والمسؤولية الادارية.

اسمح لنا، سعادة الرئيس - آه كم هي موجعة لفظة «سعادة» في هذا الزمن - اسمح لنا أن نقول لك، وبصراحة: سقط القناع... لن يبقى الا الفنان... المواهب، ولا المناصب... لولا الموسيقى لكانت الحياة خطأ يقول نيتشه، خطايانا والأخطاء كثيرة، ومع ذلك نقول ان الوظيفة ليست خطأ عندما تكون تضحيةً ورسالة وتجربة عطاء تُسهم في بناء لبنان.

أجل، أيها الأصدقاء، وليد يحاول، من خلال رئاسته للكونسرفتوار الوطني، أن يبني لبنان - الحضارة والرقي والجمال. إنه لبنان الجديد، لا لبنان المُستنسخ... حرام أن نستنسخَ وطناً أو حبيبة، مهما كانت «دولي» جميلة وشقيقة وصديقة. حطّموا كل الآلات الناسخة، ومزّقوا كل أوراق الكربون، لبنان لن يكون نسخة عن وطن آخر؛ اما أن يكون لبنان الفرادة والحرية،

واما لن يكون... وسيكون، كما نشاء أن يكون، وكما يحلم به وليد غلمية ورفاق وليد، فنانو لبنان ووجهه الساطع، في عتمة بشاعات نهاية هذا القرن.

فيا أيها الأصدقاء، علّموا أولادكم وليد غلمية وموسيقاه، وسترون أن نسيماً من لبنان يرتعش على أوتاره، فلا تضيع أصالة، ولا تسقط كبرياء أمام جهالات بعض الصرعات الموسيقية الحديثة.

تراني، امتلكني اغراء الكلام فاسترسلت...

عفوكم، أيها الأصدقاء، اختم بثلاثة:

**الكلمة الأولى:** للبنانية الأولى: منانا أن تبقى منى هراوي، هذه الأميرة غير المتوجّة، علامةً فارقة ومميزة في رعاية الانسان اللبناني، فناً وجمالاً وصحةً وعافية، وأخاف أن أقول فأغالط نفسي، اننا في الغد، وخوفاً من أية عقدة نقص لأية لبنانية أولى جديدة، سنعود إلى استنساخ السيدة منى.

**الكلمة الثانية:** لنادي الليونز، أن يستمرّ، كما هو اليوم، رائداً في تكريم المُبدعين... فكلنا زائلون الا هؤلاء، ونحن اذ نكرّمهم، إنما نتكرّم بهم، ونتمرّى بفنونهم وجمالاتهم. فشكراً وتحية من القلب.

**والكلمة الثالثة:** لأخي وصديقي الدكتور وليد... يقول بيتهوفن: الموسيقى حديث الملائكة. أنا أعترف: لست ملاكاً، ولكنني ببراءة الملائكة، أقول لك: نحن نحبّك... وسنبقى.

# فريد مطر (١)

في ١٩٩٧/٩/٢٢

الشهادةُ به شهادة علينا، وبين الشهادتين أحلام وأعمال، ولا انتهاء أو انقضاء.

يكادُ يكون هو الشهادة: شباباً وعمراً، عرق جبين وعطاء نفس، كرم يد ونبل مقاصد... وفي جميع الحالات، شهيد في سبيل الانسان ولبنان.

لم يبدأ صغيراً... إنه قدر الذين يولدون كباراً، فكأنهم والدور على موعد... وما الحياة ان لم تكن دوراً نلعبه، تحقيقاً لذات وايماناً بهدف؟

بدأ نسراً، ولا يزال... تراه مربى الصخور، وهو اللاعب أبداً في مدارجها حتى الاتهام: لا يقف إلا على صخر؟ مباركة تهمة هي بعضٌ من عظمة الجغرافيا في تسلّقها سلالمَ التاريخ...

من اللقلوق، انطلق - أقول - أم من لبنان؟ وما الفرق، وكلّ حبة تراب من هذه الأرض، هي، في قلبه، لقلوق ولبنان...

في صدره العريض غمارٌ من الحب، حتى ليكاد يوزّع... ويا صاحبَ الرساميل، أيها الطيب المجنون، هاتِها من قلبك، لا من يديك، ولتهنأ حاجات النفوس، في زمن التفاهة والمادة والشخصانية الرخيصة.

عَبَرَ القارّات، اجتاز الصحارى والمحيطات، هزأ بشاسع المسافات، وأبى الا أن يحطّ في لبنان من جديد. إنه الاغتراب؟ ظالمة هي اللفظة وموجعة. انها الهجرة؟ ومن يَهْجر منْ؟ ومن يُهَجِّر منْ؟

إنه الانتشار؟ أجل، وفيه بعضٌ من نشر الجناحين ونشر العطر ونشر الحضارة... مبارك هو التاريخ يلامس الأسطورة، حتى لكأنهما صناعة لبنانية، ولا اقتباس أو تقليد.

في كراكس، هو؟ إنه لبنان يعانق الحلوة الأميركية، وفي العناق بعض من سحر الشرق وطيب الأرز وروحانية الأودية المقدّسة.

ماذا حمل معه؟ في عينيه تستوطن شامخاتُ الجبال، وفي أحلامه تتهادى رؤى المجد، وفي قلبه حبّ كبير... ويا أيها العاشق... هنيئاً لك، لقد وصلت في الموعد المحدّد... وقلبُ الصبية في انتظار.

خمسة وأربعون عاماً من العطاء والحب... والثمرة: فرادة لبنانية من رجل «فريد» على أصالة واختمار وسموّ.

الرجل - المؤسسة، الابداع لا الاتباع، المواهب لا المناصب، الشرف لا الترف... ولبنان - الايمان والسلام والحرية...

ويقول: لنزرع لبنان... ويفعل، فإذا بها تشمخ، كالأرز، صروحٌ، لا من حجر فحسب، بل من فكر وحضارة وجمال.

حسبه انّه ما عرف البخل يوماً، ولا تردّد في بذل، فكأنه يحمل همومَ المجد، ولا يبتغي...

ويومَ لبنانُ في ظلم وظلمة،

يومَ لبنانُ في ضياع وتمزّق،

يوم لبنانُ في حرقة ولهفة،

يوم لبنانُ في وجع، وكأنه «الآه» في زمن الولادة،

يومها نتطلّع إليه... إلى فريد مطر، أن: تعال.

تلك هي الشهادة به، نسراً من لبنان، وتلك هي الشهادة علينا: إنه الكبير الذي نحتاج إليه.

ويا فريد، يا ابن كنعان - الشهامة والرجولة والصلابة،

لن أدعوك، باللقب، ولا بالأخوّة العائلية، ولا بالهويّة التنورية واللبنانية،

أدعوك، باللمسة الانسانية الحقة، أن تعال: لبنان يشتاق بعض الحرية والسلام والابداع... هو يستحقّ، وأنت لها... ونحن نحبُّكَ.

# الأب يوحنا قمير (٢)

في احتفال نظّمه مجلس الفكر بعد صدور كتاب «الهند»
للأب يوحنا قمير، في مبنى قدامى الحكمة - الأشرفية،
في ١٩٩٨/٣/١١

أيها الأصدقاء

آتٍ هو من الجرد، وبين يديه كتابٌ عن الهند،

آتٍ هو من أمامِ مذبح ومن كرسيِّ اعتراف، وبين يديه كتابٌ طالعٌ من وراءِ معبدٍ سحري، أو من بابِ عرّاف.

آتٍ هو، يحملُ ستّين عاماً من النذور، وعلى أصابعه بقايا ميرونٍ وحبرٍ وبخّور - هل تَعرفون كيف يمتزجُ الحبرُ بالبخور والميرون؟ - وبين يديه كتابٌ عن هؤلاء الهنودِ الكبار، الخارجين من مرايا الأسطورة، وعُريِ الجنّيات وصراعاتِ الآلهة.

آتٍ هو، وخمرُه معتّقةٌ في دِنانِ الروحِ والفكر، وجسدُهُ موشومٌ بجراحِ الحبِّ والحرّية، نقيّاً كما عينُ ماء، متوهّجاً كما كأسُ نبيذي صباحي، مترفّعاً كما الصلاة، رقيقاً كما الحلم، هادئاً على حَذَرٍ وأناقةٍ نبيلة مميّزة، كما لو انَّ الزمنَ طويل، والسارقَ لن يأتي، أما العاشقُ فيصلُ دائماً متأخراً.

آتٍ هو، وسلاحاه مِسبحةٌ وقلم: مسبحةٌ كادت حبّاتُها تُمّحى من تمتماتِ تأوهاتٍ وتراتيل، وقلمٌ يضارعُ المسبحةَ عطاءً وخصوبة، وهنيئاً لك، يا رابحَ الهُنا والهناك، إما كتبْتَ وإما صلَّيت.

آتٍ هو، والوَزَناتُ خزاناتُ كتب، غبارُها أثلامٌ على الجبين، والمتواري في ضبابِ «الأفياء» ينادي: فكِّرْ معي، ما أمسي وما غدي، الزمانُ ذلك النحّات، والطريقُ طويل: من سقراط إلى ابنِ خلدون، مروراً بيسوع ومُستقِرّاً، وصولاً إلى جبران، إلى طاغور، إلى نيتشه... والبيادرُ عطايا. مبارك الآتي يجمعُ حبّاتِ القمح، لا ليحبسَها في صناديقَ وأهراء، بل ليوزّعَها قرابين... وكلُّنا، اليك، يا ربُّ فقراء.

آتٍ هو اليوم، متأبطاً ذراعَ كاليداسا، شاعرِ الهند الأكبر، بعد ألفٍ وستماية سنة على رحيله، وقد تعالى صوتُه متغزّلاً بجسدِ حبيبته، العينين، الشفتين، العنق، النهدين، الخصر، الذراعين، الساقين... وحدِّقْ أكثر:

رقّ فِــمــســتــانُــهــا حــتّــى إنْ تــنــهّــدَتِ ارتــفَــعْ

ولا يتردّد «أبونا حنّا» من أن يدخل بكاليداسا إلى كرسيّ الاعتراف: خطيئتي الوحيدة انني أحبُّ حبيبتي... يمنحُه البركةَ والغفران، ومتى كان الحبُّ خطيئة؟ وهل تُمحى الخطيئةُ إلا بالحبّ؟

أبونا قمير، ماذا تفعل؟ كيف ترافقُ شاعراً بمثلِ هذه العربدة، كيف تترجمه، كيف تقدّمُه مفسدةً للأجيال الجديدة؟

إصمتْ... يرنو الأبُ يوحنا، إلى «مجدلي» الهنود، ثم ينظر إلينا قائلاً: مَنْ كان منكم بلا خطيئة فليرجمْهُ بحجر؟ أليستِ المجدليّةُ جزءاً من لاهوتِ الخلاصِ المسيحي؟

أجل، يا أصدقائي، هذا هو يوحنا قمير: صادقٌ، حقيقيٌ، استفزازيٌ، شفّاف لا يعرف التواطؤَ والخبث، يدقُّ بمحرّماتِ الفرّيسيين، يتمرّدُ على تقاليدَ بالية، وكما هنديّ عتيق، يحبسُ نفسَه، ليالي وصباحات، يحفرُ اللّهَ في ذاته والانسانَ معاً، ويخرجُ علينا، هذا الرصينُ الهادئ، متأجّجاً بالشعر، مسكوناً بجمالِ الانسان.

منذ اتّخذَ يوحنا قمير، قرارَه الثُلاثي الأبعاد: كاهن الربّ، معلّم الأجيال، رجل الفكر،

ونحنُ نتآمرُ معه على نفسه، ونسجنُه في زوايا ثلاث: زاويةِ الكنيسة، زاويةِ الصف، زاويةِ الفارابي وابن سينا والغزالي...

ولم نعرفْ - أو لم نحاولْ أن نعرف - ان هذا السجينَ المميّز، متعدّدٌ في هويته، على تنوّعٍ غنيّ في مواجهةِ الزمان: معلّم، فيلسوف، رجل دين، عالم، شاعر، لغوي، مترجم، فنّان... وزِدْ، وزِدْ، عاشقٌ سكران، بالطبيعةِ حيناً، بالانسانِ أحياناً، وباللّه في كل حين.

مع كاليداسا، يوحنا قمير هو العاشقُ الشاعر. يقول كاليداسا: تأنى خالقُ الكون، ومنحَ المرأةَ جمالاً فريداً، وهو يعجزُ دونَ ريبٍ من أن يقاوِمَ شهوةَ التأمّلِ في هذا الجمال...

ونحن مع الأب قمير، نَعجَزُ، ودونَ كِبرياء أو خجل، من مقاومةِ جمالها: هي المرأةُ - الأم، والمرأة - الأخت، والمرأة - الصديقة، والمرأة - الطالبة، والمرأة - الحبيبة... وهي فوق ذلك، المرأةُ - العذراء، وقداسةُ جسدها فوقَ كل وصف وتعبير، ومباركةٌ أنتِ بين النساء.

أجل، يا أبتِ،

أنتَ، في «تنورينك» الخصبة، في «لقلوقك» الشاهق، في علّيتك الهادئة، في جيرتكَ للصخور والينابيع والشجر، باحثٌ عن الجمال، صائغٌ له.

تبحث عنه: في حجر صغير، في زهرةٍ برّية، في مغارةٍ مهجورة، في أغنية عصفور، في وجهِ طفلٍ خمّرتْهُ الشمس، في عينَي صبيّةٍ مجنونةِ الأحلام، في لفظةٍ فلاّحية عتيقة، في صلاةٍ عفويةٍ هامسة...

وتصوغُ لهذا الجمالِ تمثالاً من كلمات، على سخاءٍ في المعرفة، واقتصادٍ في التعبير، كما لو انّ الشعرَ عذراءً تبخَلُ بشفتيها، وتهِمّ... فلا تقعُ إلاّ على زهرةِ شوقٍ أصيل.

هذا هو فنُّ التنسك، عندَ يوحنا قمير: فبالحبّ والجمال تكتملُ شخصيةُ الناسك الذي يتعبّد للّه، لا هرباً ولا أنانية، بل محبةً بالانسان، ومن أجلِ خلاصه.

فيا أيها الأصدقاء،

يا طلاّبَ هذا المعلم...

درِّسوا أولادَكم كُتُبَ يوحنا قمير، تدرِّسوهم قيمَ الحقِ والجمالِ والحبِ والحرية والايمان.

علّموهم يوحنا قمير... إنه مستحِق.

ويا كاليداسا

طوبى لك، لقد جاءك من استطاعَ أن يوقِظَ فيكَ الحياة، بعد غفوةِ الموت وشرنقةِ النُسيان.

ويا أيها الكاهنُ الذي به اليومَ، نتكرّم:

شكراً لك، وعفواً: فأهلُ الحبِّ والجمال يُتحدّثُ عنهم، بحبٍ وجمال... فاغفُرْ لي.

ويا أبتِ

رِضاك.

# كمال يوسف الحاج

في مقدّمة كتاب عن كمال يوسف الحاج، جمع عدّة دراسات

ألقيت في جامعة سيّدة اللويزة، في ١٩٩٨/٣/٢٦

لا لتمهيد، أكتب هذه الكلمة، ولا لتقديم، بل للتعبير عن ذكرى غالية، وندمٍ موجع، ومحبّة صادقة.

كمال يوسف الحاج كان معلّمي، في كلية الآداب في الجامعة اللبنانية، خلال الستّينات من هذا القرن.

والمعلم كمال يوسف الحاج لم يكن «أستاذ» مدرسة، ولم يكن قطاراً لنقل المعلومات، أو آلة تسجيل تُفرِغ ما عندها في آذان الطلاّب وأذهانهم.

هذا المعلم كان «رجل» الصف - إن لم أقل «رجل» الجامعة -: ثقافة، موقفاً، حواراً، استفزازاً وإثارة للموضوعات الشائكة.

بعضُ المعلمين - ويا للأسف - يمرّون، في الصف، وفي ذاكرة الطلاّب، لا لونَ لهم ولا طعم ولا رائحة... حتى الاسم يُنسى، وملامح الوجه، والمميّزات الخاصة...

أما كمال يوسف الحاج فكان معلّماً من طراز آخر: لا يمكنك أن تتجاهله، أو تقف منه حيادياً، أو تُهمل كلماتِه...

ومن الطبيعي، بل، ربّما، من طبيعة حتميّة صراع الأجيال، أن أصطدمَ، بنزقي وتمرّدي وثقافتي المتواضعة، بعظمة شخصية معلمي وبثقافته العميقة.

ولستُ أدري أيّة أسباب أوصلت هذا الصدام إلى نوعٍ من الموقف السياسي - الفكري المعارض تماماً لايديولوجية الدكتور كمال القائمة على التحليل الفلسفي المسلّح بالتاريخ واللغة والثقافة العالمية.

وأجمل ما في هذه المرحلة أنّه، وهو الكبير على وداعة وتواضع، كان يستمع إليّ، ولا غضب في عينيه، ولا رفض في قلبه.

وأمام المتحف الوطني، على تقاطع الطرق، نلتقي يوماً: هو في طريق عودته من كليّة الآداب، قرب الأونسكو، وأنا في طريق توجّهي، في الترام، إلى تلك المنطقة. ويدعوني، بصداقة أبويّة وبلطف حنون، إلى منزله القريب، لتناول فنجان قهوة...

وأدخل معه...

ومنذ ذلك اليوم، أصبح منزله محطّ تطلّعي، أقصده مستزيداً مستوضحاً، وإن عاندت في موقف أو في مبدأ أو في استنتاج.

حوارات متعدّدة كانت تقوم بيننا، يشارك فيها، أحياناً، عدد من الزملاء... كانت الحريّة، حرية الرأي والمعارضة، القاعدة التي ننطلق منها والتي شجّعنا عليها الدكتور كمال، حتى ولو كان الرأي معارضاً أو مخالفاً.

وأذكر أنني تصرّفت مرة، في حملة انتخابية جامعية، وأنا رئيس رابطة الطلاّب، بما لا يتوافق مع احترامي العميق لشخص الدكتور كمال الحاج. لقد أوقعتني «زلّة اللسان» - وأنا، في حالة توتّر - بما لا يُرضي ضميري وبما يشوّه حقيقةَ القيم التي أتسلّح بها.

باختصار، «كبّرت الحجر»، وحاولت التصويب، كلاماً، على الدكتور كمال، بدل التصويب على زملائي الذين يخوضون المعركة ضدّي وضد رفاق آخرين.

ولم يغضب الدكتور كمال، استمرّ على هدوئه ورصانته وتواضعه... وهذا ما أغضبني وجعلني حزيناً، رغم فوزي في الانتخابات الطالبية... وماذا ينفع الانسان لو ربح أصوات زملائه، وخسر صوت الضمير وهو يردّد: لا، لقد أخطأت...

أجل، أخطأت. أعترف بذلك بعد ثلاثين سنة، وأذرف دمعتين مع كلمتين:

الدمعة الأولى، دمعة ندم واعتذار

الدمعة الثانية، دمعة حرقة وحزن.

أما الكلمتان:

فكلمة من حبر أقول فيها لفيلسوفنا الكبير: شكراً.

أما الكلمة الثانية، فملوّنة بدم كمال يوسف الحاج، الدم البريء الطاهر البطل، ومرسومة كإكليل على قبره: من أجل الكلمة والحرية والحق ووحدة لبنان، استشهد كمال يوسف الحاج.

لعلّ هذه الكلمات، اليوم، تكون شمعة على تراب الشبانية، وقبلة على شجراتها الطاهرة.

# رودي رحمة

في حفل أقامه نادي الليونز تكريماً لرودي رحمه،

غابة أرز الربّ، في ١٩٩٨/٧/١٢

... وأنتَ تدخل غابة الأرز، تفتح صدرك على المدى والريح والضوء،

قاديشا صلاة على شفتيك،

قنّوبين سرّ في أعماق روحك،

بشرّي تغريك أن استقرّ،

خفّفِ الوطء...

الأرض تتنفّس قداسةً،

حدّقْ في الحلم والخيال،

إصغِ جيّداً، حديثَ هامس بين جبران ولامارتين،

إصغِ أكثر:

- هذه ضريبة الجنون، يا جبران، قلتُ لكَ، مرّات ومرّات: كفى ثورة، كفى تمرّد، كفى احتجاج وعصيان وقيادة مظاهرات... عالم فاسد، حقارة، نذالة، تخلّف، أظافر، أسنان مسوّسة...

اسكتْ، احبسْ كلماتِك، كلماتك تحريضية مثيرة...

تكسّرتِ الأجنحة، ولا تزال شهوة المجهول تعصف بك...

أسكت، أجهزةُ التنصّت تُحصي الأنفاس والكلمات والحركات... بعد قليل، يـأتـيك زوّارُ الـفـجـر، بـكـلابِـهـم الـبـولـيسـيـة المـدرّبة، والسلاسـل، والـقـيـود... واتّهامات...

بحقّ من تحبّ، بيسوع، بأمّك، بعيني حبيبتك، برحمة سلطانة... أسكت، ألا ترى سكاكينَهم؟

عُد إلى مار سركيس، توسّد التراب... المقبرة أكثر حرّية...

ينتفض جبران:

- ماذا تريد يا ألفونس دو لامارتين؟ من باريس إلى هذه الغابة، لتعظَني؟ رحلة طويلة، من الغرب إلى الشرق، لتخنقَ لي صوتي؟ ألم تهرب خوفاً منهم؟ هل سمحوا لك، أيها الرومنطيقي الموجوع، بلقاء من تحبّ؟ ألم يبثوا حولك الجواسيس ويزرعوا الإشارات الحمراء، ويرشّوا جسد حبيبتك بـالاشـاعـات والـوحـل والـحـبـر الأسـود؟ ألـم يـعـتـبـروا الـحبّ فـضـيـحـة؟ ألـم يعتبروا العاشق المسافر في عيني صبيّة حلوة ممنوعاً من التجوّل؟ ألم يؤكدوا لك أن القبلة خطيرة كالقنبلة، وان الأهداب والشفاه خارجة على القانون؟

هـربت مـنـهـم لـتـهـدّدنـي بـهـم مـن جـديـد... عُـدْ إلـى بـاريسك، أيـهـا الـعـاشـق المكسور، ودعني، مجنوناً كافراً، يقاتل من أجل الايمان والحبّ والانسان.

إصغِ أكثر: صبيّ مشاغب شقي، مهوشل الشعر والحركات اسمه رودي، يـتسـلّـق شـجـرة أرز، يسـتـمـع، يـخـتـلـس الـنـظـر، يـراقب جـبـران ولامـارتـيـن، المجنون والعاشق، يمتشقُ غصناً، يتحوّل الغصنُ في يد الصبي إلى قلم، إلى ريشة، إلى إزميل، تجتاحه عاصفةُ غضب وحب وكبرياء... يتحوّل رودي، التلميذ المهذب في مدرسة عينطورة، الهادئ الطائع لأستاذ الأدب العربي، إلى كتلةِ أعصاب ناريّة: يختزلُ الزمن، يخربطُ الأشياء، يحطّم الطباشير،

ينظر إلى عيني صبيّةٍ صغيرة في ذلك الصف، يكسر زجاجَ النافذة، يطير... فضيحةً خطيرة: قرّر رودي أنْ يرتكَبَ الفن، أن يخترقَ الخطوط... أن يدخلَ في ينابيع القلب وجذور الروح وأقاليم الجسد العاري... أن يكون هو هو، المجنون العاشق... مبارك الآتي باسم الحب والجنون، مبارك الآتي باسم الابداع والفن.

أيها الأصدقاء

هذا هو رودي رحمة،

لو شئتُ أن أختصرَ بطاقةَ هويته، في كلمات، لقدّمتُه لكم على الشكل الآتي:

**زمن الولادة:** تذكّروا معي... زمن العاصفة والزلازل والأساطير.

**مكان الولادة:** هذا الجرد المتعالي إلى حدّ السماء والألوهة.

**العائلة:** فلاّحون طيّبون على صداقة مع الصعتر والحبق والتفّاح والأزهار البريّة.

**لون عينيه:** لون لبنان ولون الطفولة، وبعض من مرايا الحنين والدمع والياسمين.

**محل إقامته:** غمامة مسافرة نحو الحلم.

**شهاداته:** إجازة في الحب، وأخرى في فن الملامسة، ورقاً أو حجراً، شجرة أو امرأة، وثالثة في الجراح.

**مهنته:** غجري يمارس الصراخ، يُتقن أبجدية الحب، يُدمن خمرَ الابداع ونزفَ الشرايين، يحترفُ لملمةَ الجمالات الاستثنائية، ويقف وحيداً، وحيداً، وحيداً تحت أمطار الحزن.

**علاماته الفارقة:** اتحاد مع الشعر حتى لا تكاد تميّز بين الكلمات والصوت. واصرار على استخدام الأصابع الخمس والحنجرة الهائجة في زمن التدجين والترويض والتزوير وقطع الأصابع واغتيال الأصوات.

**جدول أعماله:** شفتان - أرزة - صليب - مجموعة أزهار وعصافير... وصرخة «لا».

**١٢ تمّوز ١٩٩٨:** دعْهم يراهنون في المونديال... من يفوز؟ فرنسا أم البرازيل؟ وحدنا نحن، مع هؤلاء الليونزيين الملتزمين العمق الانساني، ونبلاء الفكر والفن، نفوز برودي رحمة، ونحتفل، لا لنكرّمه، بل لنتكرّم به.

ويا رودي،

أيها الطفل الشقي،

اسمح لي، أنا أستاذُك الذي أفخر بك وأعتز، أن أقبّلَ يدَ أمّك، وجبهة أبيك ووجنةَ حبيبتك، والقلمَ الذي به تكتب وترسم،

اسمح لي أن أبوسَ جسد هذه الشجرة بكل مغاورها السريّة، وترابَ هذا الجبل الطيّب بكلّ ما يختلج فيه من وجعٍ وعنفوان.

ويا ربَّ الأرز

احفظْ أرزَ الربّ ولبنان، إلى أبد الآبدين، ودهر الداهرين. آمين.

# سليم أبي عبدالله

بعد صدور ديوانه الشعري، أقيم احتفال في جبيل،
ألقى خلاله المؤلف هذه الكلمة، في ١٩٩٨/٨/٢٧

أيها الأصدقاء

ليس صديقاً لي هو، ولا زميلاً، ولا معلماً ولا رفيق صبا وسمر وليالٍ ملاح... وليس، بيني وبينه علاقات مميّزة. أعرفه وجهاً، كتاباً، صوتاً، قلماً يضجّ، ومزارعاً قرويّاً، يغتسل بماء عبيدات أو بدموع عينيها، لا فرق، ويكتب بالحبر الأحمر، ويشقع المداميك، ويُشعل المجامر، مجامرَ زمن كانت، أم مجامرَ ذكريات... وهنيئاً لك أيها السكران ببخّور مريم، أو بعطر الحبق والصعتر والورد.

أما أنتم أيها المكرِّمون، المجلس الثقافي واتحاد الشعر اللبناني ونادي عبيدات، فهنيئاً لكم، وأنتم سكارى، شجاعة الاقتراب من المجامر.

أيها الأصدقاء

لغيري أن يكرّم سليم أبي عبدالله، يقدّر شعره، يحلّل كتبه، يدل على مواطن عبقريته وشاعريته وكرم أصالته. أما أنا، والحديث حديث أخبار ومخابرات وتنصّت ومحاكمات، فانني استخبرت وتنصتّ عليه، واعتقلته بالجرم المشهود، وأتقدّم منكم، كمدّع عام، بوجوب محاكمته على التهم التالية:

١- هو عاشق، نعم، عاشق وبامتياز؛ عمره ست وستّون سنة، ولا يزال مراهقاً، يمارس لعبة الحبّ، باتقان وسكر، ويصرّح بذلك - بشفافية أيضاً، دارجة - ويقول:

أحبكِ... خلفي ما تقولُ الشرائع فلا أنا مطواعٌ ولا الحب طائعُ
وآخر همي أن يثرثرَ حاسدٌ مسيءٌ له في ما يقولُ طبائعُ

ثم يلتفت بتحدّ مستعيداً كلام الانجيل ليقول: من كان منكم بلا خطيئة، فليرجمني بحجر...

ولأنني حسود وغيور، في هذا الموضوع، أناديكم، باللّه عليكم، لا تشفقوا عليه، وارجموه بحجر، فالزمن زمن أرقام وودائع وكمبيوتر وأحاديث خليوية، وليس زمن حبّ ورفقة على درب العين وجلسة تحت السنديانة وغمزة هي بحجم مهرجان.

٢- هذا الرجل ليس عاشقاً فحسب، بل انه عاشق أباحي، لا يستحي لا من زوجته ولا من الناس، لا يحبّ الاّ العري، يشمئزّ من «الماكسي»، يفلسف «الميني» ويقول:

ومن يُخفي الجمالَ ولا يُبالي كمن يُخفي الدواءَ عن المريضِ

وهو يعتبرَ اننا كلنا مرضى، شفانا اللّه، ولا يكتفي، بل يمدّ يده إلى الخصر، إلى النهد، إلى ما يرى وما لا يُرى:

ورحتُ ألهو كما شاءَ الهوى فأنا طفلٌ يبعثر ما طالته يُمناهُ
حتى اذا غارَ من كفّي فمي علمَتْ فراشةُ الحقلِ كيفَ الشهدُ مجناهُ

هل نسمح له بذلك؟ معاذ اللّه، ولنرجمه مرّة جديدة.

٣- هذا الرجل عتيق وجردي وفلاّح: تسمعه، تتصوّر نفسك في زمن الياسمين والمحدلة والنورج. مئة كلمة وكلمة حوّشها من جنينة منزله حيث لأمه هواية السمر مع الشجر والزهر والتراب. معه تستفيق الذاكرة، وتنهض صُوَرٌ كأنها من النبيذ المعتّق: المغزل - الموقدة - القجّة - الشاكرية - شلعه - كرّاز - تني - الصند - المسّاس...

وبكل بساطة، يحمل هذه الألفاظ ويطلّ على القرن الواحد والعشرين، في زمن: Sorry – OK – D'accordو ... و ça va ... كيف نسمح لرجل عتيق كهذا، أن «يشوف» حاله أمامنا، ألا يذكر من علّمه؟:

رذّوا ورايي ضمتين سكون لام فتحة ميم كسرة نون
والجين نقطة مدوّره بالنص ليش ما بترنّ يا مارون؟

٤- هذا الرجل متشبّث، بأرضه، بوطنه، بوحدة بلاده: لم يحمل بارودة في الحرب - هيّنة! - لم يقتل على الهوية، لم يقنّص، لم يجنّس أحداً ولم يوطّن، ولم يذبح نعجة في الطريق إلى تدشين جامعة؛ رصاصه رصاص قلم لا رصاص رشّاش؛ وفوق ذلك، فهو غير طائفي، غير أصولي، وغير وصولي... وهو يردّد:

تلالُ بلادي منبتُ الزهر والشذا فكيف استحالتْ منبتَ القتلِ للقتلِ
تهوى مع الدولار كلُّ نقيصة ويرخصُ للدينار كلُّ دمٍ يغلي

٥- هذا الرجل مُتعِب، كأنه ضمير، وما أتعبَ الضمير عند مظهر طفل يبيع علكة أو مريض يموت ولا دواء، أو فقير ينام على جوع. ويدقّ الباب، يقلق فيك الراحة والنوم، يهزّ أعصابك ويشاغب عليك، ويحرّض، ولا يهدأ...

٦- هذا الرجل ليس بروفسوراً، ولا دكتوراً، ولا يحمل ألقاباً عالمية: من أين تخرّج؟ من كان معلّموه؟ ما هي شهاداته؟ كيف يجرؤ على الحضور، بيننا، ونحن نخبة المتعلّمين والمثقّفين؟

ويجيب بصوت هامس: من مدرسة والدي، ومن المدرسة الرسميّة، تخرّجت، وعلى يدي نعيم يزبك... هل تذكرون؟

ولا أحمل شهاداتٍ يا سيدي... الاّ شهادة فقر حال، ونظافة كفّ، وايمان بإله كبير، ومحبّة وطني، ورفعة الجبين... وشهادة في الحبّ، وقّعتها حبيبتي بأهداب عينيها وبراءة الشفتين... وتحاكمني بعد؟

وكدت أتابع سرد الاتهامات، واضبارة الجرائم، لولا انني عرفت، وأنا أقرأ كتب هذا الرجل، إنه يؤمن بوحدة المسارين... لا، لا... ليس المقصود وحدة المسارين في الأغنية المعروفة - اللهم، اغفر لي - بل وحدة المسارين، بين اللغتين: الفصحى والعامية... وفي كلاهما، سيّد، ولا يميّز... وأجمل قصائده واحدة، حلوة كصدر أمّ، طيبة كطفلة جرديّة، واسمها باختصار: عبيدات.

أما أنتم أيها الأصدقاء

اذا لمحتم هذه الليلة شاعراً، يخرج من هذه القاعة، مبلّلاً بالحنان والحنين، متوّجاً بالشعر والحبّ وضباب السنين، لا تزعجوه بتهنئة وكلام، بل ألقوا القبض عليه، بتهمة الصمت وجمال الشعر... وابحثوا جيداً، في قلبه، ونبّشوا جيّداً في جيوبه، فلن تجدوا دولاراً، بل ربّما وجدتم بضعةَ أوراق، ومجموعة قصائد جديدة، مهرّبة بطريقة سريّة، فصادروها،

اقرأوها؛ بهدوء، بصفاء، ثم اصدروا الحكم المناسب. وإذا رأيتم بعض الكلمات مكتوبة بالدمع، أو بالدم، أو منقّطة بسنبلة قمح أو زرّ ورد... لا تغضبوا، فهذا الرجل، سليم أبي عبداللّه، طيّب قدّيس ومجنون. فاغفروا له خطاياه، واتركوا له الحرية وبعض الريح، واسمحوا له أن يغنّي مع فيروز:

يا ريت فيي صرّخ بوج الكبارْ

قلّهن: حاج يلعبوا فينا

أحرار بدّنا نضلنا أحرارْ

ولا بدّ ما شي نهارْ

توصل مراكبنا على المينا.

نعم، على المينا، ميناء جبيل، «توصل» مراكبنا... وستصل، قريباً، قريباً.

وشكراً لكم.

# سعيد يونس

كان نسيبي وجاري ومعلّمي،

وقد ألقيت هذه الكلمة في ساعة وداعه، في ١٩/١٢/١٩٩٨

مساءَ الخميس الأخير، أغمضَ الأستاذ سعيد عينيه وراح في غفوة ولا يزال.

بصمت الودعاء، بهدوء المباركين الأنقياء، براحة ضمير، بسكون لا يعرف الضجيجَ والصراخ، خبّأ الرجل الطيب جسده النحيل في سريره، تحت غطاء الليل والنعس، ودون كلمة، أغمض عينيه، وراح في غفوة... ولا يزال.

باللّه عليكم، تعالوا معاً، يا آبائي الكرام، يا أصدقاءه، يا تلاميذه ويا طلاّبه، يا أهله ورفاقه...

تعالوا نتخايل معاً، بمن كان يفكّر الأستاذ سعيد، في لحظاته الأخيرة، وقبل أن يغفو؟

هل مرّت في ذاكرته، وكالبرق، صورةُ تنّورين: المدرسة، البيوت، الأطفال، التلامذة، العريشة، الرفاق، درب العين، جرس السيّدة العتيقة، شجرة الياسمين، قلعة بزيدا، المقبرة، كأس البركة والفرح، وصُوَر، صور، صور...؟؟

بمن كان يفكّر، في لحظاته الأخيرة، ومن كان يذكر ويتذكّر؟ وأطيافُ مَنْ داعبت أهدابَه المتعبة الناعسة؟

أنور، نورا، الأحفاد الأطفال، الأخوة، الجيران، الأنسباء...

بماذا خاطبهم في تلك اللحظات؟ ماذا قال لهم... أسمَعُ عبارتَه تتوجّعُ، محبّةً وقداسة: اللّه معكم، اللّه يرضى عليكم... وينام، ينام كثيراً، ينام جيداً.

الأستاذ سعيد من كان يذكر ويتذكّر في لحظاته الأخيرة؟ تخايلوا معي أيضاً: عندما رسم إشارة الصليب الأخيرة، على وجهه وصدره، كيف كانت صلاته؟

بماذا خاطب يسوع، عشيّة الميلاد؟ وكيف تحدّث إلى مريم؟ أيّة مريم؟ كلّ مريم، عذراء، طيّبة، حنونة، ضاحكة، فاتحة ذراعيها ملء الريح والضوء والعطر، وعلى بسمة شفتيها، براءة العالم وحنان الأمهات... وراح يصلّي، تمتمات وهمسات، ووجهُها يتداخل مع وجهه... ويغفو... يغفو، ولا ينتهي.

ويا أيها الأصدقاء

كثيرون منكم يعرف الأستاذ سعيد، فلن أعرّف به،

كثيرون تعلّموا على يديه، ومن قلبه، فلن أعلّمكم إياه،

كثيرون رافقوه، صاحبوه، ساهروه، سمروا معه، فلن أضيف شيئاً،

فقط أقول: هذا الرجل المعلّم، هذا العنقود العتيق، في أطيب عرائشنا الجردية الجبلية، هذا المثقّف المثقّف على خفر ووداعة وطفولة، هذا النبيل الكريم يُعطي ولا منّة، هذا الكبير عاش على ثلاثة: القلم، الحبر، الكلمة، فإذا لم تصطدم به رجلاً لرهافة جسده، خلتَه أبجدية.

فإذا تردّدتُ اليوم، أن أقولَ كلمة فيه، فلا ادّعاء ولا اتضاعاً، بل تحاشياً لسؤال يطرحُه هو عليّ: ومن أينَ لك هذا؟ فأجيب: هذا بعضُ ما أعطيتنيه، من خزانتِك الواسعة، وأبي زميل لك، وأنت النسيب والجار والمعلّم في كل حين.

أستاذ سعيد

فتّشتُ عن كلمةٍ أقولُها فيكَ لأفيك... فلم أجدْ الاّ كلمةَ حب، ولو قصّرتْ في اختصار شخصيتِك التي تختزلُ، في ذاتها، المحبّة والوفاء والآدمية والصدق.

وبك، يا أبا أنور، يحلو الشعر، وردةً على نعشك:

فما تُدارُ على ذِكراكَ أكؤسُنا الاّ ويرجِعُ عنها الطرفُ نَديانا
ونسمعُ الهامسَ الساقي يقولُ لنا: ما كانَ أكبرَه، قد كانَ انسانا.

ويا معلّمنا، يا صديقَنا جميعاً

لن أعزّي بك، ولن أبكي، بل أكتفي، باسم هذا الحضور الكريم، باسم تلاميذك، باسم زملائك، باسم كل حبّة تراب، في تنّورين وشاتين، أكتفي أن أنحني أمام نعشك تقديراً ومحبّة، فإذا كان الأموات يعيشونَ بقدر ما يُحبّهم الأحياء، فما أبقاك يا أبا أنور، وما أصغر الثمانين.

وباسم أنور ونورا، اسمحْ لي أن أقبّلَ يديك وأقولَ لك: شكراً، شكراً، ولا تنس أن تسلّم على من كنت تحبّ ونحبّ، وسنبقى نحبّ إلى أبد الآبدين ودهر الداهرين. آمين.

# اتحاد الشعر اللبناني (٣)

أكواريوم - جونيه، في ١٩٩٩/٣/٦

أيها الأصدقاء

منذ سنتين، وفي احتفال لكم ومعكم، في القليعات، كان واحد منكم يمهرج الصالة، صوتاً وقامة وشعراً ووقفة كبرياء. اليوم، هو في غياب، لن نحزن ولن نرثي، ولكن، لأننا نحبّه، ولأنّه لا يزال معنا، ولأن الشعراء الكبار يرحلون عنّا ولا يرحلون منّا، يغيبون ولا يموتون، أقول باسمكم جميعاً، وبفرح الذكريات: كاسك، حنا، كاسك حنّا موسى* وربّما التقيت ميشال طراد وإيليا أبو شديد، سلّم عليهما.

أيها الأصدقاء

يا أصدقاء الليل والقمر والأحلام، مساء الخير، وشكراً لكم، تنتزعوننا من ضباب الواقع الرمادي، والقلق الحياتي، والكذب والحزن والقمع، إلى عالمكم الجميل...

الليلة شعر،

الليلة خمر،

الليلة حبّ وجمال... وغداً؟

---

* توفّي سنة ١٩٩٨ في حادث سيّارة.

آه من الغد، لندعِ المستقبل يتغاوى على خدّ طفلة، وفي لثغات صوتها، وشقاوة شعرها الأشقر، وتعالوا نسكر الليلة، مع ثلاثة: الشعر، المرأة، الوطن.

- **مع الشعر:** نحن في حفل شعري لبناني: هويته أصالة وأناقة، لغته، فصحى أم عامية، تحمل شذا وردة، تسلّل إليها الندى، ليلةَ أمس، خرمش جوريَّها الأحمر، لململم بقايا الغوى عن جسدها الطري، وطبع قبلة في مكان ما، ثم انتحى زاوية، يغني لها، حتى... الفجر.

الشعر، يا أصدقائي، شعر لبناني، فصيح أم عامي، لا فرق، لم يجنِّسه أحد، لم يتّهمه أحد بانتحال صفة، ولم يستورده أحد. هو طفلنا الذي يحمل لون عينينا، وشيطنة أصابعنا، وهوشلة البراءة في صدورنا. إنه الشعر الذي لا يطلب شهادة حسن سلوك، ولا اجازة مرور، ولا توصية استخبارات، ولا رضى هذا أو ذاك، هو الطاعن والمطعون معاً، كما هو السكين والجرح والوجع. إنه الشعر المشاغب، غير المدجّن، والذي يتقن الصراخ والاحتجاج والرفض، حتى «اللّا» وحتى الغضب الواعي، وحتى الجنون.

إنه الشعر الذي لا لغة له، الاّ لغة العيون ولغة الشفاه ولغة اللمس. بعدها، ما همّ، من أين نستورد قارورةَ العطر وكحلَ الجفون وأحمرَ الشفاه وطلاء الأظافر؟ هذه أتركها لمن يريد، تفاصيل وأزياء، أما نحن، فيا رب، أعطِنا خبزنا كفاف يومنا، ونكتفي بالحبيبة، عارية، بريئة، طيبة... ومن كان منكم بلا خطيئة فليرجمني بحجر...

- **مع المرأة:** يا أصدقائي، كلكم أصدقاء، وحدها، المرأة، شأن آخر. لولا المرأة، يسقط الشعر. هي التي تمسحه بنقاوة الماء، لتنفض عنه غبار الصحراء، هي التي تتمرّى بالقصيدة وتتكحل،

معها يتحوّل الحب إلى فضيلة، دونها، العالم رذيلة وفضيحة،

معها تولد أبجدية جديدة في الغزل، دونها، الجهل والأميّة والتوحش.

لا أتصوّر الحبّ إلا ملوّناً بضحكة امرأة أو بجغرافية جسدها. كونوا في سكوت أيها السامعون، أيها الشعراء، واصغوا إلى صوت المرأة، صمتاً وهمساً وصراخاً... انصتوا جيداً ولا تتنصّتوا. هنيئاً لمن يعيش عمره في جامعة الحب، أو في مدرسة المرأة. لو كان لي الخيار، لتكاسلتُ عن قصد، وفضّلْتُ اعادةَ الصف، نصفَ قرن آخر، حتى لا أتخرّج أبداً. ومن له أذنان سامعتان، فليتنصّت...

- **ومع الوطن:** أيها الأصدقاء، نرنو إلى الوطن اليوم كأنه أرنون، باللحم الحيّ نمزّق الأسلاك الشائكة، ونمرّ... نمرّ إلى الحريّة والحياة. لن يكون وطنُنا، ولا أرنون، نسخةً طبق الأصل عن أي وطن آخر. حرام أن يتحوّل الوطن إلى وطن مستنسخ... استنسخوا كل شيء إلا الحبيبة والوطن. إلى هذا الوطن ندعو بعضنا، لنبنيه من جديد، وطنَ حرية وكرامة وسلام.

لن نبيعه، ولن نرهنه، ولن نؤجِّره، ولن نستبدله بآخر. بالشعر، نبنيه، بالشعر الطفل المشاغب، المقاوم، المحرّض الشيطان والأزعر، نعيد إلى التراب، الكرامة والعنفوان.

رصاصُ أقلامِ أطفالنا أقوى من رصاص مسدّساتهم والمدافع، أعلامنا البريئة أصدق إنباءً من كل القرارات السخيفة. أشعارنا الأصيلة أنقى وأنبل من كل الخطب والوعود. نحن بأطفالنا، أقوياء... وسنبقى.

ويا أيّها المتّحدون،

يا أصدقاء الزجل والشعر العاميّ.

كلمة أخيرة أوجّهها إلى يوسف - الرئيس. فأقول:

أنا أقرع بابك، يا سيّدي؛ معركتنا هي بين يوسف - الرئيس، وبين أبو يوسف - الوزير*.

* وزير التربية الوطنية الأستاذ محمد يوسف بيضون.

وإذا كان الملاك قال لسميّك يوسف: يا يوسف، إحمل الصبي واذهب به إلى مصر.

فأنا أقول لك: يا يوسف، احملِ الزجل واذهب به إلى أبو يوسف. ولا تخرج، قبل أن يُصبحَ الزجل واقعاً في برامجنا التربوية.

يومَها، نرفع الكأس، نغنّي، وإياك:

لضياعنا الخجولي، ركعت وصليت

للحلا للطفولة، ركعت وصليت

لسيوفك البطولة،

وعيونك يندهولي،

هوني السما قريبي، بتسمعنا يا حبيبي.

بمجدك احتميت

بترايك الجنّي

عا اسمك غنّيت، عا اسمك رح غني

واحمل بإيدي كاسك المليان

وارفعو لفوق، لفوق،

لمطرح البيوقف الزمان

واسكر باسمك مجد، يا لبنان.

# غالب غانم

ألقيت في تكريم القاضي الدكتور غالب غانم،

بعد صدور كتاب «أبعد من المنبر»، جبيل في ١٩٩٩/٦/٢٥

أبعد من المنبر، أبعد من المناسبة، أبعد من المجاملة لقاض، لرئيس، لأستاذ جامعي، لدكتور مستحقّ، لسليل بيت عريق في الشعر، لأديب، لخطيب... أبعد من الكتاب والكاتب، أدّعي اطلالةً على غالب غانم.

من باب الذاكرة المفتوح على المراهقة والصبا وأجواء الجامعة اللبنانية، أدخلُ إلى عالمه الفتيّ النابض بالوعد والفعل والتغيير.

من هذا الباب الذي يتقطّر حنيناً وحناناً، والذي يتلوّن بنمنمات الرغيف والكتاب والحبر، أطلّ على غالب غانم، طالباً جامعياً يتقدّمني بسنتين، وعلى وجهه، وهو الفتى الجردي، ملامحُ القيادة والريادة والتميّز.

ندخل: ابن العشرين، في كليّتين مبعثرتين بين الصنائع، حيث الحقوق، وشارع «الماما» قرب الأونسكو حيث الآداب.

السيّارة المستخدمة: القدمان، وان تفخر، فالتراموي، وأن تتدلّل فخمسة عشر قرشاً، أجرة سرفيس.

الطعام: خبزنا كفاف يومنا... وما همّ؟ عروسة الماما، أو لقمة بحجم وليمة في كافتيريا الجامعة، وفنجان قهوة، ... ذراع تستقبل، وابتسامة هي الفرح. وكتب ودفاتر... واجتماعات ولقاءات... ويبرز غالب، قائداً طلّابياً، على جديّة واحترام، ... ممثلاً منتخباً في الروابط الجامعية، وصاحب مشروع شبابي تغييري، والهدف بناء الجامعة اللبنانية على أسس قويمة وتربوية ووطنية.

من ذلك الموقع، انطلق غالب، متأبطاً زهوَ أبناء الجبل، وعطر الصعتر والحبق والورد البرّي، وعنفوان العندليب، ومحبّة الزملاء والرفاق... واثق الخطوة يمشي ملكاً، وفي ساحة المعركة، ومعاركنا الطلاّبية - رزق اللّه - فيها من الديمقراطية أمثولات غنيّة بالمبادئ والمواقف الحرّة، فان تعدّت اختلاف الرأي فلبعض الصراخ والضجيج والخطب، ولا خصام يمنع لقاء المساء على صحن فول في مطعم مروش... وهنيئاً لك يا صاحب الليرة الواحدة.

غالب، في تلك المعارك الشبابية، سيّدُ موقف يُحسب له حساب، أما في ساحات الصراع المتوتر، فهو رجل السلام، وكلمته هي المحبّة المصفاة، ونحن في جامعة، حيث العقول تتحدث لا السواعد. ويبقى غالب على تواضع تألفونه اليوم، في زمن الوجاهات والصدارات، وكأنه، في كل مجلس يردّد ونردّد معه:

ملأى السنابل تنحني بتواضع والفارغاتُ رؤوسُهن شوامخ.
والأبهى، صورة غالب مع الزميلات: قامة رجولة على بعض حياء، وكبرياء تشيح بالعين ولكنها تتودد، وألعابُ طلاّب فيها بعض من أغنية فيروز: تعا ولا تجي...

ومع كل ذلك، غالب ذوّاقة، لعينه يومذاك ما لقلمه اليوم من نقد وغوص ودقة اختيار... ربما كلهن، صبايا تلك المرحلة، رفيقات، زميلات، حبيبات، يتذكرن اليوم، أما هو: فبعضه لمراهقة لذيذة، وكله، في النهاية، «لحنان»، لحنان لا تنتهي، ولا هو ينتهي.

والمشوار طويل: تخرّج، تدريس، تدرّج، محاماة، متابعة الدراسة، ماجستير فدكتوراه، باحث وأديب، قاض وأستاذ جامعي، ثم... وعيناه إلى أعلى، ومتى كانت اليدان نظيفتين، والقلبُ شجاعاً، والقلمُ سيفَ عدالة وحق... فالآتي قريب... ويا رب لتكنْ مشيئتك...

لتكن مشيئتك... ولا نخاف، لا مسدساً ولا رشاشاً. ننكسر وجعاً أمام شهدائنا الكبار◆، ننحني حزناً معك أيها الرئيس، نغضب حتى... الشرايين، ولكن، لن تتحوّلَ الأحلام إلى كوابيس، ولا جزّين إلى مقصلة، ولا قصور العدل إلى مقابر. ويبقى لبنان على كبريائه والكرامة، ويبقى العدل أساس الملك، ويَكتبُ الدم، بالحبر الأحمر، على الثوب الملوّن بالأسود والأحمر، رسالة أن:

سوف نبقى يشاءُ أم لا يشاءُ الغير فاصمدْ، لبنانُ، ما بكَ وهنُ

سوف نبقى لا بدَّ للأرضِ من حقٍّ وما من حقٍّ، ولم نبقَ نحنُ.

أيها الأصدقاء

أبعد من المنبر، ومن الكتاب، كان حديثي، وكان اتّهامكم لي، كما ألمحه في العيون، بالخروج على الموضوع: وما بالك تعيش في التاريخ والأرضُ ملكُكَ والسما والأنجم؟

أجيب: ربّما هو الخطأ، وربما هي ضريبة الانفعالات الوجدانية، تجعلك أقرب إلى الشخص، منك إلى الكتاب، أو تجعل الكتاب صورة عن الشخص، ضبابية أو مشرقة، ولكنها تختصره، في ذاتيته الخاصّة، وفي مسيرة عمره، وفي انتاجه وابداعاته وتطلّعاته المستقبلية.

غالب في «أبعد من المنبر» هو هذا الغالب الذي حدّثتكم عنه: ان أُعجبَ بكتاب، أو سكرَ بقلم أو أحبَّ... فهو الاخلاص والصدق والوفاء، وإن نقدَ أو استسهلَ أو وقعَ على هفوة أو غلطة، فلا تجبّر ولا جرح، ولا قساوة، بل استئصالٌ لخطأ وتقويمٌ لاعوجاج ولمحٌ محبّب، وإن سالتْ عاطفتُه حزناً، فمنبرٌ من دمع ودم وورد. ويا طيبَ المنابر يوم أصحابُها يتجاوزون مكبّرات

◆ القضاة الأربعة الذين استشهدوا في صيدا.

الصوت إلى قلوب السامعين، مغمورين بتصفيق الاعجاب لا بتصفيق الملل والنظر إلى الساعة...

«ولوو شو طوّل».

فخوفاً من الاطالة، أيها الأصدقاء استمحيكم عذراً موجهاً كلامي إلى صاحب «أبعد من المنبر» لأقول له: شكراً، خمسة وثلاثون عاماً إلى الوراء؟ خمسة وثلاثون عاماً إلى الأمام؟ لا فرق... كبرنا، يا رجل؟ لا همّ... طالما نحن، زملاءك وأصدقاءك ورفاقَ الدرب، نكبر فيك... نكبر دائماً... ونبقى على موعد.

# الياس أبو راشد

بعد صدور ديوانه الزجلي أقيم له احتفال في جامعة سيّدة اللويزة،
وألقى المؤلّف هذه الكلمة، في ١٩٩٩/٧/٩

أيها الأصدقاء

غريبٌ أن أتحدّث باللغة العربية الفصحى عن كتاب صادر باللغة العامية، وعن شاعر ما نام يوماً في صحراء العرب، وما غفا الاّ في عبّ عريشة عنب، وهنيئاً لك يا صاحب الكأس والغفوة والحلم.

مزعج أن أتكلّم بلغة امرئ القيس وأنا أقف أمام كوكبة من الشعراء ما وقفت ولا بكت يوماً على أطلال، ولا انتظرت مرورَ عنيزة بترائبها المصقولة كالسجنجل، بين الدخول فحومل،

مضحك أن أتحدّث عن أبو راشد، بلغة أبي تمّام وأبي الطيّب وأبي ذؤيب الهذلي،

سخيف أن أواجهَ صبيّة حلوة، تتمايل بفستان شفّاف مميّز بما... وبما بين الصدر والخصر وما دون... وبما يُرى وما لا يرى... وأنا أتمسّك بالعباءة والدشداشة... وسترك يا ربّ.

«سنوب» وثقيل أنا هذه الليلة، آتٍ إليكم محمّلاً بتمرٍ وحليب ناقة، وأنتم، أيها الأصدقاء، تستريحون في ظلال جامعة، وفي أيديكم بعض من فاكهة لبنان وحلاوات ضِيَعِه الجردية الطيبة.

عيب... عيب أن «أُمترِسَ» خلف صخرة سيبويه، فيما أنتم تغنّون كلماتٍ لعاصي الرحباني، وأشعاراً للشحرور وخليل روكز وقصائد لايليا أبو شديد وميشال طراد، وتصفّقون لهؤلاء الذين لا يزالون، على كل منبر، يرفعون جباهَهم، وفي عيونهم طلّة صنين وهيبةُ البحر وحرّية بحجم تاريخ لبنان.

لهذا أستميحكم عذراً، أيها الأصدقاء، وأتلو أمامكم فعلَ ندامة، و«اغفر لنا ذنوبنا وخطايانا...»

وأتحدّث عن صاحب الكتاب، ورغماً عنكم وعنّي، باللغة العربية الفصحى...

أيها الأصدقاء

يدخلُ عليكَ، يقتحم خلوتك، في يده أوراق تكاد من التواضع أن تختفي، أو كأنها في ارتياب وخجل... يحمل في وجهه، ابتسامة بوسعِ المحبّة والضوء، وبحجم قصيدة...

تخاله، وهو يسلّم عليك، كأنّه صديق قديم؛ في مصافحته بعضُ العناق السرّي، وكأننا أخوة عتاق، والتقينا...

ينظر إليك بهدوء، بطمأنينة، في عينيه صدق الأطفال، ولا «شيطنة»... يبدأ الحديث وكأنه تمتمة صلاة. باختصار، بوضوح، ودون تصنّع... يجتذبك بصفاء كلماته، وكأنها نابعة من صخر لم يذلّله اغتصاب، أو من نهر لم تلوّثه حداثات العصر...

يقدّم لك أوراقه - لا أوراق اعتماد لسفير هي - بل هي أوراق معمّدة بماء الحياة والصدق والتفجّر...

- هذه قصائدي، يقول، وانتَ ستكتب مقدّمة الكتاب الذي سيجمعها بين دفّتيه.

لا يستشيرك هو، ولا يسأل أو يستفهم... إنه واثق إلى حدّ التأكيد... فلماذا كثرة الكلام؟

ولا يترك لك مجال التأجيل أو الاعتراض أو: أعطني فرصة...

بل يغمرك بسيل من التناغم الانساني الأصيل، وتجد نفسك موافقاً، ولا جدل، وتختفي القصيدة، ولا يبقى الاّ الشاعر. إنه الياس أبو راشد، الانسان والشاعر... ماذا كتب؟ كيف كتب؟ أين كتب؟ بماذا يتميّز؟ ما هي قيمة شعره؟

أسئلة أتركها لأهل النقد والبحث... أما أنا فأكتفي بالقول: أهمّ ما في هذا الرجل، انك تخاله هو القصيدة، والباقي هوامش وتفاصيل.

ويرحل، يغادرك، كما نسمة ربيعية، ويختفي، كما لو أنه زهرة بنفسج، وتبقى أنتَ وبضع أوراق... فإن شممت عطرَها، فاحت رائحة جبلية هي انعكاس لشخصية صاحبها، كما لو كانت عذراء، ولا دنس فيها أو تزوير.

وتقرأ... وتقرأ... وتشعر أنّك أمام شعرٍ لا يتميّز بالرقة والصورة فحسب، كما هو معظم شعر أهل الزجل، بل بالفكر العميق الذي يعبّر عن شخصية انسان عركه الزمان، فحوّله إلى مجموعة تجارب وخبرات سكبها، بأسلوب شعري، في جراره الورقية البسيطة.

فالياس - الأب لم يستطع أن يقدّم لولده حساباً في المصرف، ولكنّه قدّم له، جردة حساب هي الثروة التي لا تبيد ولا تنتهي... ولولده، كما للجميع، أن يغرفوا من هذه الثروة، ولا حاجة لدَين أو لحساب... وهنيئاً لك، أيها الغنيّ الغنيّ، فإرثك لن يضيع، ومبارك من يرث...

وتستزيدك الأوراق شغفاً لمتابعة القراءة، فإذا بالشاعر مجموعة مرايا، ومختبر جراح: الحياة، حلوها ومرّها... الناس، كريمهم ولئيمهم... الطبيعة، جمالها وتوحّشها.. كل ذلك بأسلوب عامّي بسيط، استلّه أبو راشد من أفواه الجيران والرعيان وسكان الريف... لا يدّعي ولا يكابر ولا يقف على إشارات

حمراء... يقطف نعناعاً برّياً وبعضاً من صعتر الجبل، يلملم ما تركته الشمس على خدّ طفلة، يجمع بعض الحكايات المبلّلة بالحنين والحنان... وتولد القصيدة... ويولد الكتاب.

الياس أبو راشد، أيها الطفل الكبير

طلبتَ مني مقدّمة لمجموعة قصائد زجلية...

وقدّمتَ نفسك بنفسك...

أما أنا فحاولت أن أكتب عن شعرك، فإذا بي أكتبك أنت بحبر المحبّة وبقلمٍ من ضوء الصداقة... تراني نجحت؟ ما همّ! الأهم أن يبقى الشعر، على ريشتك، متوهجاً بالعافية والأصالة والحرية، والأكثر أهميّة، بالنسبة لي، أن أعرف كيف أرشقك بوردٍ من لبنان، بدل الاستعانة بحبات رمل من الصحراء. وفي جميع الأحوال، سنبقى على موعد معك، ومع الشعر، ومع لبنان. عاش لبنان.

# فؤاد شهاب

في إزاحة الستار عن تمثال فؤاد شهاب،

جونيه في ١٩٩٩/١١/٧

«سكوتْ، سكوت

لا ترفعوا الصوتْ

لا توقظوا الرجلَ النائم

لا توقظوا الأميرَ الحالم

سكوتْ، سكوت

أخاف، أخافُ أن يموت»

أيها الأصدقاء

أخشى عليه، إن تحدّثنا إليه، أن يموت.

فعذراً ان نسيتُ أو تناسيت الرجلَ الآتي من الصخر، وإلى الصخر يعود، وفي يديه كتاب، وتوجّهت إليكم بهذه الحكاية القصيرة:

كان ذلك سنة ١٩٦٥، كنّا طلّاباً في الجامعة اللبنانية. كنّا نتظاهر - هل تذكرون؟ - نُضرِب، نُضرَب، نَضرُب... وكنّا نُطلِقُ رصاصَ كلماتِنا وهُتافاتِنا في وجهِ الرئيس شارل حلو - هل تذكرون؟ - وكان بعضُ همِّنا أن نُصيبَ الرئيس فؤاد شهاب.

أيّامَ تمرّ، وفي ليلة ظَلماء، وعلى بابِ منزله الوالدي في فرن الشباك، يُلقى القبضُ على أحد الطلاّب، بتُهمة سبابٍ بحق الرئيس شهاب... لا هو يبرِّئُ نفسَه ولا يتذكّر... يَعِدُهم، إنْ لم يُضربْ، انّه لن يكرِّرها مرّة ثانية... ويُطلَقُ سَراحُ الطالب... وتتابعُ المسيرةُ لعبتَها، ولا شيءَ أغلى من الحريةِ وأحبّ.

يتخرّجُ الطالب من الجامعة... يبدأ العمل. وفي آب ١٩٧٠، يُصابُ بدُوار ودهشة حينَ يسمع، في الإذاعة، الرئيسَ شهاب يردّد: إستناداً إلى هذه المُعطَيات، قرّرتُ ألاّ أكونَ مرشّحاً لرئاسة الجمهورية.

يَعجب: هل يوجد لبناني تُقدَّمُ له رئاسةُ الجمهورية، بِشبه تزكيةٍ، وعلى صحنٍ من ذهبٍ، ويرفض؟

في نيسان ١٩٧٣، يموت فؤاد شهاب، ببساطةٍ، بهدوءٍ، بصمت...

كيفَ مات؟ اسألوا شرايينَ الحبِّ والقهرِ والوَجع.

يشعرُ ذلك الشاب ببعضِ فراغٍ وحزنٍ وألم...

في نيسان ١٩٧٥، بدأتِ الأحداثُ المُفجعة في لبنان... قلقٌ، خوف، موت... في المدارس، في الجامعات، في الشوارع، في المنازل، أجراسُ حزن، دموعٌ، دقّاتُ قلب... بدأ ذلك الشاب يتذكّر فؤاد شهاب ويَعَضُّ على شفتيه.

ويتّسع القبر، الظلام يفترس الضوء، الأحلام تتكسّر، اللونُ أحمر، الهُوية قاتلة، الحقائبُ مسافرة... وعلامةُ الاستفهام تدُق، تدق، تدق: لماذا لم تسمعوا صوت فؤاد شهاب؟ نعم، كان متعِباً، كأنه ضمير. لماذا، لماذا لم تستجيبوا لندائه؟

ويمضي الزمان، ينفجرُ الغيابُ اتساعاً، تزدادُ الصورةُ بهاء، يتحوَّلُ الطيفُ إلى رمز، يتحوّلُ ذلك الطالبُ الغاضب، إلى رجلٍ يجلسُ مع أولاده، مع

تلاميذه وطلاّبه، يحدِّثهم عن فؤاد شهاب، انساناً كبيراً وتجربةَ حكم ومسؤولاً مميزاً...

وتنتهي الحكاية.

اسمحْ لي، يا فخامةَ الرئيس، أيها الصامتُ الصابرُ الصامد، أيها الأميرُ قيماً ومنجزات، أيها المعلّم، ولا شيءَ في يديك غيرُ كتاب، اسمح لي، أنا هو ذلك الطالب المشاغب، وبصوت هامس وجداني، أن أحوِّلَ هذا المنبر إلى كرسيِ اعتراف وأتلوَ أمامَك وأمامَ الجميع، فعلَ ندامةٍ صادق:

إغفرْ لنا، لقد أخطأنا والرفاق، وما عرِفناك... لماذا لم نعرِفْك؟ هل مُنعنا؟ أيُّ جدارٍ، أيُّ ضبابٍ كان يفصُلُ بينَنا وبينك؟ هل شوّهوا لك الصورة؟ أم هو العمر؟

فخامة الرئيس... ماذا تقول؟

إصغوا معي: أغفِرْ لهم، يا أبتاه، لأنهم ما كانوا يدرون ماذا يفعلون.

ماذا تقول؟ من هم هؤلاء؟ عمّن تتحدّث؟ الصمتُ... الصدى، الصدى.

فخامةَ الرئيس، رضاك.

# أنطوان أبي عقل

في حفل تكريم أقيم في جبيل،
بعد صدور ديوانه «منابع الحنين»، في ٢٠٠٠/٢/٤

أتهيّب أحياناً أن أتحدّث في أرض جبيل، وأكاد أقول، أخاف، فالتراب، هنا، كما الحجر، أصيل وكبير، ولغتي صغيرة،

وأتحاشى أكثر أن أتحدّثَ في رجل من بجّة، فالطيور، في بجّة، عالية، فمن أين لك أن تصل، أن تصوّب وأن تصيب؟

وأخشى، أكثر فأكثر، أن أتحدّثَ في معلّم، فالمعلّمون، كما الذي نكرّم الليلة، أتقياء أنقياء، كما على بعض قداسة، وكلّ لغةٍ ليست صلاة، بهم لا تليق.

أما ان تجمع بين جبيل وبين بجّاني أصيل، وبين معلّم عتيق وبين شاعر كلماته تتلوّن بالنور والنار، فلكَ السكوت أو: فلتكن مشيئتك، يا أخي أنطوان، ويا أيها الأصدقاء في المجلس الثقافي في بلاد جبيل، ولكن اغفروا لي في عالم الأخبار والإخبار - ولا أقول الاستخبار - وأنا مواطن صالح، أن أخبرَكم كيف سمعتُ عن أنطوان قبل أن أسمعه.

نحن في سهرة، عند صديق، فتاة صبيّة، اسمها - ما لنا وللاسم - حلوة على بعض دلع وغنج، جريئة على بعض تحدّ وثقافة وكبرياء، ممشوقة على بعض اغراء في فتحة على الصدر أو فُسحَة على الخصر، أو لمحة هنا، أو هناك، والبقية تأتي...

وأنا، كما يُقال وكما أدّعي، أستاذ في الأدب، واختصاصي في مادّة التذوّق الجمالي، وأُخطئ، أخطئ جدّاً إن لم أتذوّق.

وبدأت محاولة التذوّق، بالتسلّل، شفهياً لا خطيّاً، واللّه يشهد عليّ:

- ماذا تفعلين؟ أين تدرسين؟ ألستِ بحاجة إلى دروس خصوصية في الأدب؟
ثمّ: - ومن علّمك اللغة العربية والأدب؟

- الأستاذ أنطوان أبي عقل... ألا تعرفه؟

- أسمع به... ولكنني لا أعرفه شخصيّاً.

- ألست تعرف الذي قال:

وأندب حظّي بعد ستين حجّة وأرفضُ أن أحيا اذا لم أعلّمِ

سألت:

- وهو يتقن الشعر؟

- هو يتقن أشياء كثيرة... إنه أستاذ «غير شكل»، وقل، هو المعلّم، بألف لام مكبّرة؛ به، يتكرّم التعليم. نحن، طالباته، أحببناه، كان ذلك منذ سنوات، ما لنا وللزمن، ولا نزال نحبّه. معه أحببنا اللغة وسيبويه، تفهّمنا الأدب، تنفّسنا صبانا ونشوة الشباب. وهو، إلى ذلك كلّه، شاعر، يحسّ، ولا يزوّر، قصائده عواطف ومواقف. أتريد أن أسمعك بعض شعره، في السياسة، في الوطنية، في الرثاء، في المعلّم، في المدرسة، في الأطفال، في الجيش، في العميد، في العماد... في...

- ماذا، خفّفي الصوت، ليس وقتُها الآن.

- بلى، وقتها، اسمع ماذا قال في الانتخابات:

ما الانتخاب مواسمٌ أم عيدُ في كلّ أربعة عليكَ يعودُ

ومرشّحون للنيابة جلّهم...

- يكفي، يكفي، أنتِ تريدين افتعال المشاكل. تعالي نتحدّث في الحبّ. ألم يكن لأستاذك قصائد في الغزل، يتلوها في الصف، يسافر، من خلالها، في

عيني هذه أو تلك، نظرة من هنا، وابتسامة من هناك، فسلام فكلام فموعد، فلقاء...

ابتسمت بعذوبة المراهقات، وقالت:

- أنت الذي تريد افتعال المشاكل أو خرمشة الورد... أنتم أساتذة الأدب، شياطين. ولكنّ أستاذ أنطوان يقف على خط تماس، فلا الشيطنة تستبد به ولا الهروب. وبين العذرية والإباحية خيط شفّاف يحاول ألا يقطعه. اسمع
- ورأيتها تسوّي جلستها، على بعض حياء ونداء، وتردّد:

قد بدت في جلسة محمومة عرّتِ الوضعَ بساقٍ فوق ساقِ

لم يعُد في عرضها مستترٌ غير ما يبدو على خط التلاقي

- ذوّاقة معلّمك... ويقدّر.

- هذا من حقّه، وهذا من حقّنا، كما انّه، ولا تنسَ، هو ابن بجّة، مقلع الطيب والفن، حيث الكروم عناقيد، وحيث من الصعب أن تمرّ على الكرم، تشمّ ولا تذوق، ومع ذلك، اسمع ما يقول:

وأنتَ تحيا الهوى، سرّاً وتكتمُهُ فاعشَقْ اذا شئتَ لا لمس ولا نَظَرُ

- كيف ذلك، لا لمس ولا نظر، أنسي مقولة جاره الكفاعي مارون عبّود:

ابن المذبح من المذبح يعيش.

ضحكت، وأغمضت عينيها وقالت:

- مرّة واحدة، تخطّى الحدود، هاج وماج، وصرخ:

هاتي يديكِ إلى صدري اضمّهما وانسي المعلّم مني واذكري الرجلا

ولكن لن أقول لك لمن قال هذه الكلمات...

ونظرت إليها، كان وجهها يقطر اشراقة وبوحاً، وكانت عيناها في سكرة نبيذ، وكانت شفتاها ترتجفان... أحسست أنّ منابع الحنين تتدفّق... حاولت أن أتابع الكلام... ولكن شهرزاد سكتت عن الكلام المباح.

وترسّخ في الذهن اثنان: هي الحلوة المثقّفة، وهو المعلّم الشاعر الذي، ان تخلّ، لا يتخلّى عن ثلاثة: الكرامة، الحريّة، العطاء.

أضف إلى ذلك انه من تلك الفئة من المعلمين الكبار الذين يضحّون بالشباب والعمر، دون أن تُسكرهم الألقاب والشهرة، فهم، إلى التضحية، يجمعون الوداعة والتواضع ولسانُ حالهم يقول:

ملأى السنابل تنحني بتواضع والفارغاتُ رؤوسهن شوامخ.

أيها الأصدقاء

مساء أمس، عندما انتهيت من كتابة هذه الكلمة، وتنبّهت إلى ان منابع الحنين التي شاهدتها في عيني تلك الفتاة، هي عنوان الديوان الذي يجمعنا، في هذه الأمسية، اتصلت بتلك الحلوة، قلت لها:

- أنا ذاهب لأتحدّث في أستاذك، هل تذكرينه، ماذا تريدين أن أقولَ له أو فيه؟

- ذكّره بي، واحمل له هذا البيت، بعضاً من بضاعته في الشعر، لعلّني، باسم طلاّبه وطالباته، أفيه بعض حقّه:

أمعلّم الأجيال، هَبْني أن أُقبّلَ راحتيك

أجبتها: سأحمل إليه بيت الشعر، أما القبلة... فالدَّين ممنوع.

وها أنا، يا أبا عصام، آتٍ لأفي الوعد، وأحمل إليك، باسم طلاّبك وطالباتك، كلمة من ورد، وقبلة على جبينك العالي، وطلباً للغفران: لقد كدت أغار منك،

وأحسدُك، ولكنني يوم عرفتك تمنّيت أن أستعيرَ بعضاً من حلاوة روحك وسنبلةً من بيدر الشعر.

صلاتي إلى اللّه، أن تبقى أنتَ أنتَ، ولا تقاعد ولا شيخوخة ولا نهايات قصائد، وصلاتي أكثر أن تبقى تريز الزوجة الوفيّة ورلى وحنان وعصام وعماد... وأن يبقى بيتُك بيتَ الحب والشعر إلى أبد الآبدين، ودهر الداهرين. آمين.

# نهاد نوفل

يوم نال نهاد نوفل جائزة الأونسكو للسلام،
كرّمه نادي الروتاري ونادي الليونز،
في كازينو لبنان في ٢٠٠٠/٢/٥

أيها الأصدقاء

فصلٌ من حكاية مضى عليها سبعٌ وثلاثون سنة.. كنت أمرّ في سوق الذوق العتيق، في ليلةٍ شتوية مُقمرة، يحلو فيها حديثُ العشّاق الدافئ. سمعتُ همساً، أصغَيْت، رحت أتنصّت:

- مساءَ الخير.

- مساء الورد.

- أين أنتِ؟

- أنا هنا، قربك، بين يديك، على حدّ الأنفاس والنظر واللمس؟

- لا أراكِ.

- تطلّعْ إلى الحجارة، إلى الشجرة، إلى مجرى الساقية، إلى حفافي الزهر، إلى النوافذ الخجولة، إلى القناطر المفتوحة على المدى والدمع والحبّ، تطلّع، تراني.

- ماذا تفعلين؟

- أتغاوى، أزهو، أغنج، أرقص، أسامر النجوم والبحر والقناديل، ألاعب الأطفال، أتسلّل إلى أحلامهم، أتبادل وإياهم عروسة السكر، ألعب، أنام...

وأحلم...

- بماذا تحلمين؟

- أحلم أن أصبحَ أميرة.

- ماذا؟ سكرانةٌ أنتِ بنفسك؟

- ... لا، يا صاحبي، أنا لا أشرب ولا أسكر، قدري، ربما، - واغفر لي - أن أُسكِر...

- متكبّرة.

- لا، لست متكبّرة، بل بنتُ أكابر، لا عن ادّعاء، بل لأنني حلوة وأصيلة، ومربى الدلال، أنظر إلى فستاني، حاكه نَول أبي، حريرٌ ناعم شفّاف... لا تنظر كثيراً، وعميقاً، انني لا أزال على حياء وخفر... وأصلّي...

- ماذا؟

- أصلّي... ألا تسمع في صوتي بعضاً من بُحّة جرس الكنيسة، وتراتيل الراهبات في خشعة الليل، وأغنيات الأمهات يكاغين لأطفالهنّ.

- وأين تسكنين؟

- أسكن هنا؛ ولي جارات، يا طيبهنّ.

- عمّن تتحدّثين؟

- عن جاراتي: ألا تعرف عينطورة وأدراج عينطورة وأبراج عينطورة؟ ألا تعرف بكركي وصوتَ بكركي - ومجدُها الوطني في الزمن الصعب - ألا تعرف ذوق مصبح، على المقلب الآخر، تردّد تلالُها الشامخة أصداءَ مجمعِها المقدّس؟

ألا تعرف جونيه، جونيه - المنارة، واللؤلؤة المغتسلة بالعطر؛ والشامة المرسومة بكحل الخليج وزمرّد الموج وأبيض الياسمين؟

- ماذا، أراكِ تتحدّثين شعراً؟

- ولمَ لا؟ كلّهم، الشعراء، أصحابي، أُصغي إلى قصائدهم، أترفّقُ بهذا فأوسّده صدري، أُطفئ لهيبَ ذاك، أنقل رسائلهم الحميمة، أعرف أسرارهم، وأسماء حبيباتهم، وألوان عيونهن و...

- وتعرفين الياس أبو شبكة؟

- أوه، هذا المجنون الطيّب، كأنّه لصّ مرق على رؤوس الحبق، كأنه ما سرق، كأنه... يا دهرُ أرجعْ لنا، ما كانَ في لبنان،

- اللّه، اللّه، وتحفظين الشعر؟

- أجل، فهو حديثُنا اليومي، مع العصافير والرعاة، على «النبعة» - هل تذكرون النبعة؟ - وفي القهوة القديمة، وأمام «المَيسة» الختيارة، وفي سهرات الشتاء.

- وبماذا تتميّزين؟

- أتميّز بصفات كثيرة، ولكن أحبَّها إلى قلبي، ولا تعجبْ، هي: الحرية، قدري أن أتشاجرَ، كلَّ يوم، مع القفص، فما مرّ واحدٌ مقيّد، على مساحة عينيّ إلاّ فككتُ قيوده، وأطلقته للريح والوطن.

- ما اسمك؟

- ألا تعرف اسمي؟ مزيجٌ هو من الذَّوق ومن ابتسامات الملائكة والهالة المقدّسة. إحزر.

وصاح الديك... فسكت الهامسان، للحظات، ليس مهّماً حسابُ الزمن، ثم سمعتُ همستين فقط:

- أحبُّكِ

- أحبُّكَ.

أيها الأصدقاء

بعد سبعة وثلاثين عاماً، على هذا الحوار، يمكننا اليوم، ولا فضيحة ولا من يفضحون، أن نسمّي تلك الصبيّة القروية الحلوة، انها: **ذوق مكايل**.

أما العاشقُ الولهان السكران النشوان السهران فهو: **نهاد نوفل**.

ومن القرية الصغيرة، وبفضل حكاية الحبّ، ووحدة المسارين والمصيرين بين الحبيبين، يتحقّق الحلم وتصبح الصبيّة أميرةً عربية عالمية تتوّجها الأونسكو، وتحلو في أعين الكثيرين، ويتنافس على محبّتها، ولا غرابة أو تجنّ، نادي الروتاري ونادي الليونز، وهي، على فتنتها ووفائها للعاشق الصامت الوديع، للحبيب الشجاع على طفولة وتواضع، تجتذب هذا، تُغري ذاك، تبتسم، تدعونا إلى الابتسام، وتمدّ يدها مفتوحة: يا هلا... وان شاهدت رئيس حكومة لبنان*، عرفت مكانَها فتدلّلت أكثر والتفتت إليه: وأنتَ أيضاً هنا، يا هلا، اذاً، وقّع على عقد حبّنا، ولا طلاق ولا هجران.

مساء أوّل من أمس، عادت بي الذاكرة إلى ذلك الحديث الهامس، وعند العشية، انتقلت إلى سوق الذوق العتيق، أحسست ان الذوق، أمَّ القباب السبع، أغنيةُ فرح ونشيدُ محبّة وحكايةُ وفاء. أهلها، جميع أهلها والسكّان، شيوخها والشباب، النوادي، الجمعيات، المجلس البلدي، المقاهي، الأرصفة، الأنصاب والتماثيل والجنائن، بيوت القرميد، الطرقات المشجّرة، النوافذ المزهّرة، وكأنّ الكل في مهرجان. والعروس، مربى الدلال، لا تزال على وفائها وجمالها والمحبّة.

---

* الرئيس سليم الحصّ

لم أحاول هذه المرّة أن أتنصّت على الهامسين - صار للهمس معنى آخر، وصار للتنصّت ألف معنى - ولكنني على مفترق احدى الكنائس، تراءت لي صورةً صبيتين وشاب، أعرفُ أسماءهم هذه المرّة: ألين، كارلا، ايلي، وكانوا أوّل من أمس الثالث من شباط يحتفلون بعيد ميلاد والدهم، وسمعتهم يصلّون:

يا ربّ، من أجل الذوق، من أجل لبنان، كلّنا للبنان.

# سعيد عقل (٢)

يوم منحني سعيد عقل جائزته الأسبوعية،
في نقابة الصحافة اللبنانية في ٢٠٠٠/٣/١

أيها الأصدقاء

دونَ كبرياء، دون تردّد، دون أقنعة وخبث، وبكل صراحةٍ وصدق، وكدت أقول، بكل شفافية، أعترفُ أمامكم أنني، في هذه اللحظات، سعيد جدّاً... فرحان.

كما يومَ كنتُ في الحادية عشرة من عمري، ونلت الشهادة الأولى (السرتفيكا)، أنا اليوم، أعودُ طفلاً، وتتلعثمُ الكلماتُ على شفتيّ، وأشعر ان سكرةً من الفرح تغمرني، فلا أحاول أن أختبئَ وراء الكلمات، أو أمسرحَ موقفاً متعالياً مزيّفاً.

وفرحي اليوم هو ثمرةُ ثلاثةِ عوامل:

- العامل الأوّل تمثّله هذه القاعة وهذا الرجل: قاعة نقابة الصحافة اللبنانية وحضرة النقيب محمد البعلبكي، ونكاد لا نميّز بين الاثنين، حتى لكأنّ حجارةَ القاعة، كما شرايين البعلبكي، تنبضُ شجاعةً في المواقف، وصلابة في الرأي. وهما معاً مؤتمنان على الأغلى والأثمن في هذا الوطن: الحريّة.
- العامل الثاني تمثّله هذه الجائزة وهذا الرجل: جائزة سعيد عقل وسعيد عقل، ومرّة جديدة لا نميّز ولا نفرّق: والجائزة هذه شهادة، لم تصدر عن ادارة مدرسة، ولم توقّع بتوقيع رئيس جامعة، ولم تُختَمْ بماء الذهب.

عظمتها انها تصدر عن رجلٍ صعب ومتطلّب وقوي يشكّل في حدّ ذاته، مدرسةً وجامعةً وذهبَ الأرضِ.
سعيد عقل، الشهادة منه، وزنها كبير وحملها كبير ومسؤوليتُها الأخلاقية كبيرة: أن تنالَ جائزةَ سعيد عقل، معنى ذلك أن تقفَ على خط معيّن، ولا يحقُّ لك أن تنعطفَ أو تعدّلَ أو تستبدل.

أن تنالَ جائزتَه، معنى ذلك، أن تقفَ خاشعاً أمام اللّه، سكراناً أمام الجمال، متمرّداً في حبك للوطن، صلباً في تسلّحك بالقيم.

أن تنالَ جائزته، معناه أن تكون غنيّاً، لا بالتراب الذي يغتني به الآخرون، بل بالمُثُل التي يرفض سعيد عقل، مرّة، أن يساومَ عليها أو يُقامر أو يبادل.

جائزة سعيد عقل شهادةً لكَ أنّك أليفُ الصعب والمستحيل، ولكنها شهادة عليك إن تعبتَ في طريق أو اجتذبتْكَ هوامشُ وأرصفة، أو استسلمتَ لشهوةٍ وإغراء.

متعِبةٌ شهادةُ سعيد عقل، متعِبةٌ جائزتهُ، متعبةٌ كأنّها ضمير... وبها، اليوم، أنا غني وقوي... فهل أستحقّ؟

■ أما العامل الثالث فتمثّله الرسالة التي اجتُزِئَتْ منها الكلمة - الملكة التي اختارتها الجائزة قاعدةً لها: ارفعوا الصوت أكثر، خاطبتُ بها الطلاّب، ووجّهتُها إلى كل طالب جامعي، إلى الصبايا اللواتي يضجّ في عيونهن ألفُ حلم، وإلى الشباب الذين تلمع جباهُهم عنفواناً ورفضاً.

وحدَهم، هؤلاء الطلاّب في الجامعة التي أنتمي إليها، جامعة سيدة اللويزة، وفي كل جامعة في لبنان - وأكرّر - العلامةُ المضيئة في زمن القهر والإحباط والانتظار والحزن. إليهم نتطلّع، بهم نتمرّى، وفي أصواتِهم الحادّة البريئة النقيّة، نستحضر شبابَنا الذي نرفضُ أن يزول.

طلاّبنا الرهانُ وهُمُ التحدّي، والآتي قريب.

أيها السادة

شكراً لكم جميعاً. شكراً للذين حضروا هذا الاحتفال، حضورهم شهادة أخرى لي بالمحبّة والأخوّة. مرّة جديدة أقول لكم: أنا فرح... أنا سعيد. شهادتي اليوم أرقى الشهادات وأنقاها. لم أتوّجْ متعتي بعد، سأحاول أكثر، أحلمُ أكثر، أكتبُ أكثر... الكلمة - الملكة الحلوة، تستحقّ. وحرام أن نعشقَ الاّ الملكات.

وإلى عرسٍ جديد.

# سعيد عقل (٣)

بدعوة من المدرسة الانجيلية - الرابية،

قدم المؤلف سعيد عقل بهذه الكلمة، في ٢٠٠٠/٤/٧

أيها الأصدقاء

لو كان لي أن أختصرَ سيرةَ حياة سعيد عقل، منذ رأى النور، في زحلة ليلة ٤ تمّوز ١٩١٢، وحتّى ليلة ٧ نيسان ٢٠٠٠ في هذه القاعة، لاختزلتُ حكايةَ الثمانية وثمانين عاماً، بعبارة: ظاهرة انجيلية صعبة.

هو ظاهرة، ولكم أن تتحقّقوا من ذلك، بنظرة إليه أو بارتفاع واستماع.

وهو انجيلي، لا بحكم الانتماء والمذهب، بل بحكم القِيَم، وهو في «الانجيلية» الزاهرة إدارة وأساتذة وطلّاباً، وعندها، الخبر اليقين.

وهو صعب، ولا جمال ولا فضيلة ولا إبداع الاّ في الصعب حتى المستحيل. اللّه صعب، وطريق الخير صعبة، الكرامة صعبة، الحرية صعبة، والمرأة الجميلة هي المرأة الصعبة... وكنْ رجلاً إن استطعت.

أيها السادة

أمامَ هذه الظاهرة، أضيعُ في اختيار الألفاظ التي أعرّف بها هذا الرجل - الرجل بألف لام مكبّرة:

هل أقول لكم: أقدّم لكم الأستاذ سعيد عقل. وهل تكفي كلمةُ أستاذ، وكلّنا أساتذة، وندّعي، وزدْ، وزدْ؟

هـل أقـول لـكـم: أقـدّم لـكـم سـعـادة الأسـتـاذ سـعـيـد عـقـل. ويضـحـك هـو، وتضحكون، وفي الضحكة وجع، ويفرحُ أصحابُ السعادة باللقب، ولا سعادة ولا من يسعدون.

هل أقدّمه بالقول: سيادة الأستاذ سعيد عقل. وينظر إليّ بغضب، وأكاد أحترق: أجل، هو سيّدُ قراره وسيّدُ نفسه وسيّدُ الخيال، ولكن أين السيادةُ في زمن القهر والمصادرة والاحتلال... و«قصقص ورق ساويهم ناس»؟

طيّب، هل أقدّمه بالقول: صاحب السماحة سعيد عقل... ويغضّ الطرف قائلاً: أسامح؟ نعم، نعم أسامح كل اللبنانيين، ما عدا ثلاثماية من أصل الثلاثة ملايين، هم وحدهم الذل والخيانة وقايين... هل أسامح مَن خرّب ودمّر وباع واشترى وسرق ونهب وقتل وذبح... لا لشيء إلاّ لأنّه فَقَدَ الضمير والكرامة والوطنية؟

هل أقدّمه بالقول: صاحب المعالي سعيد عقل... ويرتفع صوته: جرّصتني (بالعربي الفصيح: جرّستني) وعلى ماذا أعلو ومن... ومن أين المعالي، يا صديقي، في زمن الزحف؟... تطلّع إليهم كيف يزحفون، كرمى لوظيفة أو منصب أو شراءً لمقعد نيابي.

هل أقدّمه بالقول: دولة الأستاذ سعيد عقل... ويرتفع صوته أكثر، إما أن تكون الدولة دولة، وإما هي دويلة ودويلات، وكلٌّ يعتبر نفسَه دولة، وتبّاً لك، يا زمن؟

هل أقدّمه: صاحب الفخامة سعيد عقل... ويجيبني بحسرة: لو كان لصاحب الفخامة، أن يرفضَ اللقب، في هذا الزمن المجرّح بالخيبات والأحلام المتكسّرة، لرفض، ولا من يحزنون...

طيّب، صاحب الجلالة، صاحب الغبطة، صاحب الفضيلة، صاحب النيافة، صاحب العطوفة، العلاّمة، الخواجا، الأفندي، البيك... ويكاد، لولا بعض حياء

ومحبّة، أن يرفع كفّه ويصفعَني، مع شتيمة، على الطريقة الزحلاوية، الاّ أنّه يومئ أن أصمتَ، وأصمت...

أيها الأصدقاء

نعم، هو استثنائي ومتمرّد وخارج عن المألوف. نعم، لقد اغتسل بماء الجنون وبندى الكبرياء. يرفض الألقاب، يرفض الأوسمة، يرفض الاحتفالات والتكريم، يرفض المناصب، ونعمَ، الجنون جنونُ الإباء والسيوف والكرامات التي لا تنحني.

في الشعر، حبرُه ضياء،

في الغزل، هو شاعرُ الغلالة، لا شاعر العَراء، ويا حلاوةَ الاغراء في شفة ونهد وخصر ويد تلوّح من بعيد.

في الحبّ: لا تقربي منّي وظلّي
فكرةً لغدي جميلهْ.

في الوطن: أنا حسبي أنّني من جبلِ
هو بين اللّه والأرض كلامْ.

في القيم: هو رجل التحديّات: يتغلّب على نفسه وعلى الشهوات وعلى «النعَمِ» الذليلة، يُحبّ ولا يميّز ولا يخصّص، يؤمن ولا تعصّب، حرّ حتى العظام والشرايين، شجاع حتى الفداء، كريم بالمال، ضنين بالشرف. وهذا المتعبّد للبنان، كما قيل فيه، لا يملك شبرَ أرض من لبنان.

وهو، فوق ذلك، سيّدُ الأسخياء.

ومن جديد، أتطلّع إليه، وأكتفي: بالصمت.

ويتردّد صدى بعيد: سعيد عقل، سعيد عقل، سعيد عقل.

# اتحاد الشعر اللبناني (٤)

في عشائه السنوي في غادة البحر - العقيبة،

في ٢٠٠٠/٤/٨

أيها الأصدقاء

يحلو لي، مرّة جديدة، أن أكونَ معكم، ومع الشعر، ومع غادة البحر، ومع كل غادة حسناء، على ضفاف جسدها، كما على شاطئ هذه القاعة، سفرٌ بعيد إلى جزر الفرح والسكر والإغفاءة اللذيذة.

أما بعد، السؤال التقليدي: شو في ما في؟؟ لا جديد، ترقّب وانتظار وسيناريوهات وحرقُ أعصاب. عمّ نتحدّث اذاً؟

سأكتفي بأن أكشف لكم عن رسالة حميمة مكتوبة بأحرف النبيذ والتفّاح وموقّعة باسم امرأة حلوة، موجودة، الليلة معنا، أمّا الرسالة فمؤرّخة: ٨ نيسان ٢٠١٢، لماذا ٢٠١٢؟ لماذا هذا التاريخ؟ لست أدري... ولكنني متأكّد وصادق بأنّ هذه الرسالة ستُكتب، وستصلُ لي سنة ٢٠١٢، ولو بطريقة أسطورية غرائبية عجائبية.

تبدأ الرسالة:

أيها الرجل، يا صديقي القديم، (أتعجّب من كلمة صديقي، بعد اثنتي عشرة سنة، ولا سيّما من ياء المتكلّم تتلفّظ بها أنثى لا يزال في صوتها، كما في ارتعاشة الحبر على الورق، بعضُ حسّ الامتلاك والكبرياء).

أتابعُ الرسالة: يا صديقي القديم،

أكتب اليك اليوم، وقد استيقظت في ذاكرتي سهرةُ غادة البحر... يحييها اتحادُ الشعر اللبناني، وكان ذلك في ٨ نيسان ٢٠٠٠. هل تذكر؟ كنت تجلس هنالك على الطاولة، تشربُ الكأس، تحيّي هذا وذاك، تبتسم بخفر حيناً، بسخرية حيناً آخر، تنظر، بعيداً وقريباً، يتوقّف نظرك على بعض الصبايا، تنظر عميقاً، تنظر «بريئاً» بريئاً جدّاً، وتنتظر... لا أدري ماذا كنت تنتظر؟

قربَك، على طاولة موازية، - هل تذكر؟ - مجموعةُ شعراء، لا الليل يتّسع إليهم ولا الحلم، على شفاههم ابتسامات، وفي عيونهم كآباتُ الجمعة العظيمة. حزنٌ كبير كان يستوطنُ الصدور. وفي صمتِهم همساتٌ: ما هو مصيرُ الشعر والشعراء؟

هل للشعر العامي اللبناني مستقبل؟ هل للشعر مستقبل في زمن الأرقام والاتصالات والمواصلات الحديثة؟

على طاولة أخرى، تذكّر معي، مجموعةُ سياسيين، مرشّحون وغير مرشّحين ومشاريع مرشّحين، بعضهم ينتظر الانتقال إلى سهرة أخرى، فالموسم غنيّ، وهم مضطرّون... لماذا هم مضطرّون؟ هل الحق عليهم أم علينا؟ ولماذا كل هذا التعب والسهر؟ ويتطلّعون إلى الساعات... ومع ذلك، (تتابع المرأة صاحبة الرسالة)، بينهم من يستحقّ وقد استحقّ... ولم تتابعِ الصبية ماذا يستحقّ أو يستحقّون؟

على طاولة ثالثة، تذكّر معي، كان يجلس بعضُ من أتى، ولا همّ له الاّ شربة كأس وإلغاء كل الآخرين؛ لا الشعر يعني له، ولا الثقافة ولا هذه الخطب التي يلقيها بعضُ من وقع عليهم الاختيار، ظلماً أو استحقاقاً.

على طاولة رابعة، أناسٌ بسطاء، صبايا وشباب، وردٌ وعطر، همساتٌ ولمسات، لا وحدةُ المسارين تعني لهم شيئاً، ولا ٤٢٥، ولا الانتخابات، ينتظرون كلمةً حلوة، توجعُهم، تولّدُ فيهم حنيناً، تتحوّلُ إلى رسالة حب...

(سنة ٢٠١٢، أسألكم، هل من وجود لرسائل الحبّ، أم كلّه حتى الحبّ سيتمّ بواسطة الكومبيوتر والانترنت...)

على طاولة خامسة، هل تذكره، يوسف بو خليل، شيخ الشباب يومئذ ولا يزال، يحمل همَّ الشعر، وسلّمَ الابداع بالطول والعرض، يرحّب، ضحكته «رطل» وملء الصدر، يتطلّع إلى البعيد، إلى البحر، وإذا كان المثل يقول: ما همّ جونيه من هدير البحر، فهو يستبدل ليقول: وما همّ الشعر؟ وأراه يتطلّع إلى الياس* ويطمئنّ... هل تذكر الياس، كان مثلك يومئذ، وعينه، كما لسانه، نار ونور.

وتطول الرسالة، أخبار وأخبار، ثم، في الصفحة الأخيرة، أقرأ التالي:

... وطاولات، وهرج ومرج، ويُعلن عن اسمك، وتصعدُ إلى المنبر، وعلى محيّاك بعضُ التوتّر... وتبدأ بالكلام... البعض يستمع إليك، والبعض يأكل، والبعض يفكّر بأمور أخرى... وحدها، صبيّة حلوة - نعم حلوة ولا ادّعاء - عمرها - ماذا تريد من عمرها؟ - كانت تنظر إليك، تبتسم ولا تصفّق... وتقع عينك عليها، وتدورُ الخمرة والشعر والجمال، وتتلعثمُ الكلمات، وتكاد تتوقّف عن متابعة الكلام. ولكنّك تستقوي، تستنجد بالعذراء، وتتابع، وتقول:

أيها السادة

أما حبيبتي التي سأحدّثكم عنها، (كنت تنظر اليّ، أنا أعلم، لم أنسَ ذلك)

فعيناها لونهُما طفولة

طعمُ فمها رائحةُ قمحٍ وأرز ولوز

أنفُها ترفّعُ الآلهة

قِوامُها خريطةُ حب لوطنِ الحبّ

---

* الشاعر الياس خليل

شفتاها قصيدةُ كبرياء

شعرُها الأسود معطفٌ وملجأ

عنقها: صلاة.

ولم تتابع الوصف، لماذا لم تتابع؟ توقّفتَ عند المحرّمات، ثم، وبشبه الهمس، ناديتَ حبيبتك قائلاً:

تعالَي، تعالي نهرب

فأنت صغيرة

وأنا صغير

وعالمُنا ليس من هذا العالم.

وتنتهي كلمتُك، وتعودُ إلى مكانك، ويتحدّث آخرون، وتنتهي السهرة، ويعود كلّ إلى بيته ثم إلى عمله، أما أنت، أما أنا، فحديثٌ آخر، ولا فضائح ولا من يفضحون...

اليوم، أكتب إليك، مبلّلةً بالحنان والحنين، وقد قاسمتُكَ رغيفَ الحزن والأمل على موائد القهر، منذ اثنتي عشرة سنة، لأقول لك، وبفرح ومجد:

انتهى زمن الترقّب والانتظار والعفونة والاهتراء وانكسار الأحلام. لبنان لا يزال، أشرقتِ الشمسُ، غادرَ الرصيف، هو حرّ، قراراً وأرضاً وماءً وسماء...

الشعر، لا يزال، وقد انتهى زمن الذين شرذموه وعهّروه وشوّهوا وجهه، وسجنوه في أقفاص البلادة والتثاؤب والاسترخاء - الهبل. الشعر الفصيح والعامي، لا يموت ولن يموت، أما المستشعرون... فدعِ الموتى يدفنون موتاهم.

أما الحبّ، فلا تنسَ، ليس عمراً وليس سنوات، وليس ذاكرة، وتعالَ، أعرفُكَ أخضرَ الروح والأمل.. أنا لا أزال، وفي جسدي تحدّياتُ النار واللغات المستحيلة، إقرأْ، إقرأ جيّداً... لا تستسلمْ للغبارِ والرماد...

أنا مرصودةٌ للحرية والحلم، أنت مرصودٌ للحبّ... اخلعْ عنك عالمَ الثرثرة والخوف... حلوٌ هو الاغتسال بماءِ الجنون وندى الشوق المستحيل، بعيداً عن أجواء الناس وحروبهم وهمومهم ومشاكلهم، وغنِّ معي:

القمر بيضوّي عالناس

والناس بيتقاتلو

ع مزارع الأرض الناس

ع حجار بيتقاتلو

نحنا ما عنا حجر

لا مزارع ولا شجر

أنت وأنا يا حبيبي

بيكفّينا ضوّ القمر.

# الأب يوحنا قمير (٣)

في احتفال تكريمي أقامته رابطة البترون الإنمائية والثقافية،

البترون في ٢٠٠٠/٥/١٨

أيها الأصدقاء

غريبٌ، كم هي مطمئنةً رابطةُ البترون الانمائية والثقافية، والبالُ فاض، ولا همّ، ولا انتخابات ولا مرشّحون، ولا صور، ولا انسحابات ولا ٤٢٥ ولا وحدة مسارين... ولا من يحزنون.

وغريب أكثر كم هي راقية، في هذا الزمن الساقط الكئيب، تنتزعُنا من سخافات هذا وذاك، ومن الأكاذيبِ والصغائر وتفاهاتِ السياسة اليومية، لتُعيدَ إلينا بعضَ وهج الحياة، وفرح الإبداع، وديمقراطية الكلام الصادق، ونعمة البركة، في الحديث عن رجل، ما رأيته مرّة، أو قرأت له، إلاّ خِلتُه أبجديةَ ضوء وماء وصلاة.

أيها الأصدقاء.

منذ نصف قرن، وكنّا «نصطاف» في بعضِ بيت وخيمة في اللقلوق، ولفظة «نصطاف» كبيرة على فقراءِ ضيعتنا، التفت أبي إليّ، وأبي ذوّاقةُ أدبٍ ولغة، وقد شاهد كاهناً بلباسٍ أبيض يهمُّ بدخول الخيمة، وقال لي: «بوسْ ايد الأبونا». وبستُها، ولم أدعْ عليها بالكسر، ولو على ممانعةٍ وابتسامة حييّة، واستطرد والدي: «أنا والمحترم كنّا رفاقاً في مار يوحنا - كفرحي. أنا جهلت وتزوّجت أمّك، وشوف شو طلع منّي، وأشار إليّ بشماتة، أما هو «المحترم»، فتعلّم وتثقّف، وسيم كاهناً... وهو الآن معلم وفيلسوف».

وابتدأتْ معرفتي به، وأؤكّد، ورغم السنوات الخمسين، أن شهادتي به ليست «مجروحة»، وإن جمعتْنا تنّورين وقرابةٌ وزمالة وصداقة، ولا «جارحة»، وإن أبعدتني عنه، أهواء وأنانيات، أعترفُ بها، أمامكم، وكأني في كرسيّ اعتراف، ومن كان منكم بلا خطيئة فليرجمني بحجر:

■ خطيئتي الأولى يا أبتِ أنّني حسود، فأنا أحسدُكَ على الصبر والجلد والاجتهاد والترهّب والتنسّك لربّك وللكتاب والقلم: أنت قادر على التحكّم بالزمن، على السيطرة على الشهوة وحبّ الامتلاك، على صداقتك اللامتعبة للأوراق والأقلام والمعاجم، على التهامك لمصادر المعرفة، على ضبطك للأعصاب وانضباطك الخلوق، لا تُزعجُ نفسَك ولا تسمحُ للآخرين، ولا الزوجة تعنّ، ولا الابن يطنّ، ولا حماة أو كنّة تئن أو ترنّ.

وتريد، يا أبتِ، ألاّ أكون حسوداً؟

■ خطيئتي الثانية، يا أبتِ، أنني ارتكبتُ طيشَ الغيرة مرّة، وأعترف: كنّا في سهرة عند صديق، صبيّة لافتة، على بعض دلال وجمال، لون عينيها مزيج من مريمين: مريم العذراء ومريم المجدلية، وفي قامتها ما يُرى وما لا يُرى، تسلّمُ علي، بإقبال ومعرفة وتقول: كنتَ معلّمي منذ سنوات...
وحيث أني أدّعي لنفسي، صفة التذوّق، أدباً وجمالاً، فقد حاولت التسلّل إلى حديث هامس معها - تسلّل شفهي لا خطّي - وأسألها ببعض الكبرياء اللعينة: ومن كان أستاذُك المفضّل؟ فإذا بها، تصفعُني ودون تردّد، جواباً قاطعاً: أستاذي المفضّل الأب يوحنا قمير.

وتريد، يا أبت، ألا أغار؟

■ خطيئتي الثالثة أنني أكذب، وأنتَ لا: هل أجرؤ أنا، أن أقولَ أمامَ كُلٍّ هؤلاء الناس، وبينهم زوجتي، أنّ «السعادة... امرأة...» أنتَ، قلتَها، وبالفم الملآن، وجعلتَها عنواناً لأحدِ كتبك، ولم تخشَ أحداً أو تخجل، فيما أنا أعتقد ذاتَ

الاعتقاد - ويشهد اللّه - ولكني، لا أجرؤ، بل على العكس، أصرّح ان المرأةَ خطيئة وأنها عذاب، وانها شرّ، وأن أشرّ ما فيها انه لا بدّ منها.

وتريد، يا أبتِ، ألاّ أكذب؟

■ الخطيئة الرابعة، انك أنتَ كاهن، وأنا - ونحن في كرسي اعتراف - لا أميل إلى الكهنة ولستُ من حزب الاكليروس... طبعاً، أستثني، فبينهم من يشرّفُ الثوبَ والرسالة، وأنتَ منهم، وبينَهم من يلوّث ويشوّه: فريسيون، كتبة، لصوصٌ في الهيكل، يقولون ما لا يعملون، ويعملون ما لا يقولون... ألستَ أنت القائل: ربّاه المرأة والذهب، حلالٌ أو حرام، يسرقُ ويخون، ويبارك يا مارون.

وتريد، يا أبتِ، ألاّ أخطئ؟

■ الخطيئة الخامسة أنّني أصرخ، وأنتَ لا... إسمعْني، يقول عبداللّه القصيمي: العربُ ظاهرةٌ صوتية. ويؤكّد ذلك العلاّمة السيّد محمد حسين فضل اللّه، فيقول في محاضرة له منذ أيّام: نحن أمّة تهوى الصراخ. وأنا واحد من هؤلاء، أغضبُ، أهتفُ، أرفعُ الصوت، أصرخ... وألتفت اليك: فإذا بك تبتسم، وإن تحدّثْتَ، فبهمس وهدوء ودون ضوضاء. أحترقُ مرّتين: مرّة من شدّة الوجع النفسي، ومرّة أخرى لأنّني أراكَ لا تنفعلُ، لا ترتجف، ولا تهتزّ، ويا جبل ما يهزّك ريح...

وتريد، يا أبتِ ألاّ أصرخ؟

■ الخطيئة السادسة أنّك، يا أبتِ، متعدّد وأنا واحد: فأنت فيلسوف، ومعلم وشاعر وبحّاثة وكاهن ومزارع وفنّان؛ من ألمانيا مع نيتشه تصل بنا إلى الهند مع طاغور، تنقلنا إلى بشرّي وواشنطن مع جبران، تمرّ بنا في دنيا العرب مع الغزالي والفارابي وابن رشد، تقفُ بنا على حدود التساؤل: ما

أمسي وما غدي؟ ولا تنتهي مع الانجيل ونشيد الأناشيد، والسبحةُ طويلة، واللّه هو المعطي، أمّا أنا، فواحدٌ، وأكاد...

وتريد، يا أبتِ، ألاّ أخطئ؟

■ الخطيئة السابعة، أنّني أسرق وأشتهي مقتنى غيري، ولا أقول أشتهي: امرأة قريبي... ولا أخفيك، يا أبتِ، أنّ بعضَ ما أقولُه فيك، هو بعضُ ما أعطيتنيه، من خلال محبتك وكتبك وأحاديثك وصداقتك، فجئتُ اليوم أنسبُه إليّ، وهو بعضٌ من عطاياك.

وتريد، يا أبتِ، وأنت المعجن، أن لا أسرقَ الرغيف؟

■ الخطيئة الثامنة، أنني أدّعي التفكير، فيما أنت تفكّر وأنا أردّد. يقول أدونيس: الفكر العربي، اليوم، يكاد يكون، إلاّ باستثناءات قليلة، فكراً بالتبنّي لا فكراً بالانجاب. وأنت تُنجبُ وتصرخ بي: فكّر معي، وأنا سكران بنفسي وبالعولمة، ولا أردّ.

وتريد، يا أبتِ، ألاّ أنفعل؟

■ الخطيئة التاسعة، أنني أعبد الأصنامَ، أما أنت، فلا. والأصنام بعضُها من أهلِ السياسة، وبعضُها من أهل الدين، وبعضُها من أهل المال، وبعضها من أهل الجمال، و«هنّ» يستحققن. أما أنت، فلقد حطّمتَ أصناماً كثيرة خلال عمرك الغني، وقلتَ «لا»، ودفعتَ الثمن، ثم خرجتَ من المطهر، بريئاً كقربان، طاهراً كثلج اللقلوق، رقيقاً كيوحنا الحبيب الذي تحمل اسمه، ويا ربّ، لتكن مشيئتك.

وتريد، يا أبتِ، ألا أخطئ...؟

■ الخطيئة العاشرة وأسكتُ... ربما ينتظروننا على الباب، إنّني ثرثار وأنت مُقلّ مختصر. يقول هيدغر: أهمّ صفات الكاتب: صراحة في التفكير، دقة

في التعبير، اقتصاد في الكلام. تراهُ كان يتطلّع إليكَ عندما قال هذا الكلام، ويسخر منّي... كيف تستطيع، أنتَ، أن تجمعَ كلَّ هذا الفكر العميق بمثل هذه الألفاظ القليلة الدقيقة الرقيقة؟ لماذا لم تعلّمني أن أخفّف هذه الثرثرة القاتلة؟

وأكتفي، لن أضيف.

أيها الأصدقاء

طُلب إليّ أن أتحدّثَ عن الأب قمير، فإذا بي أعترفُ بخطاياي. ماذا، أبتِ، ألا تحلّني من هذه الخطايا؟ شكراً لك، لن أعيدَها، وسأخرج من هنا، وأنا أردّد خمسة أبانا وخمسة سلام، وصلاةً لطاغور الذي تحبّ: يا ربّ، لا تتركني أزلّ، لا تسمح للغبار أن يضلّلني، جُلَّ قلبي عن الإنحناء لسلطات كثيرة، وأعنّي لأرفعَ رأسي عالياً، بشجاعةِ من يُحب...

ويا أبتِ، رضاك.

# طوني طراد

في احتفال أقيم في جامعة سيدة اللويزة، بعد صدور كتاب
طوني طراد عن الشاعر ميشال طراد، في ٢٠٠٠/٥/٢٩

أيها الأصدقاء

تقفُ في بعلبك، تتّجهُ نحو الشمس، تتقدّمُ نحو الهياكل، آلهة وأساطير، تناديك أطيافٌ، الأعمدةُ مقاومةً وتحدّيات، تتنصّت، تسمع صوت رجل - رجل، في بحة صوته بعضٌ من النبيذِ والأصالة والحداء، يبوحُ، بنبرة عالية:

يا قاطفي من المجد لجبينك عقالْ

شَنكلي شي كم نجمي وِزبكي.

وتشعر أنّك في مهرجان، مهرجان حريّة وفرح، وانّ كلّ لبنان، مع بعلبك، يرقص الدبكي، ويلوّح للجنوب اعتزازاً وكبرياء.

ويتابع الرجل، بصوته الزحلاوي الهائج براءة:

قلاّ لها لجارا

العمتسألك عني

قلاّ بالخسارا

باعا لها لجنّي

وواقف عميغني

عا باب خمّارا...

ويردّ صوت أنثوي، لا غنج فيه، ولا دلع، بعضُه حضارة وبعضُه عظمة:

- وأينَ أنت؟

- لا أزالُ هنا، في القلعة، على الأدراج، أسامرُ باخوس، ألاعب جوبيتر، أرقص الدبكة، أغنيّ، أستعيد فيروز حيناً، وصباح... وأضحك... هل تذكرين ضحكتي؟

- لا زلتُ أسمعُها، ضحكتَك... تملأ الآفاق والأجواء، ولكن... قالوا لي: إنّك مُتَّ...

- متُّ، أنا أموت؟ ان كان الموت الذي تقصدين، فقد مُتُّ من زمان... غربتي كانت موتاً، وجعي كان موتاً، قهري المتوتّر كان موتاً...

- لا، لا، لست أتحدّث عن هذا الموت، أتحدّث عن الموت الجسدي، يوم قالوا انّك فارقتَ الروح يومَ عيد مار مارون في ٩ شباط ١٩٩٨، يومها، لا أخفيك، كان لك طنّة ورنّة... كلّهم تحدّثوا عنك، الاذاعات، التلفزيونات، الجرائد، حتى انّ رجالَ السياسة ذرفوا الدموع وتحدّثوا عن الثقافة والفن والجمال... ووقفوا في الصفوف الأمامية، وبعضهم كادَ يندبُ «فقيدَ البلاد الكبير»...

- مالي ولهم، قولي لي: ... والصبايا، ماذا فعلنَ في ذلك الوقت؟

- دائماً الصبايا، لا تفكّر إلاّ بهنّ... كنّ في المأتم، وكثيرات ادّعين. واحدة، ان هذه القصيدة كُتِبَتْ من أجل عينيها، وأخرى من أجل شفتيها، وثالثة من أجل النهدين، ورابعة وخامسة، وانهنّ، على العكس مما تقول، كنّ عفيفات، مهذّبات، يرفضن تسلّلَ الأيدي والأصابع، ويمتنعنَ عن كلّ استرسال غير مهذّب، وانهنّ... ما بك تضحك؟

- وجلنار؟

- أية جلنار؟ الكبيرة أم الصغيرة... بصدق، أقولُ لك، لم أشاهدْ دمعةً صافية كما في عينيّ جلنار، كل جلنار.... وحدَها كانت تختصرُ، بعينيها ولونها الأصفر، حكايةَ عمر وحبّ وشعر... وأذكر، انّه، في ذلك النهار، بالذات، وكرمى لعيني جلنار، كانت الاذاعات بين فترة وأخرى، تغنّي:

وِنْ كان ما في شي

من حبّنا باقي

بتسكّت الساقي

يا طير وبتمشي

وبتغط تحملّي

يا من هك التلّي

يا من هداك الباب

شي ذكر، شي قشّي

ومن خرتشة ديها

من تحت اجريها

شي نقدتين تراب

- قولي لي... ووزارة الثقافة، ماذا فعلَتْ؟ ألم تُعلِنِ الحداد؟ ألم تستسرعِ الأوسمة؟

- ما لكَ وللوزارة... صاحبك سعيد، سعيد عقل، كفّى ووفى...

- ماذا قال؟

- سيبقى وطنُنا زمناً، زمناً طويلاً، قبل أن يُنجِبَ شاعراً بحجم ميشال طراد. ميشال طراد، ليس أيّما شاعر، إنه فريد، إنّه الفرادة...

وينتهي الكلام... سكوت طويل... صوت الرجل - الرجل امّحى، انتحى هو زاوية، وغفا، غفا طويلاً...

اليوم، عاد إلى اليقظة. طوني طراد مزعج، مُتعب، فضولي، اعتبر نفسه انه مسؤول بحكم الانتساب العائلي، عن كل آل طراد، فإذا به ينبش، يبحث، يفتّش، يقمّش، يحلّل؛ أكثر من ذلك، فضّاح طوني ولا يحفظ للسرّ مكاناً، دخل خلسةً إلى قلب ميشال طراد، إلى عقله، إلى غرفته، إلى دفاتره، إلى الأوراق العتيقة، إلى الكتب، إلى الزوايا المعتمة، واستلّ صورةَ جلنار، ونساء أخريات، وبدأ بسرد الفضائح:

ماذا تريد يا طوني، من بلوزتا الالها تلات زرار؟ ولماذا تراقب جسدها، وما يُرى وما لا يُرى:

طـــولـــي شـــلـــح زنـــبـــق     غـــمـــرنـــي بـــعـــد أكـــثـــر
تـــاهـــيك يـــتـــكـــنّـــر     خصـــري الـــحـــلـــو... ويشـــهـــق.

ولماذا، يا طوني، تختبئ وراء درفة الباب؟

ونِـــطْـــفـــا الـــقـــنـــديـــل     عـــا رفّ الـــحـــبـــقْ
ووقـــعـــتِ عَ تـــخـــتـــي     مـــتـــل مـــا الـــلّـــه خـــلـــقْ...

ويتابع طوني لعبتَه، يدخلُ أكثر، لا يترك ستراً إلاّ ويمزّقه، يصادر ذاكرةَ الشاعر، يكشف الشفّافَ من الفساتين والأغطية، يلملمُ بقايا أقلام «الحمرة والكحلة ودبابيس الشعر»، يستنطق الورود ووريقات الحبق، يوظّف العصافيرَ والفراشات في عالم الاستخبارات والتنصّت... ولا يسكت إلاّ عندما يسمع حبيب جلنار يصرخ:

خِدْهُنْ صناديق الدهب

خد همّهن عنّي

عطيني شي منجيرة قصب،

واقعد أنا وغنّي...

باللّه عليك، يا صديقي طوني، أتركْ ميشال طراد... أتركه لوحده... يغنّي... لقد تعب من العمر واتعبناه... أمّا أنت فالعمر الطويل... تستحقّه، والطريق أمامك غنيّة ورداً وأشعاراً... ولكلٍ جلنارُه... ولتكن لك جلنار تفجّر فيك ابداعاتِك الحلوة، وأنت شاعر وناقد وحالم كبير... والمستقبل لك... ونحن دائماً معك.

# جورج خليل

يوم رحيله، في ٢٠٠٠/٩/٢٧

مرّةً جديدة، عصفور صغير، طار، طار، طار... ثم سقط!

ماذا يستطيع عصفورٌ صغير أن يفعلَ في غابة القهر والحزن والأحلام المنكسرة؟

جورج خليل، هذا الطفل النقي الشقيّ، وقف، في ذلك الليل الصاخب، وحيداً، كنقطة على السطر، وودّع الدنيا وهو: يتكلّم، يبتسم، يُبدع، يلوّح، يغمز، يضحك، ويغنّي...

إحترَفَ الشعر، حتى لكأنّه، بصدقه والبراءة، هو القصيدة.

أدمَنَ الكلمة، حتّى لكأنّه، بانفعاله والشفافية، هو الحرف.

مارَسَ الغزل، حتى لكأنّه، بصوره والخيال، هو الحبّ.

وأتقن التمثيل، حتّى لكأنّه، في الدور والحياة، هو البطل.

أي بطل كان؟

كانَ بطلَ المسرحيّة الطويلة الضاحكة المضحكة التي تُخفي وراءَ الأقنعة، جراحَ الروح ودموعَ العشّاق الكبار، وبيارقَ الليل الحزين.

ووضع جورج خاتمةَ المسرحية... هو بنفسه كتب الخاتمة: احتراقُ البطل كأنّه انتحار أو... استشهاد.

أيّة نار تلك التي حرقت القلبَ والشريان والصدر الواسع؟

أيّة حرائق تلك التي تشتعلُ بالفراشات والعصافير وأزهار الياسمين؟

أيّ لهب ذلك الذي مسّه الجنون المستحيل في عينيّ جورج خليل ووجدانه؟

وانتهى... أغمض عينيه... وغفا.

انكسر صامتاً، وحيداً، في غابة العيون والنظرات والأيدي المصفّقة.

لملمَ بعضَ حكاياتٍ وأسماء وصور، وانسحب إلى الوراء، إلى الظلّ... ترك ابتسامته، وحدها، تقول: عفواً.

من أين إلى أين؟ اللّه أعلم.

أما نحن الذين أحببنا جورج، الطلّةَ البهيّة، والشعرَ اللبناني الأصيل، فنشعر اليوم بأنّ صحراءَ واسعة تمتدّ إلى الوطن، وان شعرَ الحبّ قد عصفت به رياحُ الخريف، وان المرأةَ الحلوة الحبيبة دخلت في ثوبِ الرماد.

موجعَ غياب الشعراء والأطفال والعصافير،

وموجعةَ الصلاة التي تنتهي بسؤال: إلى أين، يا اللّه؟

# اميل فهد

في حفل تكريم للشاعر أقيم في جامعة سيّدة اللويزة،

بعد صدور ديوانه الشعري، في ٣٠/٦/٢٠٠٠

أيّها الأصدقاء

أهلاً بكم في هذه الجامعة التي تستقبلكم، بمحبّة، وتؤكّد لكم أن أبوابها مفتوحة، لكل شأن ابداعي، ولكل صاحب قلم، ولكل مواطن حرّ شريف.

أيها الأصدقاء

غريب أن أتكلّم العربية الفصحى، في هذا الاحتفال،

أرى نفسي وكأنّني في غير موقعي، عندما أتحدّث عن «العتابا والميجانا» بهذا الأسلوب الكلاسيكي التقليدي. ولهذا تقفُ لغتي خجولة، كمن يرتدي السموكن مع فتاة في ثياب البحر، أو كمن يصفّق بشفتيه، بدلاً من أن يقبّل ثغرَ حبيبته. ومع ذلك، أتكلّم.

أيها الأصدقاء

الزمنُ زمن انتخابات ومرشّحين وصور وبرامج ووعود ولوائح...

أنا، اليوم، أُعلِنُ اختياري، وأُعلِنُ إميل فهد، مرشّحاً، باسم شعراء التراث، وممثّلاً لهم، لا في الندوة النيابية، بل في مهرجان الفن والجمال.

واختياري لإميل، ليس مزاجياً، ولا عن محبّة، وعلاقة شخصية، ولا لأنّني موعود... بل لبرنامج تقدّم به، في قصائده وردوده، وهو يتضمّن خمسةَ أسباب موجبة:

- **السبب الأوّل:** انّه لبناني أصيل، لا يُشرك، ولا يبادل ولا يستعير. العتابا والميجانا همّه وعمله وبطاقة هويته. ليس من أصحاب الفذلكات الشعرية هو، ولا صاحب بدعة. العتابا التي سمعها من أبيه وجدّه والأنسباء والجيران، العتابا المرشوشة، كما الكرز وعناقيد العنب، في بقعاتة عشقوت، هي علامته الفارقة الوحيدة، وهي العلامة الأصيلة على أنّك لبناني ابن لبناني، وان بضاعتك انتاج وطني، ولا عيب، وانك لست من جماعة بيار كاردان Pierre Cardin ولو أنّك مصنوع في برج حمّود.

- **السبب الثاني:** إنه رجلُ كرامة وشرف، لا يبيع ولا يشتري، لا يساوم ولا يهادن:

اذا لبنان بعدَ العز أشرفْ

ع ذلّو... وعالحكم محتلّ أشرفْ

الموت بخدمة الأوطان أشرفْ

من العيشة تسكّع عالبواب.

- **السبب الثالث:** انه مثلي، جردي، وهذا مجد وشرف. الجرديون، وأكثرنا جردي، أبناء مواهب ومبادئ وأساليب حياة. هو القائل:

ابن الجرد لو زرتو عاريفو

الكرم والجود بالملقى عريفو

اذا بيحبّك بتسكن عَ ريفو

وما بتسرّب اذا زرتو الغياب.

- **السبب الرابع:** انه شاعر مميّز: حسّ وشفافية وبراءة لا تعرف خبثاً أو نفاقاً.

شاعريته وجعٌ من أجل فقير، من أجل مريض، دفاعاً عن سجين، محبّة بداشر، وتقديراً لبائس مظلوم. المال لا يعنيه ولا يتعامل بمنطق تجاري:

**أنا شو عامل بجاري تا جاري**

**معي بيتعامل بمنطق تجاري**

**ما بعرف ليش هالعالم تا جاري**

**ورا كمشة مصاري بالجياب؟**

- **السبب الخامس:** انه عاشق، ولا ككل العشّاق، حبيبته، مثله، أنوفة، على كبرٍ:

**امشي وراسك المرفوع علّي**

**الجبانة مسخره والخوف عِلّه**

**وما تتطلّعي بالناس عاللي**

**بيمشو زحف وبيحنو الرقاب.**

كما انّه «نرفوز»، لا يطيق المزاح، يغار، يغضب، يغلق الباب:

**حمام الحبّ لمّا غط رفّو**

**نقز قلبي ورجع مليان رفّو**

**اذا بعرف رموشك هيك رفّو**

**ع غيري... دبّري غيري حباب.**

ورغم بعض البراءة في تعابيره ومواقفه، فإنّ الجسد يعني له الكثير، ومعه حق، ومن كان منكم بلا خطيئة فليرجمه بحجر، وما ذنبه:

نبّهتك الحمره عا دوري تمسحي لي
شوفي الفضايح ع قميصي مبيّنه

ثم:

زهور اللي النحل حايم عاتمّها

جريمة تعطش ونحنا قراب.

صحّ... لا سيّما في زمن القلّة والعطش.

هل نتابع؟ يكفي... هل تنتخبوه؟ أم تنتظرونه ورفاقه كي تكتمل اللائحة؟ على الأقلّ، لن تكونَ مستوردة ولا معلّبة ولا لعبة...

كثيرون يستحقّون... كثيرون غابوا... قبورُهم نقفُ عليها بتقدير واحترام.

نحن، يا شعراء الزجل، يا شعراء العاميّة، نعتزّ بكم ونفخر. ويا إميل، نحن دائماً معك.

وشكراً. -

# ميّ خليل

مقدّمة لكتابها الأوّل الصادر سنة ٢٠٠٠، في ٣/١٠/٢٠٠٠

جاءني صوتُها على الهاتف، واثقاً على بعض خجل:

- أنا ميّ!

ولفّتني الحيرة. أيّة ميّ هي؟ وما تريد؟

تابعَتْ:

- أنا ميّ خليل، تلميذتُك السابقة. ألا تذكر؟

وتضجّ في البال ذكريات: ميّ في المدرسة، منذ سنوات، في صفّ البكالوريا، زمنَ القصف والعصف وجراح الروح. في عينيها، لمعةُ ابداع، في رصانتِها، معركةٌ مع الطفولة، وفي تطلّعاتها، انطلاقاتٌ إلى البعيد البعيد.

ميّ خليل، الطيّبة النقيّة الودودة، تعودُ إليّ بعد غياب سنوات، لا النسيان يغتال صورتَها ولا الزمن.

- وما عندَكِ، يا مي؟

- عندي مجموعةُ خواطر ومقالات، سمِّها ما شئت، كتابات مختلفة، أعبّر فيها عن «الأنا» في صدامها اليومي مع الزمن، وفي شجارها اللامحدود مع الحياة المرّة.

- موفّقة، يا ميّ، ولكن، ماذا تريدين مني؟

- أريد - قالتها بثقة وجديّة - أن تكتبَ لي المقدّمة.

بعد أيام، كانت مجموعتها بين يديّ،

ورحت أقرأ...

ميّ في سكرة انفعال وتأمّل وحياة: تبكي، تضحك، تستريح، تقاتل، تركض حافية على المسامير، وتصلّي...

ضجيجُ أفكار في زحمة مشاعر متوتّرة، تبوح بما في القلب والذهن من أوجاع وآمال، تخاطب القدّيسين، الأهل، الموت، اللّه، الأصدقاء... وتخاطب نفسَها، وتخاطبني، أنا، أنت... وكأنّنا جميعاً في لقاء انساني حميم مع ميّ.

يا ميّ

لن أعلّقَ على ما كتبتِ، لن أنتقدَ، ولن أحلّل، لن أغور في الأعماق، ولن أقفَ على سطوح الكلمات... فقط، أقول لك:

الحياةُ حلوة، تعالي نَعِشْ هذه الحياة، ولا علامةَ استفهام.

كلماتُك مواقف وأحلامٌ متكسّرة... أكتبي بعد، غداً لن تتكسّرَ الأحلام.

الماضي جميل، على مراراته، ولكن الأجملَ هو المستقبل.

ولكِ أنت... المستقبلُ والفرح والحياة.

مع محبّتي

# الأب العام فرنسوا عيد

في حفل تكريم أقامه مجلس الفكر
في عبدلّلي، في ٢٠٠٠/١٠/٧

أيها الأصدقاء

الشهادة هي كلام للذكرى، للماضي، للتاريخ.

في الشهادات بعضٌ حنان وحنين، نتذكّر بفرح، نتذكّر بحسرة مَنْ أصبحوا من التاريخ...

مع قدس الأب العام، ظالمٌ أنْ أتحدّثَ عن التاريخ، رغم ثرائه، بل سأتحدّث عن المستقبل، فهو لا يزال رجلَ المستقبل. جميل أن نتذكّر ولكنّ الأجملَ أن نحلم.

لو أردتُ الحديث عن الماضي والشهادة به، لتحدّثتُ من موقع الشاهد، الأكثر من رفيقٍ وصديق ومستشارٍ لحضرة الأب العام، يوم عُيّن رئيساً للجامعة بوزناتٍ قليلة، فاستمرّ سنواتٍ ثم غادرها، بوزنات مضاعفة قائلاً للربّ: شكراً لك، أطلقْ عبدَك.

لن أتحدّث عن غنى الوزنات وثمارها وحلاوتها ومفاعيلها الروحية والتربوية، ولن أتذكّر، بل أذكّر قدس الأب العام بما كان يحلم به، ولا أخاله إلاّ يتابع الحلم:

جامعة ديناميكية راقية فاعلة متحرّرة، قادرة على إعداد أجيال جديدة لوطن متجدّد، وتلتزم العمل على صياغة مواقف ونسجِ علاقات وبناء مجتمع

حضاري متماسك متضامن أخلاقي أقوى من التفاصيل وتفاصيل التفاصيل، وأكبر من أن يُهدّدَ بافناء أو حروب أهلية أو ضياعٍ جغرافي.

أبتِ العام.

هذه الأحلام سنحقّقها، زملائي وأنا، بقيادة رئيسنا الأب بطرس طربيه، وبتوجيهاتكم ومجلس المدبرين ومجلس الأمناء، ولن تكون الجامعة التي أحببتُم إلاّ كما حلمتُم بها، جامعة الألف الثالث، في وطن منفتح على العالم وعلى العولمة. مسارُ هذه الجامعة من مساركم، وحلوةً وَحدة المسارين عندما تقوم على الحرية والسيادة. وهذه شهادة عليّ كما هي شهادة لك... وشكراً.

# فيكتوريا سلموني

بعد صدور كتابها «الابحار ضد التيّار»، أقيم احتفال في
مدرسة القديس يوسف – عينطورة في ٢٠٠٠/١١/٢٣

أيها الأصدقاء

بعد ثلاث عشرة سنة، عائدٌ أنا إلى عينطورة، إلى مسرحها، إلى الملاعب والقاعات، إلى الأقبية والأشجار،

عائدٌ إلى أدراج عينطورة، إلى زجاج كنيستها المعجون بالحب والفن والصلاة،

عائدٌ أنا، ومن قال اني رحلتُ، أو هجرتُ، أو هُجّرت؟

من يختبرُ دمي، يمنحني بطاقةَ تعريف، مكتوب على زاوية منها:

فئة الدم: عينطورة Positif، ولو على بعضِ تمرّد وحنان ودمع.

ومن يتفحّص عينيّ، يكتبُ في زاوية من بطاقة التعريف: لونُ عينيه لونُ برجها، على بعضِ شقاوةٍ وكبرياء ووفاء،

ومن يفتحُ أبوابَ الذاكرة، وما أوجعَ الذكريات وما ألذّ، يقفُ حذِراً، ولا فضائح، ولا من يفضحون...

عائدٌ أنا، إلى هذا المنبر، أتلو عليه فعلَ اعتراف، ولا ندامة ولا من يندمون:

كان، يا ما كان،

**الزمان:** البارحة، أو السنة الماضية، أو منذ خمس سنوات، أو عشر، أو أكثر، ما هم، مفترِسٌ هو الزمان... ولكن...

**المكان:** صف البكالوريا - الطابق الثاني، من الجهة الشرقية من مدرسة القديس يوسف - عينطورة

المعلّم، يعلّم، يشرح، يتحدّث، يقف، يمشي، يأخذ طبشورة، يكتب على اللوح، يحاور، يبتسم، يمرّ في نظراته عند هذا التلميذ أو ذاك، يتوقّف عند تلك، يتابع...

المتنبي، ابن الرومي، مارون عبّود، أمين الريحاني... وصولاً إلى الياس أبو شبكة، ويجود: هنا، على هذه المقاعد، كان الياس، درسَ هنا، من هذه الشبابيك أطلّ على الذوق، على غلواء، على البحر، على ليلي... ومجنوناً كان، لا يحترمُ النظام، ولا يقفُ عند حواجز ولا عند إشاراتٍ أو تهديد أو قصاص...

وتستوقفُه عن الاسترسال في الكلام، يدّ حريرية ترتفع، يلتفت المعلّم: تلميذة حلوة على بعض تحدٍّ ونداء؛ في عينيها شِعر، على شفتيها بعضٌ من بريق الحريّة، وصوتٌ يقول: وهل أنتَ ضد الجنون، يا أستاذ؟ وهل يجب دائماً أن تَمشي حسب الأصول، وضمنَ القوانين والتقاليد؟

وحديثٌ كبير، وفوضى حلوة - هل تذكرون الفوضى الحلوة؟ - عصافيرُ تطير، أقفاص تتحطّم، نوافذ تتكسّر، وتولد صبيّة في عينيّ، امرأة، مشاكسة، مشاغبة، امرأة الأسئلة القلقة، لا الأجوبة الجاهزة، امرأة مختلفة تهوى الابحار ضدّ التيّار...

هل تذكرون؟

أنا أذكر:

تلك التلميذة كان اسمُها: فيكتوريا سلموني.

أما المعلّم المسكين الذي يهوى الشغب، والابحار ضدّ التيّار، ولكنّ العمر روّضه، والحاجة والزواج، فكان: أنا...

منذ تلك الساعة، تعرّفت إلى فكتوريا، عرفتُها جيداً وعميقاً، تلميذةً وطالبة جامعية، معلّمة وأستاذة، مثقفة فاعلة، زوجة مخلصة، وسيدة بيت، أمّاً مميّزة، وصديقة طيّبة...

ولكنّني عرفتُها أكثر فأكثر: شاعرة تعرف كيف ترقصُ بالكلمات، تخمّرها نبيذاً، تعتصرُها قارورةَ عطر، أو دمعةَ حزن أو شرارة حارقة.

كانوا يقولون: المرأة الجميلة لا تُمسك القلم إلاّ لتلوّن شفتيها، ولا تستخدم شفتيها إلاّ...

مع هذه المرأة الجميلة، تكتشفون امرأة تمسكُ القلم لتكتب، ولا أشياء صغيرة، وتستخدمُ شفتيها لترفعَ صوتها أكثر في وجه غباوة عمياء وعادات مهترئة وتيّار سخيف.

كتابُها، اليوم، بغلافه الخارجي، كأنّه قبلة، ولتسلمْ ريشةُ سامي أبو خير يعرف قيمةَ اللون الأحمر ولو تخلّله بعض الغموض الأزرق، وما همّ؟ فالإبحارُ صعبٌ ومغرٍ ومفتوحٌ على كل الأمواج والجزر والأحلام.

كان، يا ماكان، هل أصمت، أيها الأصدقاء؟

أعذروني، تحدّثت عن فيكتوريا، ولم أتحدّث عن الكتاب... لم أحلّل، لم أنقد، لم أبحث عمّا وراء الكلمات، اكتفيت بما قاله جورج جرداق، الكبير شعراً وموقفاً: فيكتوريا امرأة من شعاع وعطر وشعر، يسكنُها الجمال جسداً وروحاً.

أليست هي القائلة ختاماً:

ليس لي من كل عمري

غيرُ عشقٍ... وقصيدة... وقلم.

أيها الأصدقاء.

أنا أعترف أمامكم: حاولت أن أعلّم فيكتوريا بعض الأدب، ولا قلة أدب يشهد اللّه وهي والكتاب... وحاولتُ أن أعلّمها الحبَّ والجمال والفن، ولا أدري كم نجحت؛ لعن اللّه المعلمين الذين لا يعلّمون الحب والجمال والفن.

اليوم أعادت اليّ هي، في هذه القصائد، بعضَ العمر، بعضَ الشباب، بعض الجنون الطيّب، ولهذا، سأعاقبك، يا فيكتوريا،

سأعاقبك، على هذا الكتاب، عقاباً لا يمكنُكِ نسيانُه أبداً:

سأبقى أحبّكِ... دائماً، وإلى أبد الأبدين ودهر الداهرين، آمين.

# شوقي أنيس عمار

في احتفال نظّمه مجلس الفكر ولجنة إحياء تراث عبيه تكريماً للشاعر بعد صدور كتابه «بعدن بالبال»، عبيه في ٢٠٠٠/١٢/١

أيها الأصدقاء

ليس صديقاً لي هو، ولا زميلاً، ولا جاراً، ولا رفيقَ صبا وسمر وليالٍ ملاح. وليس بيني وبينه، علاقاتٌ مميّزة، كما بين شقيقين. أعرفه، اسماً، كتاباً، صوتاً، قلماً يضجّ، وأديباً شعبيّاً يغتسل بماء عين عنوب، أو بدموع عينيها، لا فرق، ويكتبُ بالحبر الأحمر مخمّراً في بشامون، أو الأخضر مقطّراً في عبيه، يكتب بحريّة، بحريّة... وهنيئاً لك، أيها السكران بعنقود عنب أو بعطر الحبق والصعتر والورد.

وحيث أني لا أعرفه، سأمارسُ اللصوصيةَ البيضاء، ولو في زمن الصوم، وأسرقُ لغتَه وأسلوبه، وأسرد لكم حكاية.

ماذا، لو صدر في الصحف، صباحَ غد، في صفحة القضاء والجرائم، هذا الخبر:

**إلقاء القبض على شوقي أنيس عمار في عبيه.**

هل كنتُم تشكرون لجنةَ إحياء تراث عبيه ومجلس الفكر على هذا الفخ الذي نصباه لصاحب كتاب «بعدن بالبال»؟

وهل كنتم تحيّون، وبمحبة، الصديقة الحلوة المثقّفة راغدة جابر على كلمتها وتقديمها، وكأنّها «المواطنة الصالحة» التي تدل بالإصبع على المتّهم المسكين؟

وهل كنتم تقدّرون ما ستقوله هذه العصبة من أهل القلم، وكأنّها «دوريّة» الشرطة وهي تسلّم المعتقل إلى المحكمة والزنزانة والقيود؟

سأتلو عليكم الخبر، كما سيأتي غداً في الصحف.

**العنوان:** إلقاء القبض على شوقي أنيس عمار في عبيه.

**التفاصيل:** في احتفال أقيم مساء الجمعة ١ كانون الأوّل ٢٠٠٠ في قاعة بيت اليتيم الدرزي، تكريماً للأديب المعروف شوقي عمار، وقف أحد الأشخاص غير المعروفين، وكأنّه من زوّار الليل، أو من أهل التنصّت، والتنصّت على التنصّت، وتناولَ الكلام وبدأ بسرد مضبطةِ اتهامات بحق السيد شوقي، ورد فيها التالي:

**١- أنت متّهم بهويتك،**

- من أية عائلة أنتَ؟

- عائلة عمار

- وماذا عمّرت؟

- عمّرتُ بيتاً من حجر، وبيتاً من شعر، وبيتاً من حبّ ونبل وكرم. ماذا تريد أكثر؟

- هل عمّرتَ متراساً خلال الحرب؟

- لا

- هل عمّرتَ على أرض الغير، على أرض الدولة مثلاً؟

- لا

- هل عمّرتَ شارعاً أو مدينة خارج الذاكرة، كما في بيروت؟

- لا

- اعتقلوه، لو كنتَ عمّرت لأصبحتَ ما تريد أن تُصبح، على الأقلّ، واحداً من الفعاليات، ولكن...

**٢- أنت متّهم بالعزوبية،**

«هيّنة أنك لم تتزوّج ولا مرا...» تجلس، ترى مشاكل غيرك، «نقّ المرا»، «نق الولاد»، أقساط المدارس والجامعات، مشاكل العيش المشترك، لا العيش الوطني، بينك وبين العائلة، وأنت لا تهتمّ، وتردّ على صديقك: ما متّ ما شفت مين مات.

**٣- أنت متّهم بوحدة المسارين،**

لا، لا، نحن هنا لا نتحدّث بالسياسة، المقصود بوحدة المسارين: النثر والشعر، أو الفصحى والعامية... نحن، بمسار واحد، وننوء مُتعَبين، فكيف بمسارين... كيف تجرؤ؟ وحدة المسارين تحتاج إلى غير رجال... حطّ عن ضهرك واستريح.

**٤- أنت متّهم بالرجعية والتخلّف،**

أنت تعيش في الماضي، مع الذكريات. لماذا كل هذا الحنان والحنين؟ تتحدّث عن القناديل ومنجيرة الراعي، وعجقة كنكني وحجر الموقدي ومراجيح ومزاريب، والدلفة والقنطرة والمحدلي... لم تردْ، عندك، مرّة واحدة، لفظة «العولمة» - هيّنة - ولا الانترنت، ولا الكومبيوتر،... أنت عتيق وجردي وفلاّح، تحوّش الكلمات من أحراج عين عنوب ومطلّ شملان وأدراج عبيه وتطلّ فيها على القرن الواحد والعشرين بلغة الآباء والأجداد والعفوية البريئة المهوشلة، وتنسى أنّك في زمن O.K., D'accord, Sorry, ça va...

**٥- أنت متّهم أنك لبناني، وتحبّ اللبنانيين ولا تميّز،**

كيف ألغيتَ الطائفية من قاموسك؟ كيف، وأنت من أنت، لماذا لا تسبّ لهؤلاء الذين لا يزالون يؤمنون بالصليب وبمار مارون؟

ثم، كيف تجرؤ فتسمّي شعراء لبنانيين من أمثال الشحرور وعلي الحاج وأنيس روحانا وميشال طراد وأسعد سابا وأسعد السبعلي وخليل روكز... ولم تأتِ على ذكر الشنفرى وتأبط شراً وقيس الرقيات؟ هل تناسيتَ العروبة... أنت عربي الهوية والانتماء، أم لا؟ وقح... شعوبي...

**٦- أنت متهم بتلفيق الأخبار وبنسبتها إلى فلان وفلان...**

من هم هؤلاء، أنت تختبئ وراءهم... ألست أنت المعلم ابراهيم عندما يقول: رجال الدين حواجز جمركية على طريق السما... أنا ما بصدّق أنو الجنة بدّا واسطة وسماسرة، وإلاّ كنا ضمّيناها للدوائر العقارية.

وجَدّك أبو أنيس، حمّلته الكثير: نحنا صنعنا التاريخ بالعرق والتعب والدم، وتركنا غيرنا يكتبو بالحقد والمال والحبر...

**٧- ٨- ٩- اتهامات، واتهامات...**

وتتابع الصحيفة، صحيفة يوم غد، نشرَ هذه الاتهامات وكيفية إلقاء القبض، بالجرم المشهود، على شوقي أنيس عمّار.

أيها الأصدقاء.

اذا لمحتم، هذه الليلة، وبعد أن نخرج من هذه القاعة، رجلاً، في عينيه بعضُ الحزن والضباب والشعر، لا تزعجوه بتهنئة وكلام... ابحثوا في جيوبه، تجدون أوراقاً وحكايات ولا شيء آخر، ابحثوا في ذاكرته، تجدون أطيافاً لبنانيةً عزيزة، ابحثوا في قلبه، تجدون في الزوايا، بقايا وشظايا حب ووجع... لا تدعوه يذهب وحيداً إلى البيت، حافظوا عليه بالأهداب، حصّنوه

ضدّ كل أهل الشرّ، ومن حين إلى آخر، اسألوه بطريقة خفيّة: اذا صحّ الكلام، وكنت في الغد، في زيارة بيت خالتك، ما هو لونُ الورد المفضّل كي نحملَه إلى السجن؟

وإليك قبلة بحجم وردة على الحساب ومن قلبي... مع صداقتي

وشكراً لكم جميعاً.

# هيكل رعيدي

في احتفال تكريمي، جامعة الروح القدس - الكسليك

في ٢٠٠٠/١٢/١٤

بأيّة لغة تبدأ الحديثَ عن هيكل رعيدي؟

باللغة العربية أم الاسبانية، بالفرنسية أو البرتغالية أو الانكليزية؟ متعدّدُ اللغات هو ويضاعف، ولا يضعَفُ، فيما الآخرون، وأنا منهم، يتحدّثون بلغة واحدة، وينؤون ويضعفون. لغة واحدة، أيها الأصدقاء، تليق بهذا الرجل، لغة القلب، فليسمحْ لي.

ومن أين تبدأ بالحديث عنه؟ من تنّورين أم من تشيلي؟ من لبنان أم من أميركا؟ من الكسليك أم من الرابية أم من قصر بسترس؟ وكيف بدأت، تبقى تنّورين في قلبه، وقلبُه في لبنان، وعقله ولا حدود، وعيناه ولا سدود، وهنيئاً لك أيها «المُعولَم» بامتياز، قبل أن يكونَ هنالك «عولمة» أو من يعلمون.

وأين تقف في الحديث عنه؟ هل تقف عند الفلاّح التنّوري الجردي، الطالع من التراب، المخمّر ككروم «شعبيّة»، المجذّر كسنديانة حوب، النبيل كأرز تنّورين، وإن مريضاً، مَربى الصخور، حتّى لكأنّه على وداعته، لا يقف إلاّ على صخر؛ ومباركةً تهمةً، كأنها الشرف، هي بعضٌ من عظمة الجغرافيا في تسلّقها مدارجِ التاريخ.

هل تقف عند هذا الفلاّح، أم تتجاوزه للحديث عن المثقّف، يجمعُ غلالَ الكلمات ولا يكتفي، ويوزّع، ولا يقتّر، ويا صاحبَ الرساميل، هاتِها من العقل والقلب، ولتمتلئ جيوب من لا همّ لهم إلاّ الجيوب.

ومعه، هل تقف عندَ المقيم أو عند المغترب؟ ومرّة أخرى الكلمة موجعة، وفي الاغتراب غربةٌ وتغريب وغرابة، ونردّد:

مَنْ يبنِ بالحبّ بيتاً ليس مغترباً     من يهدم البيت، إن يبقَ، فمغتربُ

وتتكثفُ الحيرةُ ولا تعرف من أين تبدأ...

وتستوقفني عبارة جاءت، في الكتاب الذي يجمعُنا، على صفحةِ الغلاف الأولى: غبريالا ميسترال... امرأة أخرى في حياة جبران.

ويُغريني الحديث عن المرأة، فإن كان وراء كل عظيم امرأة، فوراء جبران عدّة نساء، أما هيكل رعيدي، ففي حياته ثلاث، وكفى... عددٌ، وصلٌ معي:

أمّه، ذكيّة، ويا ربّ ارحمْها، على قدر ما أعطَتْ وأحبّتْ،

أختُه - لور -، ويا ربّ، لتكن صلاتُها على قدرِ الركوع والتضحية،

رفيقَة دربه، سيلفيا، ويا ربّ، ليكنْ وفاؤها رجاءً لكلّ زوجة وأمّ، ومعها تحوّلت تشيلي إلى قطعة من أرض لبنان.

أيها الأصدقاء،

عذراً، خرجت على الموضوع، أعود:

كان ذلك سنة ١٩٣١، هيكل في الثانية من عمره أو الثالثة، عالمه الذي ولا أوسع، هو ضيعتُه الجبلية وما تضمّ من فقر لذيذ ورياح غاضبة، وحرية لا تعرف أبواباً ونوافذ. في العالم البعيد، في نيويورك، في السنة نفسها ١٩٣١، كان جبران يلتقي غبريالا ميسترال. شاب وشابة، في لقائهما الأوّل، وجهاً

لوجه، في غرفة دافئة في نيويورك، وثالثهما الشعر والوطن والانسان، ويتنصّت هيكل، في الحلم يتنصّت... آه كم كان التنصّت بريئاً في تلك الأيام. يسمع جبران يقول لغبريالا:

أحبّكِ... ولكن أحبّ لبنان أكثر، لو لم يكن هو وطني لأتخذته وطناً... وسأعود إليه.

وتسأله الأديبة الكبيرة: لماذا تعود؟ ألا ترى الأفاعي، وأبناءَ الأفاعي، ولصوصَ الهيكل والوحوشَ المختبئة في أجساد الحكّام الذين يبيعون ويشترون؟ ألستَ أنتَ القائل: كيف ترفعون أعيُنَكُم نحو اللّه القوي وتدعونه أباً، ثم تحنون رقابكم أمام الانسان الضعيف وتدعونه سيداً؟ كيف يرضى أبناءُ اللّه أن يكونوا عبيداً للبشر؟

- لهذا سأعود، يجيب جبران، ولن أكونَ وحدي، ستكون معي حبيبتي الحرية. وفي السنة ذاتها عاد جبران، عاد جثّة هامدة، ليتفيّأ ظلالَ الأرز في بشرّي، وبقيت حبيبتُه الحرية، ذاتُ الأجنحة المتكسّرة، تضربُ أبوابَ لبنان، تدخل أحياناً وتغيب، تلوّح لهيكل رعيدي، تناديه، مع الكثيرين: افتحوا لي الأبواب... ولا تزال.

ويكبر هيكل، ترافقه أحلامه والطموحات، وتنمو فيه صورة جبران ويتعرّف إلى كبريالا، ويحاول أن يتابعَ الدور، في لبنان كما في تشيلي، يكتب، يترجم، ينتقل من بلد إلى آخر، يحملُ علمَ الوحدة والحضارة والوطنية، لا يملّ، لا يتعب، لا يتقاعد، لا يهدأ... ومن جديد، يطرق الأبواب، هو والحرية، ولكنَّ الأبوابَ موصدة، وقد علّقوا عليها أوسمةً مستعارة... ويا ربّ، لا تغفر لهمْ لأنهم يدرون ماذا يفعلون.

أخي هيكل

عذراً على وسام لم يعلّقْ على صدرك، فالشاعر يقول:

لئن نسي الناسوت تقليدَ كاتبٍ　　وساماً، فما سفرُ الزمان بناسي
وما شوّه الحسناءَ فَقرٌ إلى الحلى　　ولا جمّلَ الشوهاءَ عِقدٌ من الماسي

وعذراً ان جرحتُ تواضعاً فيك، أيها المنحني وجعاً وخدمة وثقافة، وكأنّ الشاعر التفت اليك إذ قال:

ملأى السنابلِ تنحني بتواضعٍ　　والفارغاتُ رؤوسُهن شوامخُ

وعذراً، مرّة ثالثة، إن تحدّثتُ فيك، أكثر ممّا تحدّثت عن الكتاب، فهذا بعضُ ما لك عليّ، وأنت الجار والنسيب، وبعضُ طفولتي مرسومةً على ذراعيك.

وباسم تنّورين، إن سَمِحَ لي، تحيّة تقدير لهذا الصرح التربوي، ولسعادة السفير وأعضاء السفارة وجمهورية تشيلي، ولكم جميعاً، وتنّورين الحلوة الأصيلة الحبيبة، كما العذراء، لا توصد باباً بوجه الحريّة والأحرار، وهي اذ تقول لكم: كل عيد وأنتم بخير، تأمل لكم وللبنان الفرح والحرية والسلام. وشكراً لكم.

# سعيد عقل (٤)

خلال تكريمه في الحركة الثقافية، انطلياس في ٢٠٠١/٣/٧،

بعد صدور كتابيه: نحتٌ في الضوء - شرَر

أيها الأصدقاء

ليست انطلياس وحدها، بليمونها والكتاب، تتعطّر بشعر سعيد عقل وتُعطّر، ولا الحركة، وهي من هي، ضميراً وموقفاً وكلمة، تفرح بالصبيتين الجميلتين: شرر، ونحت في الضوء، بل سعيد عقل يتماهى في انطلياس. يحضر ويغيب وتظلّ انطلياس الحبيبة المنتظرة والموعودة وهو يناديها:

لا تــقــربــي مــنّــي وظـلّـي فكرةً لغدي جميلة

هو النصّ وليس المنصّة، تعالوا نمسرح معاً حضور سعيد عقل إلى هذه القاعة، قامةً وحركةً وصوتاً، نحن على هذا المنبر نتحدّث عنه وفيه وإليه... يختبئ هو تحت ظلال شعره الأبيض وينحني.

أُطريه، ينحني أكثر، أستعيرُ بضاعته:

إن رحتُ أُطريه يُغضي رأسَه دَعَةً

كرأسِ صنينَ يهوي - إن هوى - صُعُدا

وميّز، إن شئت، بين الإباء والتواضع، وكلاهما هو.

إن حضر، ورحت والزملاء، نتبارى فيه، ألقاباً ومحطاتٍ، لكنّا في شجار صامتٍ معه، وموجع دائماً:

**نخاطبه:** صاحب السعادة سعيد عقل، يضحك هو وتضحكون، وفي الضحكة آخ مسحوقة، ولا سعادة ولا من يسعدون.

**نناديه:** صاحب السيادة، ينظر بغضب ويكاد يحترق... أجل هو سيّد قراره وسيّد نفسه وسيّد الخيال، ولكن أين السيادة في زمن القهر والمصادرة والاستكبار؟

**إن قلنا:** صاحب السماحة، يتفجّر الشرر: أسامح؟ نعم، نعم أسامح كل اللبنانيين، ما عدا ثلاثماية من أصل الثلاثة ملايين، هم وحدهم الذلّ والخيانة وقايين.

**ان توجّهنا اليه:** صاحب المعالي، علا صوته حتّى الفضيحة: جرّصتني (جرّستني)... وعلى ماذا أعلو ومن...؟

**إن تجرّأنا أكثر وقلنا:** صاحب الفخامة، لأجابنا بحسرة: لو كان لصاحب الفخامة أن يرفضَ اللقب، في هذا الزمن المجرّح بالخيبات والأحلام المتكسّرة، لرفض، ولا من يحزنون.

طيّب، صاحب الجلالة، صاحب الغبطة، صاحب النيافة... ويكاد، لولا بعض حياءٍ ومحبّة، أن يرفع كفّه ويضرب، مع شتيمة على الطريقة الزحلاوية، إلاّ انه يومئ أن... أصمت، وأصمت.

نعم، أيها الأصدقاء، هو هو، استثنائي، صعب، متمرّد، ساحر... منذ ستٍ وستين سنة، منذ «بنت يفتاح» و«المجدلية» و«قدموس» و«رندلى»... وحتّى «شرر» و«نحت في الضوء» وسعيد عقل يغتسل بماء الجنون وبندى الحبّ الكبير... يرفض الألقاب، يحتقر الأوسمة، يستذلّ المناصب، ينوء بالاحتفالات، ويتحدّى... يتحدّى نفسه، أوّلاً، والشهوات و«النَعم» القانعة، ويصارع الأمس، أمسه، يقتحم الحاضر، يتطلّع إلى الغد، ويحلم... تسع وثمانون سنة، والطفل يحلم... يحبّ ولا يميّز ولا يخصّص، يؤمن ولا تعصّب، حرّ حتى العظام والشرايين، شجاع حتى الفداء، طوّاف حتى القمم - ولا

يرى قمماً -، كريم بالمال، ضنين بالشرف؛ وهذا المتعبّد للبنان، كما قيل فيه، لا يملك شبر أرض من لبنان. وهو، فوق ذلك، سيّد الأسخياء.

**يبقى انه هو:** لبنان، ولا نرجسيّة ولا ادّعاء، ولكم لبنانكم... ولي:

لي صخرة عُلّقت في النجم أسكنُها
طارت بها الكتبُ قالت: تلك لبنانُ.

يبقى أيضاً انه هو العصر، ويا لنبل المفارقة؛ اننا نحيا معه، ونغار منه، وهو الباقي، ونحن الزائلون، ونردّد:

شِعري من العصر، أم من سحرِ بابلَ أم...
خذْها، بكأسيَ دقّتْ كأسَها العُصُرُ.

ويبقى انه هو الشعر... ويقول أحدهم: يعجبني سعيد عقل الشاعر، ولكن ماذا يريد هذا الرجل من السياسة والأرقام والفلسفة والاقتصاد واللغة؟
ويتفاصح آخر ليقول: سعيد رائع هنا، عادي هناك، تقليديّ الصيغ، مبدع في صكّ الحروف والعبارات... ولكنّ!

**ويضحك هو ويجيب:** كتبت «نحتاً في الضوء». ولا مرّة، نحتت في الهواء، أو في الماء، أو على الرمل... كنْ أكثر عمقاً، يا سيدي، وابحثْ عن الضوء، عن الفكر، عن الثقافة... ولا يمنعنّك التعب أن تقتلعَ الكنوزَ من مناجمها.

**وأُضيف:** شعر سعيد عقل كالوردة، إما أن يؤخذ ككلّ، وإما أن يُهمل ككل؛ لا تعتقلوا الوردة وتفتّشوها وتبحثوا عن عطرها الطيّب... حرام أن ننتّفَ أوراقَ الوردة لنكتشفَ مواطن العطر فيها، فإنْ فعلنا كنا كمن يمشي في جنازة العطر ووراءَ جثّةِ الجمال.

ويبقى أخيراً أنه هو...

أكرّر، هو لبنان، هو العصر، هو الشعر، وهو...
وأخاف الكلمة، ولا كفر...

ليس إلهاً هو، ولكنه زميل، ومعاً يخلقان ويولّدان الجمال. وإليه أعودُ لأقول:

ليشْ هالليل وهاك اللي كوكبو؟

وهالوردةِ اللي مِنْ شفاف، ومِنْ عطر؟

هيك تاصابيع اللّه يلعبو؟

لأ، هَوْ ت يقلّنا: صعب الشعر

ياكسّرو القلام... يا متلي اكتبو.

أيها الأصدقاء

لن نكتبَ مثله، ولكننا لن نكسرَ الأقلام، وسنبقى طلاّباً في جامعة اسمها سعيد عقل، وستبقى جامعة سيّدة اللويزة على اعتزازها بأن اسمَه يتوّج أسماء أساتذتها، وسنبقى نتطلّع إليه معلّماً فرداً، ولا أُضيف...

تراه، تطلّع في المرآة، يوم قال في الجواهري الذي أحبّ:

فـي كـل حـرفٍ رمـى كـان الـكُـبارا، كأنْ

من جُودةٍ وحده، والناسُ من عددِ...

لست أدري... ولكنّه يبقى في زمن الظلام والقلق والحزن، العلامةَ المضيئة بالفرح والحرية والجمال. ومن أجل هذا، نحن هنا، والحركة الثقافية، وأنتم ولبنان.

وشكراً لكم.

# جان صقر

بمناسبة صدور كتابين له والاحتفال في دير مار روكز

في ٢٠٠١/٣/١٧

... وأنتَ تجتاز عتبات هذا الدير، خفّف الوطء، أخفضِ الصوت، اختصِرْ في الكلام، وصُنْ لسانَك عن هفوةٍ أو خطأ.

أنتَ في ديرٍ أنطوني، حجارتُه تروي، تراثُه عميق، والهوى مقدّس، والتلّةُ لا يليق بها سوى الصلاة... صلِّ معي:

يا ربّ، من أجل الكتاب، أصلّي. كل كتاب هو عمليةُ خلق، تعب وسهر وبحث وقلق وولادة جديدة... الكاتب يعاني، أمّا الآخرون، ويا ويلنا من الآخرين، فيأتون بالسكاكين الحادّة أو بالبخور الكاذب، وبلحظات يتحطّمُ مَنْ يتحطّم، ويتجلّى من يتجلّى... أنا واحد من هؤلاء، الآخرين، اللهمّ، أبعد عني السكّين والمبخرة، واعطِني أن أقولَ كلمةَ المحبّة والحقّ.

أنا لا أعرف الدكتور جان صقر. أعرف العائلة، أعرف بسكنتا، أعرف كليّةَ الإعلام، وأعرف موقعَه الجامعي المميّز، ولكنّني لستُ صديقاً له، ولا جاراً، ولا سميرَ الليالي الملاح، وليس بيني وبينه علاقات مميّزة كما بين الأشقّاء.

إلاّ أنني قادر على القول، وبعد قراءة الكتابين، وبضمير مرتاح، أنّ هذا الرجل يمتازُ بجديّة لا إلى ارتباك، وبرصانةٍ لا تعرف التعب، وبإيمان هو وليد الروح التي تحرّك. آتٍ هو من الجرد حيث المواقف جرأة وشجاعة، نازل من صنين حيث النسور تطير ولا من يزحفون.

يقدّم لنا، اليوم، كتابين؛ نحن، بكتاب واحد، أو ببعض كتاب، ننوء ونلهث، أما هو فكتابان ويستزيد. وهنيئاً لك يا راغباً في ازدياد؛ وكم نغار نحن الذين نعلم أنّ الكتابَ، كالمرأة الجميلة، ولذيذٌ التعب في مثل هذه الرحلات السريّة.

أما المضمون، فواحد (الإخراج الصحافي) عن الأرض و«شياطينها»، والشيطنة في الإعلام حلوة ومرغوبة؛ وواحد (الكنائس الشرقية) عن السماء و«قدّيسيها» والقداسة في الكنيسة حلوة ومطلوبة.

ويُغريني البحثُ أكثر في «الكنائس»، فإذا آلاف الأسماء تقفز اليك: أساقفة، كهنة، راهبات، رهبان، اكليروس من كل الرتب والمقامات. ولولا أنّك تؤمن، لكنتَ تخاف، ثم تتساءل:

أيمكن مع هذه الآلاف من خدّام النفوس أن تكونَ المسيحيةُ في لبنان، في انحسار، هجرة وتهجيراً، وفي إحباط وخوف وقلق؟

ويزدادُ السؤال حدّة: لو نفرّغُ الاكليريكيين من مهامهم الكثيرة والمتعبة (التعليمية، الاستشفائية، الاجتماعية...)، ونجعلُ الواحد منهم يتكفّل بـ ٥٠ شخصاً لا غير، بمعنى عشر عائلات فقط، لا لإطعامهم وتعليمهم، بل لاحتضانهم، لما كان بيننا من يحيا في صحراء الروح وفي قلق المصير؟

ألم يَحُنِ الوقت، كما يقول الإرشاد الرسولي، لإعادة نظر شاملة وصادقة، في الكثير من التقاليد والممارسات والمهام والمواقع الاكليركية؟

أقولها، مع الدكتور صقر، وبصدق، ومن وحي المناسبة: نحن بحاجة إليكم، أيّها الآباء والأمهات والأخوات، اليوم، في حقول الروح أكثر من أي حقل آخر. هذا هو الزمن المناسب. روحُنا جائعة، وليستِ العقولُ والأجساد. اعطِني يا أبتِ، ويا أيتها الأخت الطيّبة، كسرةً من خبز حنانِك، في زمن الوجع والقهر

والتصحّر الوجداني. أتخلّى عن الكتاب لأحظى بشمعة؛ أسمو عن رغائب الجسد، لأستحقّ نعمة آتية.

أعطيني، أيتها الأم، وغداً عيدُ الأم، ويا أخي وأبتِ، أعطيني يدَك، فأنا أسقط، أسقط، أسقط إلى القاع... وأخاف أن يحمّلَكم أحدٌ مسؤوليةَ سقوطي.

ولكن، بمثل جان، بمثل بعض الأمهات والآباء، بمثل هؤلاء المؤمنين الكبار، لن نسقط، وسيكون لنا غدٌ جديد، وزمن جديد.

ويا أخي جان

سلمت يداك والحروف... وهنيئاً لك، يبقى لك الحِبر، لغةَ الأوادم، لغةَ الأصفياء والأنقياء، وطوبى لأنقياء القلوب، ولأنقياء الكلمات، فإنّ لهم عذابَ هذه الأرض وملكوتَ السماوات.

# شوقي عمار وإيليا أبو شديد

في تكريم شوقي عمار وذكرى ايليا أبو شديد،
شانيه في ٢٠٠١/٥/١٨

مساءَ الخير يا شانيه

ومرحبا يا أصدقاء الغروب والشعر والورد.

وشكراً لك، يا جمعيّة النهضة الاجتماعية الخيرية، ويا أيتها اللجنة النسائية، ترتفعون بنا الليلة من عالم السخافات والأكاذيب، الأساطيرِ المزيّفة والسواطيرِ المصنّعة، من واقع سياسي مريض وعاجز، من عناوين اعلامية باهتة وخشبية، تنتزعوننا من عالم الحزن والدمع والقمع، وأزقّة الصبية - العصافير، وهم يطيرون ويسقطون - والضميرُ في غفوة - تنتزعوننا إلى عالمكم الطيّب ولا ادّعاء، البريء ولا تزوير، الأخوت ولا هبل، وكم نحن بحاجة إلى بعض الجنون...

وشكراً للمرأة التي اسمُها «تالينار» - لا تصدّقوا الأخ شوقي - اسمها ليس تالينار، هي اسمُها تالي، أمّا النار، فلتحرقَ له أصابعَهُ، إن تسلّلتَ في ليلة سمر أو سكر أو خدر.

شكراً لتالينار، وهي كما ظهرت على الغلاف، للمبدع الفنّان وليد الأشقر، امرأةَ اغراءاتٍ ونداءات، في جسدها ما يُرى وما لا يُرى... وأنتَ لا تقف عند حدود وردة وورقة، وهنيئاً لك يا فاعل الخير، يا أخي شوقي، دعوتَنا إلى وليمة لن يبقى لكَ منها، حتى ولا صدر، وما همّ إن أصابك دوارٌ وغيرة، فالجمال لا يُحبس، والشفاه لا تسجّل في الدوائر العقارية، والعطر لا يُصادر

والأهداب لا تطلب اذناً... دع تالينار تتدلّل وتتغنّج، وكلّنا، في النهاية، عشّاق، والحبيبة التي لا قبلها ولا بعدها هي المرأة.

وحدها هي القصيدة، لولاها، لا شعر ولا من يشعرون،

هي التي تمسح الزمن بنقاوة الماء، لتنفضَ عنه غبارَ الصحراء.

هي التي نتمرّى بعينيها ونتكحّل؛

معها يتحوّل الحبّ إلى فضيلة، دونها العالم رذيلة وفضيحة.

معها تولدُ أبجديةً جديدة في الحنان، دونها الجهل والأميّة والتوحّش. لا أتصوّر عمراً إلاّ ملوّناً بضحكة امرأة أو بجغرافية جسدها.

كونوا في سكوت، أيها السامعون، أيها الشعراء، واصغوا إلى صوت المرأة، صمتاً وهمساً وصراخاً. انصتوا أنتم، ودعوا التنصّت لهم؛ هنيئاً لمن يعيش عمره في جامعة الحبّ أو في مدرسة المرأة. لو كان لي الخيار، وكذلك لشوقي، وهو العازب المزمن، لتكاسلتُ عن قصد، وفضّلتُ إعادةَ الصف، نصفَ قرن آخر، ولا أتخرّج أبداً، ومن له أذنان سامعتان فليسمع، أو فليتنصّت...

ويا أيها الأصدقاء.

ليس الكبير شوقي وحده، مشرّداً في جنائن الحبّ، لقد سبقه حتّى... الاستشهاد، الشاعر الآخر الذي نتذكّر اليوم: ايليا أبو شديد... تعالوا نُحيي ايليا، مسرحاً ونغماً، وتراً مشدوداً، حركةَ يد، سرحةَ عين، ابتسامةً تكاد تنطفئ، وعجقةَ صور ودنيا أحلام، وبنات العشرين... ثمّ، يسقط، يسقط كل شيء:

هالدني ورشي

وترابها كمشي

في ترابِ باقي ترابْ

وفي تراب عميمشي.

أيها التراب. يا ايليا، آه، كم هي رائحتُك طيبة. أيها الجرح المصلوب، آه كم هو نزيفك لذيذ، ونفرح نحن بالنزيف... وتسألُني عن الوطن، والجديد في الوطن...

لا جديد: الكلمات هي نفسها، والاستقواء، والاسترهان، والاستسلام، والاستزلام، وأصوات تمنّن: انقذْنا هذا واخترعْنا ذاك... ونحن نعلم، وأنت تعلم، وهم يعلمون، انّ الأوطان لا يُنقذها غيرُ الشرفاء من أبنائها، وان الرجال لا تُخترع، والدُمى ليست رجالاً، وان الكراماتِ لا تُستنسخ، ورصاصُ أقلامنا أقوى من رصاصات مسدّساتهم، وسنبقى... يا ايليا أبو شديد، وستبقى أنت، رغمَ الموت الصعب، رغم المستحيل، رغم الليل الضيّق، علامةً فارقة في شعرنا اللبناني الحديث.

ويبقى، أيها الأصدقاء، أنّنا في توقيع كتاب شعر: هويتُه أصالة وأناقة، لغته، فصحى أم عاميّة، تحمل شذا وردة، تسلّل إليها الندى، ليلةَ أمس، خرمشَ جوريّها الأحمر، لملمَ بقايا الغِوى عن جسدها الطرّي، وطبعَ قبلةً في مكان ما، ثم انتحى زاوية يغنّي لها حتّى... الفجر.

الشعر، يا أصدقائي، شعر شوقي عمار، شعر لبناني، لم يجنّسه أحد، لم يتّهمه أحدٌ بانتحال صفة، لم يستورْده أحد، هو طفلنا الذي يحمل لون عينينا، وشيطنة أصابعنا، وهوشلة البراءة في صدورنا. إنه الشعر الذي لا يطلب شهادة حسن سلوك، ولا إجازة مرور، ولا ورقة استخبارات، ولا رضى هذا أو ذاك؛ هو الطاعن والمطعون معاً، إنه الشعر المشاغب، غير المدجّن، الذي يُتقن الصراخ والاحتجاج والرفض، حتى «اللاّ» وحتى الغضب الواعي، وحتى الجنون.

شعر شوقي لا لغة له إلاّ لغة العيون ولغة الشفاه ولغة اللمس. بعدها، ما هم، من أين نستوردُ قارورةَ العطر وكحلَ الجفون وأحمرَ الشفاه وطلاءَ الأظافر؟ هذه تركها شوقي لمن يريد تفاصيل وأزياء، أما هو، فيكتفي بالحبيبة عارية بريئة طيّبة... ويا ربّ، أعطِنا خبزنا، كفاف يومنا، ومن كان منكم بلا خطيئة وبلا امرأة، فليرجم شوقي ويرجمني بحجر.

أخي شوقي

أنتَ مرصود للحبّ والحياة، وتلبق لك الحياة والحبّ... وحلوة هي تالينار... أنت ستوقِّعُ كتابَك اليوم، بقلمك الأزرق الناشف، ما رأيك لو غمزنا تالينار لتوقّع بشفتيها المبلّلتين... ويا ربّ، اغفر لي هذه الوقاحة. على كلٍّ مباركةَ لك، عروسةُ خيال وشعر، ويا ليتها تتجسّد امرأةً من لحم ودم، وإلى لقاء قريب في منزل العروسين.

وشكراً.

# اتحاد الشعر اللبناني (٥)

في الذكرى الواحدة والعشرين لتأسيس اتحاد الشعر اللبناني،

في ٢٦/٥/٢٠٠١

أيها الأصدقاء

أحاولُ أن أكتبَ مثلكم، بلغة لبنانية صافية، أجدُ نفسي متلعثماً ومصطنعاً ومرتبكاً.

أحاول أن أشعرَ مثلكم، وأجعلَ القصيدة وردة لبنانية، ولكنني أعجز، فإذا بي أحمل نخلةً عربية وآتي بها إلى هذا اللقاء.

أحاول أن انتسبَ إليكم، بالروح، بالدم، بالمحبّة، بالهويّة، ولكنّني أرى هذه اللغة تفصلني عنكم، وأضيع بين فصحى تعوّدت عليها وعاميّة أحبّها، فإذا بي كمن يسلكُ وحدةَ المسارين، وهو بمسار واحد يكاد ينوء ولا يصل.

عذراً ان ابتعدت عن لغتكم، لغةَ يوسف والياس وايليا وخليل ورفيق وموسى والزغلول، واستمرّيت على انحيازي لامرئ القيس وابن الرومي وأبي فراس والمتنبي، دون أن أذكر عمر بن أبي ربيعة وأبا نواس واغرق في النشوتين معاً: المرأة والخمرة.

أيها الأصدقاء.

ماذا يحمل العاشق هديّةً لصبيّة يُحبّها تبلغ اليومَ الواحدة والعشرين؟

وردة؟ وهو، لو يقدر، أسكنَها جنينة ورد،

خاتم الماس؟ وقدماها تستحقان أكواماً وأكداساً،

برواز صور؟ وصدره مرصود لآلاف من صورها،

فستاناً وقبّعة وحقيبة؟ لو استطاع، عرّاها من كل هذا العالم وسخافاته، وارتفع بها، صافية بهيّة مضيئة، كما لو أنّها العذراء في شهر نوّار.

هل يكتفي بقبلة؟ وهل توجد امرأة حلوة لا تزال تكتفي بقبلة؟

اذاً، ماذا يحمل العاشق؟

يحمل لها كلمات، كلمات، كلمات، ويلتفت إليها ويقول مع الشاعر:

أنا لا أملك عرشاً وإمارة

طالما أنتِ هنا،

وجهُكِ العرشُ وعيناكِ الإمارة،

نعم، مبارك هو العرش لاتحاد الشعر اللبناني، وحلوة هي الإمارة لمن يستحقها إبداعاً وفنّاً وجمالا.

أما وقد أصبحنا في عمر النضوج في سنّ الواحدة والشعرين، ويحق لنا «الاستقلال والسيادة والقرار الحرّ» فليُسمح لنا، بإطلالات، ولو على بعض خجل وتردّد، من خلال ثلاث وصايا إلى هذه الصبيّة:

١- يا حلوتي، المستقبل هو صناعة وليس قدراً؛ أوجعُ من الموت، نصف الموت، تذكّري ذلك، عندَ كلّ خطوة أو قرار.

٢- يا حلوتي، أقبح من العبودية هو الجهل. ثم، يا لتعاسةِ شعب موائدُه مثقلة بالطعام وخزائنُه فارغة من الكتب. لقد درجت عند البعض نعمة التباهي بأننا لا نقرأ. بيروت تموّن العالم كتباً، درعون مطبعة الشرق، ومع ذلك لا نقرأ ولا نكتب. من، نحن؟ لا، هم الذين يريدون أن يُفرغوا لبنان من رسالته، وأن يصغّروه حتى يظهروا كباراً، ولا يعرفون أن حجمَ لبنان أكبرُ من سخافاتهم ومهاتراتهم وتمنّياتهم... لبنان يبقى قصيدة زجلية

أو موّال عتابا أو أغنية شعبية، ولكنه، قبل ذلك، ورغم ذلك، يبقى بعضاً من أرواحنا وأحلامنا وآفاقنا التي ليست إلى حدود.

٣- يا حلوتي، أفظعُ من جرائم العدو، جرائمنا الداخلية، وأقبح من أسطورة شارون، سواطيرُ ترتفع هنا وهناك. لا يتلذّذ الراعي بلحم خرافه. فيا أيها الراعي دعِ الخرافَ تحبّك وتأمنُ لك.

ويبقى صوت الشاعر، النبي، القائد، المجنون الذي يمثّله شعراؤنا الليلة، هؤلاء المتّحدون في سبيل الكلمة ولبنان. هؤلاء يمثّلون العصيان على الاستسلام والتواطؤ والارتهان والاستقواء. هؤلاء يعرفون أن وظيفة الشعر هي التحريض وإشعال النار ومخالفة أنظمة السير. صوتهم البطولي يردّد:

أمّتي، كم صنمٍ مجّدتِهِ لم يكنْ يحملُ طهرَ الصنمِ.

ونردّد معهم: مللنا عبادةَ الأصنام، لا نريد آلهة من تمر ولا من دولار، الأصنام المربّعة على عروش سلطة المال والجاه، وهي دمى تتحرّك، لا تصنعُ وطناً ولا تؤمّنُ حرية؛ الشعراء، هؤلاء الفقراء الأشقياء، حارسو الكرامة والكبرياء، هم القادرون، بكلمة، بموّال، ببيت شعر، على تحطيم الأصنام المجهّزة والمصنّعة والمستوردة.

قالها الياس خليل*، ونقولها من جديد، وبلسانكم جميعاً: هذه الأرض، إما أن تبقى أرض حريّة... وإما لتباع في سوق النخاسة، وليستبدلوا بها هذه الأرض أو تلك؛ وليوطّنوا فيها من يشاؤون. لا يعنينا ترابُها بقدر ما تعنينا رائحةُ الحريّة والكرامة فيها، ومعارك الحرية لا يكسبُها إلاّ من أصابه بعض الجنون، ومعارك الكرامة لا ينتصر فيها إلاّ أهلُ العناد والمغامرة، ومع الشاعر، أيضاً أردّد وأصلّي:

---

* شاعر ومعلم وصديق.

ربّ، زيّـــنتَ روابـــيـــنـــا     جـــمـــالاً وظـــلالا
رنّهـــا قـــفـــراء إن شـــئتَ     ومـــوَجْـــهـــا رمـــالا
نـحـن نـهـواهـا عـلـى الـجـدب     اذا أعـــطـــتْ رجـــالا

وأنتم رجال... ونحن بكم نفخر وإليكم نعود.

وشكراً لكم.

# فريد مطر (٢)

في احياء ذكراه، البترون في ٢٠٠١/٥/٣١

أيها الأصدقاء

أغلقَ دفترَه وارتحلَ في قلب الصمت. لملمَ شظاياه المبعثرة، ودخل إلى ذاته، وغفا...

منذ تسعة أشهر، توقّف فريد مطر عن الكتابة، عن الكلام، عن بناء القصور... قيل انه مات... أجل، مات... لن ندخلَ في فلسفة الموت واللاهوت والعالم الآخر. هذا لوقت الآخر. تعالوا نكتفِ بكلمات موقّعة على نسيمات آخر يوم من شهر نوّار، تشهد عليها عذراؤنا مريم، وأنتم الطيّبون...

أيها الأصدقاء

تصوّروا معي رسالةً، وصلتني مساءَ البارحة، صادرةً عن اللامكان، وموقّعة: فريد مطر.

رسالةً مكتوبة على ورق الغياب، مؤرّخة في زمن اللازمن، مخطوطةً بقلم من ضوء... سأتلو عليكم هذه الرسالة:

أخي

اشتقنا، اشتقتُ إليكم جميعاً، إلى البشر والحجر، إلى العائلة، إلى الأخوة والأصدقاء، إلى عين الصليب، اللقلوق، تنّورين، إلى كلّ حبّة تراب في لبنان... حتى إلى المقبرة اشتقت، وإلى جلسة بين الصخور، وتحت أغصان أرزة أو تفّاحة.

منذ تسعة أشهر، وأنا في غياب، قضيتُها في تأمّل واستعراض ماض، وتوقّع للمستقبل. سمحت لي الأجواء هنا، أن أستريح، بعد تعب، أن أصفو، أن أسمو على الضباب والدخان والدموع.

تابعتُ الحلم، ولا أزال... تركتُ الخطايا والأخطاء ورائي، غفرْتُ لمن أوجعني. صلاتي المفضّلة، يا أخي، كانت: اغفرْ لنا ذنوبنا وخطايانا، كما نحن نغفر لمن أخطأ وأساء إلينا. بالغفران والتسامح يكون الحب، وإلاّ لا... السلام الذي نشدتُه، طوال حياتي، هو سلامُ النفوس، ولن يكون إلاّ بالانفتاح والتواضع والعناق الروحي.

وصلتُ إلى اليقين: ثقافةُ السلام هي صناعة يومية، وجدانية، أخوية، ثقافية، روحية.

إن رحلتُ أنا، ابنوا عليّ وتابعوا، يكفيني أن أكون حجراً في مدماك السلام، أو رملةً صغيرة.

استودعتُكم مزاميرَ الألف الثالث، وسلُمَتْ أيدي من عمل به وأخرج ونفّذ، فيه تعرفون، أن ألفاً ستطوي ألفاً، وان أسماءً ستمحو أسماء، وأن أجيالاً تتعاقب وأجيالاً جديدة، واني أرفع كؤوسي مزاميرَ وتراتيلَ تصعّدها قلوب الآتين بعدي... تابعوا الطريق، اسمعوني نبضاتِكم، أستريح أكثر، أصفو أكثر، وأنام في حضن المعلم الأكبر. ويا أخي أرجوكم أن تنجزوا الخاتمة.

قل لهم جميعاً : أنا أحبّكم.

**فريد مطر**

(في خاتمة الرسالة، سطور ممحوّة كأنّها كُتبتْ بأثير، حاولتُ أن أقرأها، ظهر اسمُ لبنان بأحرف متقطّعة).

قرأت الرسالة، مراراً، وتكراراً، مساءَ أمس، وحاولتُ أن أجيب، وأنا أعرف العنوان. اسمحوا لي أن أتلوَ الجوابَ الذي كتبتُه صباح اليوم:

أخي فريد

... ونحن، أيضاً، مشتاقون، وفي الشوق وجعٌ وحنين وصلاة.

وصلتني رسالتُك، سأنقلها الليلة إلى كل الذين سيجتمعون على اسمك في البترون العزيزة،

أنت تذكرهُم واحداً واحداً، وتعرف من هي «رابطة البترون الانمائية والثقافية» وأي دور تلعب وأية رسالة تقوم بها.

اجتماعنا الليلة ليس إحياء لذكرى، بل استكمالٌ لطريق، أُعيدك إلى بدايتها، ولو أطلتُ عليك...

ولدنا في تنّورين، تنّورين الشامخة، حتى بالفقر والحرمان وعرق الجبين، تكبرُني أنت بسنوات، ولكن الحق يقال، ما انتقلت إلى مدرسة، وما تحادثت مع رفاق لك وأصدقاء، إلاّ وكانوا يمطرونني بعلامة استفهام تحمل بعضَ الإعجاب وبعض الحبّ: هل تعرف فريد وأسعد؟ ويلتقي الاسمان في خاطري، ولا يزالان، ولا يفترقان، رغم الضباب والموت.

وتبقى صورتك، وأنا طفل، عملاقةً في البال: الشاب الأشقر الجميل، القامة الرمح، الهادئ الرصين حتّى في ساعات توتر وقلق.

وكان والدي يقول لي: ليس من أي عين، شرب فريد، بل من «عين الصليب»، هذا ابن كنعان، كنعان - الشهامة والرجولة والصلابة.

ثم يشدّك طموح إلى السفر وتبدأ المسيرة:

عبرْتَ القارّات، اجتزتَ الصحارى والمحيطات، هزأتَ بشاسع المسافات، وأبيت أن تحطّ إلاّ في وطن على قدر طموحك. ليس هو الاغتراب، فلفظة الاغتراب ظالمة وموجعة، وليست هي الهجرة، ولبنان يستوطن قلبك، بل هو الانتشار، وفيه بعض من نشر الجناحين ونشر العطر ونشر الحضارة،

ومبارك هو التاريخ يلامس الأسطورة، حتى لكأنّهما، صناعةً لبنانية ولا تقليد.

ووصلتَ يا فريد، يا أيها الأمير العاشق، وصلتَ على الموعد، وقلبُ الصبية ينتظر؛ حملتَ من وطنك أغماراً من الحب، وشامخاتٍ من الجبال، ورؤى من حلاوات المجد. زرعتَها في وطنِكَ الجديد، فإذا بها صروحٌ تشمخ، كالأرز، لا من حجر فحسب، بل من فكر وحضارة وجمال.

نصفَ قرن عملت، همّك ثلاثة: لبنان، الانسان، السلام.

وتعبَ الجسد:

فـإذا كـانتِ الـنـفـوسُ كـبـاراً تـعـبت فـي مـرادِهـا الأجسـامُ.

طار النسر، طار، طار، طار... ثم هبط، ماذا تستطيع أن تفعل النسور في عالم الأقدار والصدف العمياء والأعمار المحدودة؟

وإلى جانب الروح التي أسلمتَها إلى المعلم أسلمتَنا السطور والمزامير والرسالة، وودّعتنا قائلاً: معاً سنعمل، ولو من مطارح لا تصلها عين أو عقل.

وإذ تسألني في خاتمة رسالتك عن لبنان، فإنني أؤكّد لك، مستعيناً بروحك الطاهرة، على ثلاثة، ولا تخلٍّ أو يأس:

١- السلام الذي تدعونا إليه، آتٍ: رغم أساطير شارون، وسواطير الأخوة، وعربدة من يعيشون على أوجاع الآخرين وجراحهم.

٢- لبنان الموعود، آتٍ: ان لم نصنعْهُ نحن، اصطنعه لنا الآخرون. وسنصنعه نحن، مهما طال الزمن، لا العملاء، ولا الأذلاّء، بل الكرماء، كرماء النفوس، - ولو صامتون مقهورون -. بمثلك، يا فريد، وهم ليسوا نوادر، في تنّورين، وفي البترون، وفي لبنان والمهجر، بمثلك، حيّاً أو غائباً، سيكون لنا وطن، والوعد ليس بعيداً.

٣- الرجال-الرجال، آتون: ان رحلوا عنّا، لم يرحلوا منا، ان لم يستحضرهم الصوت، استحضرهم الصمت. هم آتون، بالقلم، بالموقف، بالبطولة، بالكبرياء. وآتون إلى حيث يجب أن يكونوا. من أرحام زوجاتنا الطيّبات، من صدور أمّهاتنا السخيّات، من قلاع الفقراء الأبرياء، سيكون لنا أطفال - رجال.

ردّد معي، يا فريد، صلاةَ الشاعر:

ربِّ، زيّـــنتَ مـــغـــانـــيـــنـــا جـــمـــــالاً وظـــــلالا
ردَّهـــا قـــفـــراءَ إنْ شـــئـتَ ومـــــوَجـــهـــا رمـــالا
نـحـن نـهـواهـا عـلـى الجـدب اذا أعـــطَـــتْ رجـــالا

وأنت رجل، وهنا رجال، وسنبقى، والسلام عليك.

# الأباتي الياس نجّار

بمناسبة صدور كتبه والاحتفال به، في جامعة سيّدة اللويزة
في ٢٠٠١/٦/٢١.

أيها الأصدقاء

مَنْ يدخلْ إلى أحد الأديار، ويحاول اختراقَ أسوارِها، يصل إلى أمكنة، يُكتَبُ على مفارقها: ممنوع الدخول.

ونحترم هذا الممنوع، ولا ندخل، ولكننا نصير أكثر تصميماً ورغبة على كشف المخفيات واجتلاء الحجاب، وربّما، وقعنا في إغراء الاستخبار والتنصّت، والزمن، كما تعلمون، ليس زمن استخبارات وتنصّت.

كذلك بعضُ الرهبان: ممنوعَ الدخول إلى حرمِ ذواتهم - ونحترم ونجلّ -، ووراءَ الجبّة السوداء والمواعظِ البيضاء، أسرارٌ، أين منها أسرارُ كرسي الاعتراف، أو حالاتُ الابتهال والانسحاق والتنسّك.

وتُغرى بالدخول، وكلُّ محجوب مرغوب، وتتسلّل... وتصل أحياناً... وتسكت شهرزاد.

الأباتي الياس نجّار واحد من الرهبان الأصفياء، على وجهه الأسمر الجدّي العابس، ألمح: ممنوع الدخول، وتتسلّل، فتجد قلباً مفتوحَ الأبواب، مشرّع الشرايين، رحب الانفتاح... ويا هلا بكم، ولا تمييز، بين فوّارةِ الصدر، عاطفةً وطيبة وكرماً، «وفوّارة» الشوف، تراباً وغلالا وكرامةً لا تعرف الانحناء. مع الأباتي الياس النجّار، انكسرتِ المعادلة، أصبحنا نحن كرسي الاعتراف، وأصبح هو، بكتابيه، السوانح والنفحات، الرجلَ الذي يعترف، ولا محرّمات:

أوراقي هي أنا، وأنا هي... أوراقي جنى عمري وآياتُ فكري وحصيلة أيّامي المباركة... أوراقي شواهد ونداءاتُ حق...

وتقرأ: الرجل تقمّص كتاباً، والقامة ارتدت أبجدية تأمّل وصلاة، والصفحات مذكّرات وفي السطور وما بينها حرائق وأوجاع ونبض متوتّر وحبّ أقوى من الحقد، وينبسط أمامك ظلّ رجل على مدى عمر:

خمس وسبعون سنة تتكلّم

ثماني وأربعون سنة من الكهنوت، وقريباً الخمسون واليوبيل الذهبي،

ثمانية كتب مطبوعة، ومخطوطات تنتظر والآتي قريب،

آلاف المواعظ، مئات الندوات والمحاضرات والأبحاث، والياس، سميّ النبي الياس، لا يحمل سيفاً ولا يجرح أو يجرّح، بل يستقوي بقلمه، ويغيّر المعادلة: السيف أصدق إنباءً من الكتب، لتصبح: الكُتبُ أصدق انباءً من كل السيوف والخناجر والسواطير، في هذا الوطن الذي ما عرف إلاّ مجد الكلمة ونبض الكرامة وروحَ الحريّة والعنفوان.

ويقول: إن أوجعني الزمان وأهلُه وبالغوا في التجنّي والتجريح والحرمان، شهرتُ لواءَ الكرامة والحق،

وتتوجّع، ليس أوجع من لئام يتحكّمون بكرام، ومن أدعياء أسكرتهم الكراسي إلى حدّ السخافة، ومن لصوصٍ في الهيكل تنتظرهم أصوات وأسواط... ويا ربّ اغفرْ لهم.

وتدخل أكثر إلى أعماق الرجل، من خلال النفحات والسوانح، وتشعر أنك في رحلة بين الأرض والسماء، وكأنّ اللونَ الأزرق السماوي المُطلَّ عليك، من الغلافين الطائرين، انما هما لون الضمير حيث لا سواد ولا احمرار ولا اصفرار، إنه الصفاء يقودك إلى مغاور الروح، وتقفُ خشيةَ أن تُخطئ أو تسقط، وأنت تدخلُ أجواءَ البهاءِ الإلهي.

اعذرني، يا أبتِ، أيها المريمي الطالع من رحم الرهبانية المارونية المتجذّرة قداسة، إن حسدتُكَ، اليوم، على ثلاث:

١- اليوم، عيد الأب، مبارك لك العيد يا أبا الكل، أما نحن، الآباء والأبوات، فليسعفنا اللّه على أعيادٍ لا تأتي لنا إلاّ بالهم والغم والعن والنقّ... وكل عيد وأنتم بخير.

٢- اليوم، فصل جديد، من ربيع إلى صيف، لتكن أيامُك جميعُها ربيعاً وصيفاً، بقوّة الروح، أما نحن، غير المكرّسين، فلنقوَ على تشرين وعلى الخريف والشتاء بقوّة الصلاة التي لا تخذل، ولكن، إن خذلَتْ، فلا حول ولا قوّة إلاّ باللّه العظيم.

٣- اليوم يوم احتفائك بوليدين: نفحات وسوانح... نحن بوليدٍ واحد، نكاد ننوء... ومع ذلك، نحاول أن نسير على خطاك وأن نهتدي.

ويا أيها الأصدقاء

شكراً لمجلس الفكر، يجمعنا، حنّينا وكلوديا والأصدقاء

وباسم هذه الجامعة، باسم رئيسها الأب بطرس طربيه وباسم أسرتها الأكاديمية والادارية، أرحّب بكم، وأؤكّد لكم أننا هنا وسنبقى رغم الصعاب، ورغم الطعنات: مركزاً حضارياً وجامعةً لكلّ لبنان،

أما أنت، يا أبتِ، أيها النجّار، رجاءً ابرِ لي قلماً جديداً بهيّ التطلّعات، كما هو قلمُك.

وشكراً.

# غسّان حنّا

بمناسبة صدور كتابه «روحان في جسد واحد» والاحتفال به،

جبيل في ٢٠٠١/١٠/١٩

أيها الأصدقاء

بصراحة، ولا أقول بشفافية،

غسّان حنّا اسمٌ لا أعرفه، شاعرٌ لم ألتقِ به، رجلٌ لا أتذكّر له وجهاً ولا قصيدة ولا عملاً.

لا تربطني بغسّان حنّا أيّة صداقة ولا زمالة ولا رفقة طريق أو حزب أو منبر أو سهرة أو كأس. وليس بيني وبينه أية علاقة مميّزة، كما العلاقة بين الأشقاء، ومع ذلك يُطلب إليّ، وبإصرار، ومن أصدقاء أحبُّهم، أن أتحدّثَ عنه.

قلت: ولكن...

كان الجواب: سنأتيك بكتابه: روحان لجسد واحد. وبعد، اصطفل... لك الحرية.

وجاء الكتاب، قرأت، غضبتُ، ولم تكن لي الحرية... أعترف أمامكم أنّ خطاياي كثيرة، ومنها الإدعاء... كم أنا مدّعٍ، أنسب إلى نفسي اختصاصاً في الأدب وتميّزاً في جمالية الشعر، ولا أعرف هذا الشاعر. تحوّلت من مدّعٍ إلى مدّعى عليه، وقرّرت ألاّ أتحدّث عن غسّان حنّا، بل أتحدّث إليه، فاغفروا لي...

أخي غسان

بضعة أسئلة ولا جواب:

١- لماذا حزين أنت؟

أيُّ حزن كبير يرميك وحيداً في وطن الليل والكوابيس والمقابر؟

لماذا تَشرق بالحزن وتُشرق بالحزن وتُشركنا معك؟

أتقاسمُ وإيّاك الشتيمة والقهر والصلب والوجع.

هل هي الغربة؟ هل هو الخبز المعجون بدماء؟ هل هي الفجيعة بالكلمات؟

«كم نرى مملكةً يحكمُها عرش الكلام

يرتدي أسقفُها ثوبَ الكلام

تهطلُ الأوهامُ فيها من غماماتِ الكلام

ثم يُغويها لكي

يغتصبَ الرؤيا بها عُهرُ الكلام».

آه، من الكلمات، إنّها أوجعُ، في هذه الأيام، من خناجر الجبناء، ورصاصات أهل الغدر.

٢- لماذا ماضياً أصبحت؟ غنيّة قصائدك بالأفعال الماضية، وكأنّك التاريخ، لا حاضر ولا مستقبل... «كنتُ يوماً» تقول، مرّة، ومرّات ينهض الطفل فيك، يستفيق، يضحك، يلعب، يتمرّد، يحطّم، يتزعرن... تصفعه أمّه: «يا عيب الشوم عليك». ويصرخ:

«يا أمّي... عفوك

ما كان التهذيب الساديّ سوى تحنيطِ الأرواحِ

وطيٍّ فضاءات الأعماقْ

وطبعِ حذاء طغاة الأرض على... الأحداقْ

وأمامَ الطغاة،

أمامَ الربِّ النازف أدياناً

وملوكَ طوائفْ

نصمت... يهدأ كانون الغضب، نبكي، ودموعنا كلمات، تعالَ نبكي جدّتنا التي نامت، نامت طويلاً...

هُدِم البيت

وما أيقظها الوردُ

ولم يأتِ الصباحْ».

لا تبكِ، طيّبةً رائحة الورد، وسيأتي صباح.

٣- ماذا بينك وبين هذه المجموعة الخلاّقة المثقّفة في جبيل والمنطقة؟ وهل بينكما ما بين اللاذقية وجبيل؟ وهل هي وحدة المسارين؟ آهٍ من الشعارات... لو كانوا يعلمون كم استهلكوا وزيّفوا الكلمات... لو كانوا يعلمون أن وَحدة الكلمة، وحدة الرؤية والرؤيا، وَحدة الجرح، هي أعمق بكثير من قشورٍ تتحوّل إلى جدران، وأصدق بكثير من مزايدات تهدّم الجسور ولا تبني سوى تماثيل فارغة. على كتابك ومن خلالك، يا ابنَ اللاذقية، وبحضارة جبيل، تتكوّن وحدة المسارين، قلْ لهم ذلك، ويكون لنا أن نقول:

ويا اللاذقيةُ

لكِ الأبجديةُ زهرَ الكلام

وعرسَ الغمام

عليكِ من العشق والمجد ألفُ سلام.

٤- أيّة امرأة هي امرأتك؟ هل هي تلك الطالبة؟ أم تلك الراهبة؟ أم ذلك الجسد؟

وهل، حقّاً بدّدتَ عمرك للعاشقات؟ لماريا ورفيقاتها؟ جسدك آلهة الخطايا، ولا ندم

جسدها هو الضحيّة، وهو الخطيئة، وهي التي تبكي بدموعٍ وحرقة، أمّا أنت، أيها الذكر، فكبرياء وغرور وشهريار.

يا غسان،

في هذا الزمن - الغلط، الزمن الأصفر، لا خلاص إلاّ بالحبيبة، إلاّ بالمرأة، وحدَها الجمرة الدافئة، الآخرون جمرة خبيثة. خذنا معك إلى عالم الحبّ:

اذا ما يُعدُّ المحبّون... يوماً

فكلُّ المحبّين كانوا... أنا.

٥- لماذا تحوّل العنوان «روحان لجسد واحد» إلى قصيدة بعنوان «موتان لجسد واحد»؟ أي جسدٍ هو هذا وأية روحان؟ وماذا عن الموت؟ أغرقتني، في قلقٍ وجودي، في زمن يعصف بي فيه كل إرهاب العالم:

لا شمعةَ في الهيكل لأطمئنّ إلى جسدي المسجّى

والقدّيسون كانوا محاصرين بكوادر صورهم

وجفصين تماثيلهم وجلال تمجيدهم

وعلى المذبح الرئيسي

كان المصلوبُ الأوحدُ ما يزال معلّقاً

على خشبتين من إلهٍ وانسان.

باللّه عليك، يا غسّان، في هذا الزمن المرعب، خبّئ كتابك وانسحب، كلماته تدق، تضرب، تحفر، تهزّ... ونحن، في مثل هذه الأيام، مهزوزون كفاية وجدّاً.

وسادساً وسابعاً... ولا ننتهي... ولا نكتفي.

أخي غسّان

تحدّثتُ إليك، بصراحة وبعيداً عن المجاملة، واعترفت بضآلة ثقافتي بك، وبأنّني لا أعرفك... غداً، يوم آخر، وصداقة عميقة.

وكان - الفعل الماضي، ليستْ لكَ، لكَ المستقبل ومحبّتي ووردة من لبنان.

# بيار أبو خاطر

بمناسبة رحيله المبكر، في ٢٠٠١/١٠/٢٩

كان، كالصخر، شكلاً وصلابة وصوتاً،

وساعةَ رحل، كان كالطفل، وداعةً وبساطةً وابتسامة.

في القامة الشاهقة، كان الفارس الأبيّ، بكل ما في الفروسية من ملامح الرجولة،

وساعة ترجّل عن فرسه، مستسلماً للمرض والقدر، كان ذلك المسافرَ المتعَب، يتكئ على عصاه، وقد جمع حقائبه الغنيّة بالعطاءات، وانسحب إلى المستحيل.

بعضُ بطولات أبناء الجبل، تسكنُ في مواقفه، وبعضُ هيبة السنديانات العتيقة في عشقوت، تتلألأ في حاجبيه وعلى شاربيه،

أصيلٌ، صادق، شجاع، في كلماته تتدفّق شلاّلات من الحبّ، فكأنّه لا يُتقنُ إلاّ صناعةَ المودّة والصداقة والرفقة الطيّبة.

وفيّ، لأهله، لعمّه بطرس (الأباتي فهد)، لآل المشروقي، لرفاقه، للموظّفين، للجيران والأصدقاء.

كريم في العطاء، حتّى ليصحّ فيه قول الشاعر:

تعوّدَ بسطَ الكفّ حتى لو أنّه ثناها لقبضٍ لم تُطِعْه أنامله.

صديقٌ للأدباء والشعراء والفنّانين، حتى لكأنّه مركزُ رعاية متجوّل.

روتاري بامتياز، فلا يميّز ولا يفرّق، همّه الانسان... وأنتَ أخي، في أيّة جامعة، أو في أيّة مستشفى.

نبيل على كِبر وأخلاق، حتّى لكأنّه، وهو في جامعة سيّدة اللويزة، يُعطي دون حساب، ولسانُ حاله يقول: من أجل هؤلاء الطلاّب، من أجل المستقبل والحلم، دعوني أكون حصاةً أو حبّة حنطة.

عاشق، وأحلى حبيباته، صبيّة طالبة، لا يعرف اسمَها ولا شكلها، ولكنّه خبير باجتهادها وطموحها وتطلّعها إلى الأسمى.

رجل هو ولا الرجال «كأنّه من جودةٍ والناسُ من عَدَدِ».

بيار أبو خاطر، أيها الصديق، أيها الرفيق، أيها الحبيب - وكم كانت حلوة هذه اللفظة وهي تنساب على شفتيك -:

شكراً لك، أقولُها من القلب،

غدرْتَ بنا، ورحلتَ، دون وداع.

سنذكرك، ولو بقي كأسُك فارغاً، في العشيّات الملاح.

لكَ مني، ومن الجامعة، ومن الرفاق، صلاة على حجم المحبّة...

واللّه معك، نردّدها مع سعيد عقل:

من زهرِ لبنان، خُذْ عرشاً ومن قِيَمِ
لا زهر لبنان منّا ولا القيمُ.

# أنطوان رشدان (١)

في تقديم كتاب له، في ٢٠٠١/١١/١٩

... وأنتَ تقدّمُ أنطوان رشدان، في احتفال أو في كتاب أو في قاعة استقبال، لا يمكنك إلاّ أن تتحدّثَ عن جونيه، وأن تقفَ خاشعاً على ترابات صربا وأمام شاطئها الموحي جمالاً وشعراً وسلاماً.

كأنّي بأنطوان رشدان يحملُ أصالةَ جونيه وملامحَ صربا. كأنه بعضُ التاريخ والحبّ والحلم.

أهم ما فيه، بل قل، أجمل ما فيه، أنه طبيعي، في زمن التصنّع والاستبدال والمساحيق والأقنعة. لا يحاول أن يبهرَك، بكلام أو مظهر أو سلوك، على العكس من ذلك، فهو، في كلّ الحالات، رجلُ الطبيعة، بعفويتها وبراءتها وبساطتها.

شاعرٌ طبيعي هو، وليس شاعراً متفلسفاً، متكبّراً، غريبَ الشكل. يحيا، لا لنفسه، بل لعائلته، لمدينته، لوطنه، وللانسان.

تستمع إليه، شاعراً، تخاله يتدفّق، نهراً، لا الحصى تسدّ طريقه، ولا التلال تمنعه من الوصول إلى الشاطئ.

ينظم، ينفعل، يكتب، يرتجل، يجرؤ، يُخطئ، يصحّح...، ويبقى دائماً سيّدَ نفسه.

ابن مدرسة العصامية والطيبة هو، فلا ادّعاء ولا غرور.

راهبٌ، وان خلعَ الثوب، واستبدلَ نذورَه الثلاثة بثلاثة: المحبّة، الوطنية، الايمان.

ها هو اليوم، يتقدّم، بعصارة عمر: لعلّنا، معه، نتذوّق، نتلذّذ ونسكر...

ان قرأتموه، لا تظنّوا أنّكم تقرأون كتاباً، إنكم تطالعون حكايةَ انسان من لبنان.

تعالوا، معاً، نحبّ الانسان ونحبّ الحكاية.

# أسعد جوان

بمناسبة صدور كتابه «كحل القصب» والاحتفال به،

جامعة سيدة اللويزة في ٢٠٠١/١٢/١٠

أيها الأصدقاء

منذ أربعين سنة، كنت وأسعد، تلاميذ في مدرسة واحدة،

منذ ٣٠ سنة وأكثر، وأنا أسمع باسم أسعد جوان، شاعراً جريئاً، ورائداً في الابتكار وتوليد المبادرات الشعرية.

لم أعرف يوماً، ماذا يعمل، ولم أسأله؛

لم أعرف يوماً، كيف يعيش، ولم أسأله،

لم أعرف يوماً ماذا يخطّط، وما هي مشاريعه المستقبلية،

ولكنني كنت أعرف، وألمح في عينيه، انه يحلم... صناعته الوحيدة هي الحلم. تراه أخطأ؟ ليس الأوانُ أوانَ محاكمته، فليحاكمه الذين يحاكمون الأبرياء، ولكنني أؤكّد انّه، وإنْ أخطأ، فببراءة الأطفال، ومن كانَ منكم بلا خطيئة فليرجمه بحجر.

أخي أسعد

حلوة هي الشياطين تتمرجح في قصائدك، وموجعة هي المرأة، ولو ملاكاً، تتمرّى في عينيك، وهنيئاً لك، الحبّ والجمال والفن.

أما أنتم أيها الأصدقاء،

فاليوم، معكم، نرسم صورةَ أسعد بكحل القصب، وبكحل العيون، وبكحل الكلمات الجريئة،

وأعترف أمامكم أنني أغار منه:

كبرْتُ أنا، وتمسّك هو بالطفولة،

تهذّبتُ أنا – أو ادّعي التهذيب – ولم يتهذّب هو، (ربّما معه حقّ)،

أحنَتْ لي رأسي، مسؤولياتٌ ومصاعب ومواقف، وقُلْ: زواج وأبناء وعيال، وتزوّج هو، ولم ينحنِ. جاءته نادين، ولم ينحنِ، تحمّل مسؤوليات، ولم... واستمرّ، هو هو، بطفولته الكبيرة، مشاغباً، فوضوياً، لذيذاً، وطوبى لأنقياء القلوب فإنّهم أبناء اللّه يدعون،

أجل، أنا أغار من أسعد، عاش للشعر، واغتالتني الإدارة، وماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كلّه وخسر شعره وحبيبته وكحل القصب؟

أيها الأصدقاء

في لبنان والعالم، نحتفل اليوم ١٠ كانون الأول، بحقوق الانسان، أسألكم، متى نحتفل بحقوق الشاعر؟ سؤال يدق ضمير كلّ منّا. فليدقّ، يدقّ أكثر؛ لن نستجدي حقوقاً، انه الحق، في الحياة والحلم والحبّ، وصاحب الحق سلطان وسعيد بذاته.

ومَنْ أسعدُ من أسعد؟ فهنيئاً لك. وشكراً لكم.

# أنور يونس (١)

في وداعه، وقد توفي في بروكسيل، في ٢٠٠١/١٢/٢٣

لأنّه غفا، في صقيع بروكسيل، وفي ليلها الحزين،

لأنه رحل، ولم يتسنّ له أن يعترفَ بخطاياه،

ولأنّني أعرفهُ جيداً، ولأنّني أحبُّه كثيراً،

أسمحُ لنفسي، يا يسوع، أن أعترفَ أمامك بخطاياه، هو:

- خطيئتي الأولى يا يسوع انني وُلدت طفلاً، وعشتُ طفلاً ومتّ طفلاً؛ لم أستطعْ أن أكبرَ حتى وأنا في الخمسين، لم أعرف أن أكذب وأن أسرق، وأن أكون خبيثاً؛ اغفرْ لي، يا يسوع، براءتي وبساطتي وطهارتي. ألستَ أنتَ القائل: طوبى لأنقياء القلوب...؟

- خطيئتي الثانية، يا يسوع، أنّني حلمتُ كثيراً... ركبتُ أحصنةَ الخشب، سافرت مع الريح، تركت تنّورين، أمي وأبي وشقيقتي ولحقتُ البرق. كان ذلك سنة ١٩٧٥، عندما يتحوّل الوطن إلى بندقية، تحمل العصافيرُ حقائبَها وترحل. ماذا تستطيع العصافير، يا يسوع، أن تفعل في غابةٍ الجنون والعنف والإرهاب؟

- خطيئتي الثالثة: انني كسّرتُ أحلامي وكسّرتُ قلوبَ من أُحبُّ ويُحبّني... مرّتين، فعلت: كسرتُ قلبَي أبي وأمي، يومَ رحلتُ في الجغرافيا، وكسرتُ قلبَ أرملةٍ صبية وشابٍ في إطلالة الصبا وطفلةٍ صغيرة، يوم رحلتُ إلى المستحيل.

وها أنا أعود اليك، يا يسوع، شقياً، مقصوفَ العمر، أحمل قلماً مكسوراً، وبقايا رماد، وبعضاً من كلمات الحبّ.

أنا أحبّكم، أحبّكم... اغفروا لي،

اليك، يا يسوع، نصلّي...

# الرئيس شارل حلو

في احياء ذكرى وفاته الأولى،

جامعة سيّدة اللويزة في ٢٠٠٢/١/٢١

أيها الأصدقاء

في آخر مقابلة صحفية نُشِرت، قبل وفاته، سئل الرئيس حلو:

ماذا تفعل هذه الأيام؟

فأجاب: أحلم... وأصلّي.

بعدها بأيام، رحل الرئيس حلو، عن هذا العالم.

تُرانا قادرين على استحضار - أو على تصوّر - تلك الأحلام وتلك الصلوات.

الصلوات كتبَها الرئيس حلو، وسأتلوها عليكم، كما نشرتها جريدةُ النهار،

أما الأحلام، فلا أدري كيف يمكن أن نقاربَها إلاّ بسؤال:

بماذا يحلم رئيس جمهورية؟

بماذا يحلم رئيس جمهورية سابق؟

بماذا يحلم رجل قارب عمرُه التسعين عاماً؟

بماذا يحلم انسانٌ معروفٌ تبوّأ أعلى المراكز، وتجاوزت شهرتُه حدودَ الوطن، إلى العالم كلّه؟

بماذا يحلم مؤمنٌ باللّه إلى حدّ الاستسلام المضيء بالفرح: لتكن مشيئتُك؟

بماذا يحلم مثقّف حرّ، ما ترك القلمَ لحظة من العمر، ولا الكتاب، ولا الجريدة...

وما تخلّى يوماً عن الكلمة، ولا استبدلها ساعةً بسلاح آخر، وما أكثر الأسلحة؟

تراهُ كان يحلمُ مثلَنا، ومثلَ الأطفال، ومثل الطلاّب، ومثل الفلاّحين والعمّال، ومثل كل البشر؟

تُراه كان يحلم بوطن آخر، بعالم آخر، بزمن آخر؟ أم تُراه، وهو يحلم، كان يندم؟ أم تراهُ، في الحلم، تصفّى إلى حدّ الرقّة، رغمَ ضخامةِ قامته، وما عاد الجسد إلاّ حبّاً بحب؟

لست أدري، بماذا كان يحلم الرئيس؟ ويا ليتنا وليتكم تدرون...

ولكننا ندري ماذا كان يصلّي...

في النهار، وقبل وفاته بأسبوعين، وبمناسبة عيدي الميلاد والفطر، وقد تلاقيا، في الزمن، كما في قلبه، نشر الرئيس هذه الابتهالات.

صلاته، لا هوية لها، ليست مسيحية ولا اسلامية، ليست لامرأة أو لرجل، ليست لطفل أو لشيخ، ليست لرئيس أو لمرؤوس... انها صلاةُ كلِ هؤلاء، أردّدها على مسامعكم:

يا ربّ

أعطِنا، في لبنان، أن نحبَّك، أن نحبّ بعضَنا البعض،

أن نحبّ لبعضنا الخيرَ والنعمة،

أعطِنا أن نبني وطناً، بروح التجدّد والتسامح والعطاء،

أعطِنا أن نصونَ الحريّة والاستقلال والعيش المشترك،

أعطنا أن نقولَ الحق، فلا نكذب، وأن نعبّر بصدق عما نُسرّ، فلا نُخفي غيرَ ما نُعلن، ولا نبوحُ بما لا يختلج في نفوسنا.

أعطِنا أن نعملَ معاً، ولو بأساليبَ مختلفة، من أجل الوصول إلى هدف واحد: المجدللّه في العلى، وعلى الأرض السلام.

منك، يا ربّ أطلب، أن تكونَ السنةُ الجديدة عتبةً لقرنٍ جديد يحمل عنوان المحبة والعدالة والمساواة.

لقد جعلت، يا ربّ، من لبنان مختبراً لهذا التفاعل الانساني بين المسيحيين والمسلمين، بين الميلاديين والفطريين،

فصُنْ هذا التفاعل، وبارك هذا المختبر، واحفظ لبنان.

شكراً، فخامة الرئيس،

صلِّ معنا،

لا يزال لبنان بحاجة إلى بعض الحلم، وإلى الكثير من الصلاة.

وشكراً لكم جميعاً، وأهلاً وسهلاً.

# نزار النداوي

شاعر عراقي كرّمته عين عنوب، في ٢٠٠٢/٢/١٠

أيها الأصدقاء

لا أعرف من هي «عنوب» - هل تعرفون؟ - أتصوُّرها امرأة، لها عين، عين عنوب، على وسع عينين وأبهى، ولها أهداب على خُضرَةٍ ونعاسٍ وخَفر، ولها قلب، على دلال وحنان، وأنا عاشق، وهي الحبيبة... وأغار...

ولا أعرف من هو نزار النداوي، ولا سمعت به أو قرأت له، ولا تعرّفت إلى وجهه، إلاّ من أيّام عشرة، بفضل فضلٍ* فضيل، ولكن لو كنت أعرف هذا الرجلَ الممزّقَ بين النار والثلج، بين العراق ولبنان، بين المرأة والهُوية، بين الدم والحبر، لصحت به: أيها البغدادي، يحقّ لك، بعد اليوم، أن تتبغدَد...

البغددة، أيها الأصدقاء، ليست كما يظنُّها البعض، تسكّعاً واستهتاراً ولا مبالاة، بل هي هذا الرضى الانساني العميق الذي يمتزج فيه الحُلمُ بالواقع، وغُنجُ الحياة بالتواطؤ مع الشهادة، والفَقرُ برِفعةِ الجبين، والتشرّدُ الغاضبُ بالانتظارِ المؤقّت، فيتكوّن نموذَجٌ انسانيّ صارخٌ بالصدق والنبل والبراءة، حتّى لكأنّه شقيّ أو مجنون... أو شاعر.

أيّ من هذه الوجوه، هو هذا البغدادي؟

هل هو الشقيّ الذي تأخّر عن موعده، وأبحر بالجرح، وليس في أشرعته سوى الرياح؟

---

* الشيخ فضل المخدّر

هل هو المجنون الذي يحمل ظلّه ويسافر، مصلوباً يكابر، مذبوحاً يغنّي للخناجر؟

أم هو الشاعر الذي صادروا أحلامه:

تسألني أين كفّنتُ أشعاري ودفنتُ الميتَ في أيِّ وجارْ

كان ذا في غرفة التفتيش لكنْ لم أعدْ أذكرُ في أي مطارْ

الأشقياء، المجانين، الشعراء، هو كلّ هؤلاء، وكلّهم مطلوبون، كما هي بغداد، وكم من سجون، في انتظار الأبرياء،

وأتساءل:

هل هنالك مدينةً أسيرة أكثر من بغداد؟

هل هنالك امرأةً حلوة تتمدّدُ على شاطئِ دجلة، وصدرُها للريح، وقد أنهكتْها السلاسلُ والأغلال، أكثر من بغداد؟

هل هنالك نخلةً، لا تزال ترفضُ أن تحنيَ رأسَها، فيما رمالُ الصحراء تغمرُ جُذعَها، أكثر من بغداد؟

أيها الأصدقاء، مع نزار نقول:

يا خجلتا من صبايا العراقِ

يا خجلتا من نخيل العراقِ

ودجلةُ يغتالُه الرملُ صمتاً، وكفّاه ممدودةٌ للسماء

وكيفَ وفاءٌ... ونُطعَنُ في الظهرِ والخاصرة.

وقفنا وقوفَ العواهرِ في آخرِ الليل

وصُرنا به أمّةً عاهرة.

ونعترف... ونبكي... ونصلّي... ولكن وحده شوقي عمار يعرف أن يتابع، بمثله الشعبي: هذه آخرة...

ولكن، يا نزار، لا تبكِ

من عشرين تنقل الجثمان،

تدورُ به في البلدان،

ولكن الجثمان لا يزال ينبض، يفيض حياةً، ولا بدّ أن يستفيق... ونستفيق على ضوءِ العقل، وأهلُ العقل يعرفون، وعلى وَقعِ الحجر، والحجر أبلغُ من رصاصة، وعلى نبضِ الحريّة في لبنان، التي، مهما تكسّرت وتمزّقت وتسخّرت، تبقى هي، عصيّةً على المصادرة، حتّى لكأنّها كلُّ لبنان، «وعيش لبنان»، على طريقتِك وطريقتنا، لا على طريقتهم.

ويا نزار،

كلمةً أخيرة: تبقى الحبيبة وحدَها هي البديل، ووحدها هي الوطن الجميل، ووحدَها هي القيمة المضافة... ومن كان منكم بلا خطيئة حب، فليرجمني بحجر.

لماذا، أسألك، نختبئ أحياناً، ولا نجرؤ على بوحٍ أو اعتراف؟ لماذا نتكاذب؟

نحن مُتعَبون، أتعبتنا مسافاتٌ وأحلامٌ مكسّرة وأولياء أغبياء، أتعبتْنا أمّة تهوى الموت، تعيش بين المقابر، حتى لكأنّنا، وكما يقولُ أحدُ كبارنا، ظاهرةً صوتية، لا نتقِنُ إلاّ النواحَ والصراخ.

نحن مُتعبون، ولا خلاص، إلاّ بثلاثة: المرأة، الشعر، الصلاة.

أنت تتقنَ القراءةَ في لغةِ الجسد، وتُدمنُ الشعر، وتلجأ إلى اللّه...

إنْ بدا الشيبُ برأسي فأنا     في الهوى طفلٌ حديثُ المولدِ
فادخلي معبدَ حبّي وانظري     كيفَ في مِحرابِ حبّي تُعبدي

واسمعي همسَ مناجاتي فانْ خشعَ القلبُ فصلّي واسجدي.

ونترك نزار يصلّي ويسجد، أيها الأصدقاء، وننسحب، بهدوء وسلام... مباركة له، الحبيبة والشعر والله... ومرّة أخرى، يحقّ له أن يتبغدَدَ...

أما أنا... فتكفيني بعضُ النار، أتدفّأ عليها، في هذا الزمنِ المُثلج بالوجعِ والحزن والغضب...

وشكراً لكم.

# أنطوان غطّاس كرم

في إحياء ذكراه، في جامعة سيّدة اللويزة

في ٢٠٠٢/٢/٢٨

أيها الأصدقاء

دقائق مع أنطون غطّاس كرم، ساعة، يوم، ويكفي...

ويتساءلون: ومن هو أنطون غطّاس كرم؟

نسمع بسياسيين ووزراء ونوّاب من عائلة كرم، أو مطربين ومطربات، أو بأثرياء ومتموّلين، أو بنقباء ووجهاء وأساقفة وعمداء، وكلهم كرام وكرماء... ولكن أنطون... ومن هو؟ وتمتدّ علامةُ الاستفهام، لا لتشمل الطلاّب فحسب، في الجامعة أو خارجها، بل لتضمّ بعضاً ممّن يدّعون الأدب والفكر، ترتسم أسماؤهم في خارطة هذا الزمن-الخطأ، وتلمع تزويراً وتزييفاً، أما اسم انطون فيبقى منسيّاً في احدى الزوايا، يضيء، في عتمة هذا الليل الطويل، يستضيء به قلائلُ نوادر، ومنهم هذه النخبة التي تلتقي الليلة، في هذه الجامعة، وفي قلبها والعقل، بعضُ الذكريات وبعض الوفاء.

أختصره بثلاثة، وأكتفي:

١- هو المعلّم، لا العميد ولا الدكتور ولا الأستاذ ولا المحاضر، فكلّها ألقاب لوجاهة أو لزوال، أمّا المعلّم، فهو الحيّ الباقي... وهو كان معلّماً وأنا أدرى به، يوم كنت طالباً في الجامعة اللبنانية، وأعرفُ أي عطاء وأيّة رصانة وأية علاقة صداقة كانت تربطه بطلاّبه، وأتوجّع معكم اليوم متسائلاً: كم كُثُرٌ هم الأساتذة، وكم نحن بحاجة إلى معلّمين.

٢- هو العاقل، لا الفيلسوف ولا المفكّر ولا الباحث ولا الأديب، عاقل هو ومخزون العقل عنده ثقافةً وخبرة وتحليل وحوار وتوليد إلى حدّ الابداع. والكلمة فعلُ خلق وايمان وتطلّع إلى المستقبل؛ وكم نحن بحاجة اليوم، إلى مثل هذه الكلمة، في زمن التصحّر الفكري والظواهر الصوتية والصراخ الأرعن والألفاظ المنفوخة بالفراغ والكذب واللامعنى.

٣- هو القيمة الأخلاقية، وهي ليست قيمة مضافة على شخص ولا مستوردة. هو المتواضع الوديع ولا كبرياء. الصغير يتكابر، أما الكبير فكبير وكفى... وكان هو الكبير على صمتٍ وتوارٍ وترفّع. وكم نحن بحاجة إلى مثل أنطون، في زمن الادعاءات الفارغة والورم الإعلامي والآلهة الممسوخة.

ولأنّه هو، هؤلاء الثلاثة، قلائل هم الذين يعرفونه، ونوادر هم الذين يذكرونه.

ويا أيها الأصدقاء

لئن نسي الناسوت تخليد سيّد    كريم، فما سفرُ الزمان بناسي
وما شوّه الحسناءَ فقرٌ إلى الحلى    ولا جمّلَ الشوهاءَ عِقدٌ من الماسي

اللهم، كثّرْ حولَنا الحسان، ولو فقراء، وأبعِدْ البشعات الحاقدات، ولو تجمّلن بالماس والذهب.

شكراً لجمعيّة أهل الفكر بشخص رئيسها د. منصور عيد والأعضاء الأصدقاء، وللذين نظّموا هذا اللقاء، وتحيّة تقدير للحاضرين والمحاضرين، وباسم رئيس جامعة سيّدة اللويزة الأب بطرس طربيه، أرحّب بكم، آملاً أن تبقى هذه الجامعة، مركزاً لتكريم القيم، وبيتاً لأهل الفكر، ومنبراً لا يعلو فيه إلاّ صوت الحق والحريّة.

أما أنطون غطّاس كرم، يا معلّمي.

فشكراً لك، ما تكلّمتُ إلاّ ببعض ما علّمتَني، أعطِني منك لأستزيد، وشكراً لكم.

# الياس الحاج

بمناسبة صدور كتابه «قلم يكتب الجراح»

معهد الرسل في ٢٠٠٢/٣/١٣

أيها الأصدقاء

ملاحظتان واختصر:

١- لم يبقَ لي، بعدَ كل هذا الكلامِ الجميل، إلاّ القيمة المضافة. وأنا لا أطلب ١٠٪ بل أكتفي بالنصف، خمس دقائق.

٢- معهد الرسل تليق به الرسالات وتحلو فيه الرسائل الصادقة، ولعلّها تصل بسرعة، فهي موجّهة إلى أخي الياس، ولعلّهم يكونون على السمع.

أخي الياس

قلم يكتب الجراح: هو العنوان

أما الإهداء: أهديكم قلمي... والجراح.

شكراً للقلم، وهو نار ونور

أما الجراح... فتكفينا جراحُنا... وان تباذلنا، فلن تكونَ رابحاً. وجراحُ الروح أعمقُ من جراح الجسد. تعالَ نتصارح:

لماذا وراءَ وجهِك الباسم المضيء، تختبئ قواريرُ من الحزن ومناديلُ مبلّلة بالدم والدمع؟

لماذا وراء هذه الإشراقات التي تلوّن الكتاب، نسمع وجعَ الأطفال، وهم يشاهدون اللُعبَ وأحصنةَ الخشب محطّمةً أشلاء وبقايا؟

لماذا وأنت تتلو المزاميرَ والصلوات وتُرسلُ التحيات... ومرحبا، ولا تقنطوا، أؤمن بفرح الكلمة...

يتحوّلُ صوتُك إلى همسٍ عليل وآهاتٍ ترتعش كصلوات الجمعة العظيمة؟

لماذا تكسّرتِ الأحلامُ والكؤوسُ وسقطَ الليل وانحدرتِ الكآبةُ إلى الكلماتِ والحروف والفواصل؟

ولماذا، أخيراً: اغفرْ لي يا أبتاه؟

يا رجل، أيها الآتي من حفافي الصنوبر في جردنا العالي، لملمْ جراحَكَ. حوّلها إلى حجارةِ غضب وتراتيل وأغاني فرح.

متعِبٌ أنت، يا رجل، ومُتعَب.

متعِب كأنّك ضمير، يدق، يدق، يدق، لا ينام، لا يهدأ، لا يستريح.

ومتعَبٌ حتّى لكأنّك تغني: أنا من ضيّع في الأوهام عمره.

أتعبوك..؟ ما همّ، بامرأة حلوة، بطفل صغير، بكلمة صلاة، نمحو الملَلَ والغبار.

دَع لهم أمجادَهم الفارغة، والصورَ والوكالات، من كل نوع،

أترك لهم العنّ والنقّ وورمَ الكلمات الزائفة، والظواهر الصوتية،

وتعالَ، معاً، مع هذه النخبة، مع جميع الذين، من شعبنا الطيّب، يرفضون الواقعَ والقهر، إلى حدّ الغضب الساطع، وصلّ معي:

يا ربّ، لا تغفر لهم... لأنهم يعرفون. و«هم» ليست ضميراً، بل أناس يعرفون ماذا ارتكبوا في حقّ هذا الوطن. بعضهم بيلاطس، ويغسلون أيديهم، بعضهم يهوذا، يبيعون ويشترون، وبعضهم تجّار وبائعون ولصوص في الهيكل... مسامير، خلّ، حراب، وصليب...

يا ربّ، لا تغفرْ لهم، فهم يدرون.

ويا أخي الياس، لا تحمل خطاياهم وتصرخ: إغفر لي... فأنتَ البريء الأسير، في هذا الزمن-الخطأ. ما ذنبُ العصافير مع الأقفاص؟

صعبٌ الفرار، يا صديقي، من سجن لا جدران له.

ولكن آمن معي، أنّنا سنخرج من هذا السجن، وألمح ضوءَ الخروج ساطعاً، بعد هذا الليل الطويل،

وغداً، معاً نغنّي:

هلاّ، هلاّ، يا تراب عينطورة يا ملفى الغيم وسطوح العيد.

# المطران الياس عودة

في تسلّمه جائزة سعيد عقل المائة،

جامعة سيّدة اللويزة في ٢٠٠٢/٣/١٥

أيها الأصدقاء

إنه مؤتمرُ القمّة، اجتماع الملوك والملكات، لقاء الكبار-المئة في هذا الوطن، الكبير، أيها الأصدقاء، لا يحتاج إلى مرسوم، ولا إلى كتاب توصية، ولا إلى انحناءة جبين، ولا إلى الزحف على هذا الطريق أو ذاك،

الكبير لا يبحثُ عن مجد، بل على العكس، يبحثُ المجدُ عنه، يأتيه وحيداً صامتاً في إحدى الليالي، يتوّجه ملكاً،

أعظم ما في سعيد عقل، ان ثمانينَ من مئةٍ نالوا جائزتَه، لا يعرفُهم، ولم يسلّمْ عليهم إلاّ يومَ سلّمهم الجائزة. بالكلمة الحلوة، بالشجاعة، بالصدق، بالنبل، بالموقف الجريء، فرضوا أنفسَهم، فأتى لهم سعيد عقل بالتاج مرصّعاً بالمحبّة والكرم.

وأرقى ما في سعيد عقل، انّه يحتقر المال. دلّوني على رجل، لا رأسمال مادّي له، ولا مصارف، ولا تجارات، ولا وكالات حصرية ولا سمسرة ولا تهريب ولا تبييض أموال، قادرٌ من ماله الخاص الآتي إليه من قلمه، على منحِ جائزة أسبوعية بمليون ل. ل.، أي أربعة ملايين ل. ل. في الشهر.

وأجمل ما في سعيد عقل انه لا يزال يراهنُ على المستقبل، ويحلم. وهنيئاً له كلُّ المستقبلات الآتية، والجوائز المقبلة آتية على قدر الكرم والإبداع ومحبّة لبنان.

اليوم، تتوّج الجائزة، وهي الرقم مئة، بتاج مميّز. سيّدنا الياس عودة لا يحتاج إلى تيجان. من الروح القدس تاجُه والسيادة، إلاّ انّ تاجَ اليوم ليس خاصّاً بالياس عودة-الرجل، بل هو خاص بالرمز: أي الكلمة الشجاعة الأبيّة الصادقة الغاضبة القويّة كما الروح وكما الصلاة.

نحن، يا سيادة المطران، نتكرّمُ بك اليوم، نحن نتوّجُ معك، نحن التسعة والتسعون الذين نالوا هذه الجائزة، نتكرّم اليوم، مرّة جديدة، وشرف كبير أن يقول الواحد منّا: أصبحنا زملاء وسيادةَ المطران عودة.

زملاء وأصدقاء، ومئة قلم في خدمة لبنان والحريّة والسلام، أيُّ مؤتمر قمّة أعظم؟

شكراً لكم جميعاً، شكراً لرئيس الجامعة الأب بطرس طربيه ولجميع الذين عملوا على تنظيم هذا اللقاء.

أما البيان الختامي لهذا المؤتمر، مؤتمر القمّة، مؤتمر ملوك وملكات الكلمة، فأترك صياغته لكم.

وأهلاً وسهلاً.

# لقاء الشباب البتروني

في احتفال تأسيسه، البترون في ١٣/٤/٢٠٠٢

أيها الأصدقاء.

كان ذلك منذ أربعين سنة، صبيٌّ آتٍ من الجرد، يحمل في عينيه بعضَ البراءة وفي صدره بعضَ الطموح وفي جسده بعضَ المراهقة والنبض والشغب، ألحقَه أهلُه بمدرسة داخلية في البترون، قضى سنتين، تخرّج، انتقل إلى الجامعة والمجتمع؛ اليوم، يعود، يلتفتُ ناحيةَ فوق، إلى تلك المدرسةِ النبيلة الأصيلة، ويقول:

مهدَ العلوم، أنا هنا حدِّق أتذكرُ من أنا؟
أنا ذلك الولد الذي دنياه كانت ههنا.

ذاك الصبيّ الجردي كان أنا... أما البترون فهي أنتم، ولكم أقول: شكراً. لقد علّمتموني، وهذه بعضُ بضاعتكِم تُردُّ إليكم.

وتحيّةَ تقدير لهذا اللقاء البتروني، وبين شبابه، رفاقَ وزملاءَ دراسة، وذكرياتَ مبلّلة بالحنان والحنين.

أيها الأصدقاء

ربّما كانت الصدفةُ خيراً من ميعاد، ولهذا نحن هنا، في ١٣ نيسان، وما أدراكم ما هو ١٣ نيسان في الذاكرة وفي الوطن؟ اختصر فأقول: بقدر ما أوجعَنا الفلسطينيون يومذاك، وبعدَه، بقدر ما نتوجّعُ لهم وعنهم، اليوم. هذا

هو لبنان، وهذا هو الانسانُ اللبناني الكريم الصادق الشريف الذي يستطيع أن يقفزَ فوق الجِراح، وأن يكونَ دائماً مع الحق ومع العدل ومع الحريّة.

من جهة أخرى، إن كان ١٣ نيسان ١٩٧٥ بدايةَ الحرب على لبنان وعلى أرضه، فليكن ١٣ نيسان ٢٠٠٢، وفي البترون بالذات، بدايةً وانطلاقةً لحركة شبابية وطنية جامعة تعمل من أجل البترون، كل البترون، بصفاء ومحبّة، ودون احتكار لموقف أو اختزال لمجتمع أو استفراد بقضية. لقاء الشباب البتروني لا يدّعي وِكالةً حصرية، ولا قيمةً مضافة، ولا يؤمن بمن يدّعون هذه الوكالات وهذه القيم في السياسة وفي الوطنية، ولكنّه دعوةً مفتوحة إلى المشاركة والتضامن واليقظة الشعبية.

أيها السادة،

نسمع كثيراً، هذه الأيام، عن سوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، حتّى أنّ «النقّ» أصبح قاسماً مشتركاً عند المسؤول واللامسؤول. فالرئيس والوزير والنائب ورجل الدين ورجل المال ورجل الإدارة، كلّهم يحملون المناديل، يبكون، وينقّون، وشو طالع بإيدنا، وشو قادرين نعمل؟

نقول فقط: اتركوا «النقّ» علينا، أما أنتم اذا كنتم عاجزين، فالأفضل الصمت، ومن له أذنان سامعتان فليسمع... لا نريد أن نُضيفَ إلى بلائنا بلاء وشقائنا شقاء وأوجاعِنا وجعاً. شبِعْنا كلاماً يائساً، سئِمْنا الحديثَ عن الهجرة والإفلاس والفساد والهيمنة والمحاصصة والاستنساب والاستضعاف والشحن الطائفي الخبيث. تعالوا، نعمل معاً، بصفاء ووضوح، وخطوة خطوة، من أجل حلّ بعض مشاكلنا، دون ادّعاءٍ وتكبيرِ حجر وشعاراتٍ فارغة. وهنا لا بدّ من بعض ملاحظات مختصرة:

١- نحن نميّز بين الدولة والسلطة، تعالوا نعمل من أجل الدولة، ولن يغفرَ لنا أحد إنْ رميناها بوردة، أمّا السلطة فحديثٌ آخر... وطويل.

٢- حرام توزيع الاتهامات، ليس بيننا خائن أو عميل، حريّةُ الاختلاف حقّ وضرورة، تعالوا نعمل معاً، مع كل المسؤولين، من أجل نهضةِ مجتمعنا والوطن.

٣- نحن أغنياء بالأذكياء، ونحن فقراء بالمبدعين، والفرق بين الذكي والمبدع، ان الذكي يوصلُ نفسَه، أما المُبدعُ العبقري فيوصلُ مجتمعَه ومدينتَه ووطنَه، اللهم نجِّنا من الأذكياء وأكثِرْ بيننا أهلَ البناء والتضحية والعطاء.

٤- لو قُيِّضَ لنا أن نتمتّع بالعري الفكري، كما نتمتّع بالعري الجسدي، لأُصِبْنا بصدمةٍ كبيرة ولظهرتْ بعضُ العقول وقد فرّخ فيها وعشعش الكثيرُ من الخبث والمبالغة والنفاق. متى يكونُ لنا، شاطئ، على هذا البحر، للعُريِ الفكري، كما للعري الجسدي؟ هكذا نؤمِّن وحدةَ المسارين.

٥- أصعبُ السجون سجنٌ لا جدرانَ له. كيف نفرُّ منه؟ هل تشعرون بهذه السجون؟ غداً لن تبقى، ولا يمكن لأهلِ الحرية أن يهنأوا بالاستراحة في سجن ولو كان من عنكبوت أو ذهب.

٦- المعركة التي نخوضها اليوم بين جوازِ السفر وبطاقة الهوية، هي معركة مستمرّة، خاضها آباؤنا والأجداد، ولكن ثقوا ان الانتصارَ سيكونُ لبطاقة الهوية.

يبقى أن الشباب البتروني يؤمن بهذه المبادئ، يعمل لها، يحوّلُ الجراحَ إلى حجارة، واليأسَ إلى غضب واعٍ، والاستبعادَ إلى حركة لا تستثني أحداً.

هنيئاً لكم، أيها الأصدقاء، أنتم بعضُ النور الآتي من هذا النفقِ المظلم الظالم، وغداً... يوم آخر.

لندعِ الماضي، لن ننظرَ إلى الوراء، جميلٌ أن نتذكّر، ولكنَّ الأجملَ أن نحلم، نحلم بالبترون؛ صبيّةً على قدرٍ من الغنج والدلال والجمال، تتمدّدُ على هذا الشاطئ... وتحلم، تغنّي.

بماذا تحلم الصبيّة في هذه الأيام؟ وماذا تغنّي، تراها تقول:

يا ريت فيي صرّخ بوج الكبار

وقلّهن حاج تلعبوا فينا

أحرار بدنا نضلّنا أحرار

ولا بدّ ما شي نهار

توصل مراكبنا على الميناء...

وستصل

كلمة أخيرة أعود فيها إلى ما بدأتُ به، منذ أربعينَ سنة، وأعترف:

كنتُ عندما أخرجُ من المدرسة في البترون، أفتّش عن انتعاش باثنتين: كأس ليموناضة، وما أطيبَه، وصبيّة حلوة، لا أزال أذكر قامتَها والعينين، على مفترقٍ قريب من مدرستنا،

اليوم، مع هذا اللقاء، انتعاشُنا كبير، فالبترون كلّها مدرسة، وكلّنا نتعلّم منها، وكلّها تحمل نكهةَ الليمون، وما أطيبه، أمّا النساء والصبايا، وتلكَ الحبيبة الصغيرة، فإليهنّ أتطلّع مع الشاعر وأقول:

قـلْ لـمـن لامَ فـي الـهـوى هـكـذا الـحسـنُ قـد أمـرْ

ان عشـقْـنـا فـاعـذرونـا انّ فـي وجـهـنـا نـظـر

# جورج شكيب سعاده

لمناسبة صدور مجموعة كتبه، في ٢٠٠٢/٥/١٨

أيها الأصدقاء

ماذا تبقّى لي أن أقول، في هذا اللقاء؟ وهل غادر الشعراءُ من متردّم؟

كان بإمكاني الحديث عن المؤلّفات الأدبية للدكتور جورج شكيب سعاده، أحلّل، أناقش، أنقد، أغربل، ثم أصدر حكماً أو أحكاماً، ثم أتطلّعُ إليكم، البعض يصفّق مجاملةً، البعض يتثاءب، والبعض ينظر إلى ساعته وإلى موعد جديد.

كان بإمكاني أن أتحدّثَ عن البلدة التي أنجبت جورج سعاده، البلدة الجبلية العريقة المستلقية، بإغراء صبيّة فاتنة، في وجه دير القمر، بعضُها يُرى وبعضها ما لا يُرى، واللايُرى أجمل، وعلى مدّ أصابع من بعقلين الشامخة، والأصابع أحياناً من الجهتين، تلامس وتغازل بجرأة وتسلّل، لا يعرفهما إلاّ أهلُ الجيرة والحكاياتِ الناعمة الحلوة.

وكان بإمكاني أن أتحدّثَ عن هذا الرجل الآتي من الجامعة اللبنانية، وأنا واحدٌ من ثمارها، وإن كانتْ ثمارُنا، ذلك الجيل، فجّةً وصعبةً على العضّ، لأقول: حرام أن نشوّهَ وجهَ هذه الأم، جريمةٌ أن نقصَّ شعرَها وأهدابَ عينيها، ونلوي عنقَها، ونجرّحَ صدرها الواسع، ثم نُغسل أيدينا من دمها. الجامعة اللبنانية، الكبيرة برجالها، حرامٌ أن يتقاسمَها مَنْ يتقاسمُ الوطن حصصاً، على حساب أطفالنا والفقراء من شعبنا الطيّب؛ إما لتُرفع الأيدي عنها، لتبقى جامعةً جامعة، وإما...

وكان بإمكاني أن أتحدّث عن الشِعر، لأقول: كلُّ شعر لا يشبه أطفالَنا، ليس شعراً. كلُّ شعرٍ مستنسخٌ ومستورد، باسم الحداثة والعولمة، لا علاقة لنا به. كلُّ شعرٍ لا يحملُ عطرَ البنفسج والياسمين، في جرودنا، ليس شعراً، كل شعر لا يتكحّل بعيني الحبيبة، ولا يرتعش أمام ملمس نهديها ليس شعراً، وكل شعر لا ينتفض، ولا يضرب كحجر، ولا يقاوم كطفل، ليس شعراً.

كان بإمكاني أن أتحدّثَ عن جورج سعاده، المعلم والأستاذ والأديب، ولكن أستميحكم عذراً، ان صمتُ، وتحدّثتُ فقط عن جورج سعاده الانسان، في كتابه «قناديل الورد».

لماذا؟ لأنه قال لي، منذ ثلاثة أيام، وأنا أعترضُ عليه، اذ لم أتسلّم كتبَه بعد، فكيف أتحدّث عنه: لستَ بحاجة إلى وقت طويل، الكتاب يُقرأ بساعة أو ساعتين.

جورج، أيها الرجل، لا تستهترْ بكتاب، ولا تتواضعْ، كتبُكَ هي أنت، أنتَ في إبداعاتكِ وعطاءاتك والسنوات التي قضيتَ في الشقاء والتعب والمعاناة.

كتبُكَ هي أنتَ، في الوجع والفرح، في الغضب والهدوء، في الأرض وفي الحلم، في الحبّ وفي الحقد، في الوطن وفي اللاوطن،

«قناديل الورد»، هو بعضُ شموعٍ وعطور، مواقف تعبّر عن حقيقة شخصك:

هيدي الدني لا عدل فيها ولا ضمير

طيور بتغنّي، وبيفرح الانسان

وانسان همو يقتّل عصافير.

وكم من عصافير تُقتلُ في هذه الأرض، ولكن مهما كثر الصيادون، فالعصافيرُ تتناسل بصورة أسطورية، وسيبقى لك، ولنا، الفرحُ والحياة.

«قناديل الورد»، أضواء على حبيبات وأطفال وصخور وأشجار وطيور كلها ترتدي لباساً لبنانياً، تغتسل بماء الزهر، تتمرّى بصفاء العذراء مريم. انها أنت، بلبنانيتك الصافية، بلون عينيك، بثياب والدتك وجدّتك والصخور، برائحة الزيتون والصعتر والحبق في روابي دير دوريت. لا ادّعاء ولا افتعال ولا تصنّع. انها العافية اللبنانية الجبلية الطالعة من ينابيع هذه الأرض، في ظلال الحور والصفصاف، لم تلوّنها أصباغٌ ومساحيق، ولا تحتاجُ إلى تجنيس، ولا تنتظر شهادةً في العروبة أو الحداثة، في عصر تأجير الأرحام وتهجير الأحلام وتفجير الأقلام.

انها أنت، جورج سعاده، بطبيعتك وبساطتك والعاصفة التي تشتعل فيك... وكم نحن بحاجة، يا جورج، إلى حبر يُحدِث شغباً، يتخانق مع الورق، تتشاجر كلماته المتمرّدة مع الأقفاص، تعلن ولادةَ الوطن الجديد، وطنِ الحريّة والحبّ والفرح.

قناديل الورد، أعطنا يا ربّ بعضَ ضوءٍ القنديل وبعضَ عطر الورد، واغفر لي، ولجورج، ولأهل الشمّ والضمّ، كلّ الخطايا، الآن وإلى دهر الداهرين. آمين.

# فرنسوا باسيل

في تقديمه أثناء محاضرة له،

بدعوة من نادي الروتاري - كسروان في ٢٠٠٢/٥/٣٠

أيها الأصدقاء

لماذا نحن هنا؟ وهل مَن جديد؟ أليس من الأفضل لنا، كما قال جارُنا العجوز، أن نتوجّهَ إلى حريصا، ونحن في نهاية الشهر المريمي، فلا شيء ينفعُ غير الصلاة؟ وهل بقيَ كلامٌ لنقولَه؟ ألم نتعبْ من الكلمات؟

رغم ذلك، نحن هنا، رجاؤنا، أن نخرجَ الليلة، من هذه القاعة، بكثيرٍ من الأمل والإيمان... وما أطيبَ العقلَ والصلاة إن اجتمعا معاً.

أبدأ ببعض الملاحظات:

١- من يتصفّح عناوينَ الجرائد، في هذه الأيام، وعناوينَ النشرات الإخبارية المرئية والمسموعة. يرتدّ إلى نفسه ضائعاً قلقاً حزيناً: قتل، خطف، اغتيال، تقاسم حصص، عشّاق الخليوي، اهتراء اداري، وضع مالي صعب، حرب الاخوة وأمّ المعارك... ثم، تطلّع إلى الخارج: مجازر وحضارة عنصرية متوحّشة، تخلّف على المستوى الإقليمي، عنف وإرهاب على المستوى الدولي؛ وظلم، وليل، وقمع... وكوابيس. أيُّ قرن جديد هو هذا القرن؟

٢- من يتطلّع إلى نفسه، من الحاضرين هنا، ويتصفّح ذاكرتَه، ولا سيّما، نحن الذين عرفنا لبنان، قبلَ الحرب، وخلالَها، وبعدَها، يشعر ببعض الغصّة، ويجتاحه الحنينُ إلى الماضي، وكأنّ تقدّمَ الزمن انعكس تخلّفاً

على المستوى الانساني العام، فإذا بنا نشتاق إلى القديم، ونعيش في إطار الذكريات الحلوة. موجعٌ الحنين إلى الماضي، على حساب الأحلام المذبوحة والأجنحة المتكسّرة.

٣- ومن يحاول أن يتطلّعَ إلى المستقبل، لا يجد سوى علاماتِ استفهام، وأيدٍ تودّع، وبعضِ الدموع، وكثيرٍ من الضباب.

مع ذلك، نحن الروتاريين، وقد اتخذنا شعارَ الخدمة والأخوّة والعطاء، نأبى الاستسلام والإحباط والإنزواء، ونرفض «النقّ»، ونقول: الأزمنة الصعبة هي محكّ الرجال، دورنا أن نعمل، ولا يأس ولا فرار ولا استقالة، ومن هنا، لقاؤنا مع محاضرنا، الليلة، الذي لم ييأسْ ولا يفرُّ ولن يستقيلَ، بل يعمل ويبحث، كما عنوان المحاضرة، عن حلّ للضائقة الاقتصادية الصعبة، ومعه نقول: جميل أن نتذكّر ولكنّ الأجمل أن نحلم.

برأيكم، ومن باب الاستخبار والتنصّت، تعالوا ندخل إلى عمق هذا الرجل لنرى بماذا يحلم؟ وهل يمكن أن نُطلِقَ عليه، بعد خروجنا، اسمَ «صانع الأحلام» أو «بائع الأحلام» أو «محقّق الأحلام»؟

- تُراه يحلم بوطن، على حجم مدينة بيبلوس، حضارةً وعظمة، وعلى حجم بنك بيبلوس، نشاطاً وصلابة وامتداداً اقتصادياً مشرقَ العطاء؟

- هل يحلم بمجتمع لبناني يستفيق، من غفوته، يستيقظ، من خدرِه، ينفضُ عنه غبارَ الاتكالية والفئوية والطائفية العمياء، ويسير في طريق النور والحياة؟

- مل يحلمُ بدولة، ينتصر فيها القانون على نظام القبيلة والمزرعة؟

- هل يحلم بمناخٍ حرٍّ نظيف، يطردُ الهواءَ الأصفر المشبعَ بالإشاعات والحقد واللؤم الغبي؟

- هل يحلم بعودة الرغيف، عودة عروسة «السكّر»، - هل تذكرون، ما أطيبها في تلك الأيام - على بعض اطمئنان وفرح وفَقرٍ نبيل وكرامة أبناء الجرد؟

- أظنه يحلم بكلّ ذلك، ويتطلّع إلى ربّه، وهو يقول مع الشاعر:

ربٌّ، طوّقتَ مغانينا جمالاً وجلالا

ونشرتَ الطيب فيهن سهولاً وجبالا

ردّها قفراءَ إن شئتَ، وموّجها رمالا

نحن نهواها على الجدب اذا أعطَت رجالا.

نعم، الموضوع، هو هذا، انه موضوعُ الرجال، وعندما أقول الرجال - الرجال، لا أستثني النساءَ اللواتي يُفضَّلنَ على الرجال، في أحيان كثيرة. انه موضوع الرجال، في عزّ المرارات والإذلال وزعماء الوقت الضائع.

وفرنسوا باسيل، رجلٌ من هؤلاء الرجال الكبار الذين ينظرون إلى المستقبل، ويعملون من أجل البناء، بلغة الرقم والعقل والحكمة، لا بلغة الهوبرة والشعارات الفارغة،

لا توجعُهم الجراح، ولا يهابونَ عقبة أو صدمة، ولا يرتعشون، لهبوب ريح. معه وبه، تتحقّقُ وَحدةُ المسارين: مسار السياسة ومسار الاقتصاد، لا وحدة مسارين، يغرغر بها بعضُ المسؤولين، ولا سرّ، ولا مسار، ولا من يُسَر ويُسِرّ.

إليه، نستمع، ومعاً نردّد:

يا ريت فيّي صرّخ بوج الكبار،

وقلّهن: حاج تلعبوا فينا،

أحرار بدنا نضلّنا أحرار،

ولا بدّ ما شي نهار

توصل مراكبنا على المينا...

وستصل قريباً وشكراً لكم.

وبانتظار أن تصل... نستمع معاً إلى د. فرنسوا باسيل.

# أمل مالك

بمناسبة الاحتفال بصدور كتاب لها بعنوان «العودة إلى الوطن»،
جامعة سيّدة اللويزة في ٢٠٠٢/٦/١٠

أيها الأصدقاء

لن أتحدّثَ عن الدكتورة مالك وعن كتابها، بمفهومِ البحث والتحليل، بل، أترك النقدَ، لأهل النقد، وأكتفي بما أملك: بعض المحبّة لهذه السيدة، رغم أن أواصر الود ليست متينة بيني وبينها، ولا العلاقات مميّزة، وأنا أعترف بذلك. فهي ليست من هواةِ الضجيج، تَمرُّ كأنّها ريحَ تمرُّ على رؤوس الحبق، لا تُثير الفوضى، تحافظُ على المسافات، وتتقِنُ فنَّ الصمت، ولكنَّ أمل، اسمَ يوحي بالكثير من الاخضرار والسلام والجمال والحياة الحلوة. في زمن الضباب والدخان والتعب، وأكادُ أقول اليأس، تطلّ أمل، بصمتها والخفر، وكأنّها تبثُّ بعضَ الحياة وتطردُ من النفوس أشباحَ الحزن والتشاؤم.

وفي وقت، يستجمع فيه بعضُ الطلاّب والشباب، أوراقَهم، ويتزاحمون على أبواب السفارات، ويتسابقون للحصول على جوازات سفر، تطلّ أمل بكتابها «العودة إلى الوطن» وكأنّها تُقلِعُ عكسَ الزمن وتسافرُ عكس الرياح، وفي ذلك بعض التحدّي والايمان.

وفي مرحلة الفوضى التربوية، فلا مقاييس ولا معايير محدّدة، تطلّ أمل، في كتابها الجديد، لتعيدَ إلى التربية بعضَ المفاهيم والمبادئ التي تؤمّن للطالب مناخَ العلم والنمو والتطوّر، بعيداً عن الانفلاشية العمياء والعولمة التي لا لون لها ولا طعم ولا رائحة.

أمل صليبي مالك هي الكتاب، أما الباقي فتفاصيل. هي العائدة إلى الوطن، بعد غربة، هي المعلّمة المتمرّسة بواجباتها التربوية، هي الزوجة والأمّ العاملة، بحنان وصدق، لراحة العائلة وسلامة المنزل وصحة الأولاد. لم تكتب في أطروحتها عن ستماية طالب من العائدين، بل كتبت عن طالبة واحدة، اسمها أمل، تركت لبنانَ طفلةً، ثم عادت إليه شابة سيّدة متزوّجة، بعد غياب عشرين سنة... أيّة لبنانية هذه اللبنانية العائدة؟ وأيّ لبنان هو هذا اللبنان الذي تعودُ إليه، بعد أن هدمتْهُ الحرب وشرّدتْ بنيه ودمّرتْ الكثيرَ من شخصيّته ومؤسّساته؟

وبإيمان أرثوذكسي مستقيم الرأي، تعودُ لتتأقلمَ من جديد، مع هذا المجتمع، وتكون هذه الجامعة منزلاً جديداً يحتضن، بدفء، صبايا لبنان وشبابَه العائدين.

طبعاً، هُجّرت من سوق الغرب، قسراً أو طوعاً، وهُجّرت من لبنان، يأساً أو طموحاً، ثم عادت، لتحيا في هذا الوطن الذي هو جزء من تكوينها وهويتها وانسانيتها.

كانت أمل أقوى من الفراق وأقوى من الغربة، فعادت إلى بيروت وإلى سوق الغرب، وانتمت إلى هذه الجامعة، وأصرّت على البقاء، وحاولت بكتابها أو أطروحتها، أن تناديَ جميعَ أبناء جيلها من المهاجرين، للعودة إلى الوطن. ماذا ينفع الانسان لو ربح العالمَ كلّه وخسر وطنه؟

ولم تخسر أمل الوطن، بل ربحت اللغاتِ العالمية والوطن معاً فكتبت في الانكليزية التي لا أُتقنها شخصياً، وتمرّست بالفرنسية حتّى الابداع، فكتبت كتابيها الشعريين: الساعة الزرقاء L'Heure Bleue، ومن أجل كل أحصنة العالم Pour tous les chevaux du monde، وقرأت الكتابين، وفهمت مذّاك، لماذا اللاتفاهم لا يعني اللامحبة. وأعود إلى البدء، فأقول: نعم أمل سيّدة تُحترم

وتُحبّ، لأنّها، في شعرها، رمزٌ لأصالة لبنانية صادقة، وعلامة طاهرة للإشراق اللبناني الغني الشاعر.

أيتها الشاعرة الرقيقة، يا أمل، وأكتفي بالاسم، دون لقب، ودون مجاملة، أعتذرُ منك، ففي عينيك، وفي كلماتك، بعضُ الأمل، بلبنانَ جديد. ومع هذا الكلام، لا نخرج عن متن الموضوع، لندخل إلى متن آخر، ولكن نقول، ونحن، ربّما، على هامش هذا المتن: اقتربت الساعة، لا يصحّ إلاّ الصحيح، وغداً يوم آخر، ووطن متجدّد، ولبنان على قدر المحبّة والطموح... انّه آتٍ على حصان أزرق... أفسحوا له الطريق.

شكراً لكم.

# روني ألفا

بمناسبة صدور أحد كتبه والاحتفال به،

جامعة سيّدة اللويزة في ٢٠٠٢/٦/١٨

أيّها الأصدقاء

باسم جامعة سيّدة اللويزة، باسم رئيسها الأب بطرس طربيه، باسم أساتذتها وطلاّبها، أرحّب بكم، وأمامكم، أمضي على بياض، وأوقّع، بأحرف كبيرة، وأرفع صوتي، عالياً وصارخاً، وأقول: روني ألفا فنّان بامتياز. تجاوز الشاعرَ، والكاتب، واللاعب، وأكرّر: فنّان يُتقنُ صناعةَ الجمال، ويجعلُ من اللغة أبجديّةَ حبّ وعريٍ وعطر.

ما عرفتُه، قبل أن أقرأ كتابه، إلاّ لماماً، يمرُّ اسمُه في البال، كأنّه الخاطرة، يمرّ وجهُه في العين، كما مسافرٌ بعيد. لا تجمعني به صداقة ولا علاقة مميّزة، كما بين الأشقّاء، ولكنّني وأنا أقرأ الكتاب، وجدت روني في كل صفحة وسطر وحرف. هو هو الكتاب، لملمتُ شظاياه، وهو الممزّق الموجوع حتى الشرايين، فإذا به، شجرةُ أعصاب، وهو عاشقُ الشجر، يصارعُ الزمنَ والعمر، ويتمرّد، حتّى على ذاته، ويقف وحيداً. في بيت أبي منازل كثيرة، وفي كتاب روني ألفا وجوهٌ كثيرة، أكتفي بواحد منها: وجهُ العاشق.

في مقدّمة كتابه، ينزوي وكأنّه في كرسي اعتراف، يبوح قائلاً: لم يحبّني أحد إلى آخر الحب... أسألوه لماذا؟ ومن المسؤول؟ أليس لأنّه مُتعِب متطلّب، لا يرضى بالقليل، ولسان حاله: أنا أو لا أحد... يتابع البوح: أنا أيضاً لم أحبّ أحداً كما أحببت أن أُحَبّ.

مرّة جديدة، اسألوه لماذا؟ ومن المسؤول؟ أليس هو صانعَ الأحلام الذي ضيّع في الأحلام عمره وراح يبحث عن واقع، ما استفاق عليه إلاّ وهو يفلتُ من يديه.

يتابع قائلاً: وحدَه الشعر علّمني أصولَ الحبّ... هنيئاً لك، يا روني، أما نحن، أو على الأقل أنا، فقد تخلّفنا عنك، ولم نتعلّم حتى الآن، أصولَ الحبّ؛ بحثنا عنه في جسد جميل، في عيون ولا أبهى، في شفاه وأصابع وخصور، ولم نتعلّم؛ صفعَنا الحبّ، أسقطَنا في امتحانات متعدّدة، ولا نزال ندرس، لعلّنا نصل. هنيئاً لمن يعيشُ عمره في جامعة الحبّ، أو في مدرسة الحبيبة. لو كان لي الخيار، لتكاسلتُ عن قصد، وفضّلتُ إعادةَ الصف، نصفَ قرن آخر، حتّى لا أتخرّج أبداً، ومن له أذنان سامعتان، فليسمع...

تقول أنتَ في إحدى صفحاتك:

أشتهي، كالسبع، ورق التين المهفهف.

هنيئاً لكَ ورقةُ التين، أما نحن، لا التين ولا الورقة، ولا ما بينهما يسدّ جوعَنا المزمن.

فدعنا من التين ومن أوراقه، لعلّنا نكتفي ببعض حبّات العنب.

وتستفزُّني اذ تقول:

أربعينيَ أنا

فابحثي عن آخر

يَصغَرُني عشرينَ عاماً

واتّقي ستائرَ الفضيحة.

لماذا كل هذا التواضع؟ أنا لن أعترف، ولا أسأل، لا عن الأربعين ولا عن الخمسين، ولا أتنازل لجماعة العشرين، ولا أتّقي الفضيحة... ومن كان منكم بلا خطيئة فليرجمني بحجر...

ويسقط فيك الخجل، أمام تفاحةِ الهمس، أميرةِ اللمس، شيطانةِ الأحلام، أفخمِ مجوهرات الخطيئة، اذ تقول لها:

أحملُ وجهَك أيقونةً

نهداك يسكنانِ هواجسي

تستحمُّ بعطرِك قصائدي

والفمُ المنمنَم

يستأهل «نوبلاً» للعشق

لأنه اخترعَ القبلة

واكتشفَ وظيفةَ الشفاه.

أرأيتَ، يا رجل، انّ الحبّ لذيذ، وانّك تعود من السفر المتعب، وقد اغتسلتَ بندى عينيها، وقَّعَت لك بشفتيها، على بَياضِ روحِك الطيّبة، وكالأيقونة، حرستْكَ من الشرّ والسقوط.

وتنتهي في خاتمة الكتاب إلى القول:

اكتشفت اللّه في وجهك الملائكي.

كلّنا، في نهاية المطاف، نعود إليها الحبيبة، أو إليه، اللّه... نُعلنُ التوبة، نردّد فعل الندامة.

أين هذه المرأة يا روني؟ دلّني عليها، لعلّها تكون تلك الزوجة النبيلة الحبيبة ميرنا، التي، كلٌّ امرأة قبلَها تجربةُ امرأة، مسودّةُ حبّ، وكلُ امرأة بعدها، خطأً وخطيئة.

روني، إمضي على بياض،

وامضِ في طريقك،

قل كلمتك... وامشِ...

لن تبقى سوى هذه الأوراق...

ولن يبقى لنا، سوى الحبّ، الحبّ الانساني الكبير، طريقَ خلاص وفرح وسلام.

يا أميرَ المدمنين

ليس بالخمر وحده يسكر الانسان،

تعالَ نسكر من أهداب عينيها

ويا ربّ، اغفرْ لهم

لأنّهم يتّهموننا بخطايا... لم نرتكبها إلاّ في الشعر. وطوبى للشعراء.

# اتحاد الشعر اللبناني (٦)

في حفلته السنوية، القطّين في ٢٩/٦/٢٠٠٢

أيها الأصدقاء

بصراحة، وكما في كرسي اعتراف، أبوحُ لكم بما يختلج في سرّي وصدري: أنا لم آتِ إلى هنا لأتحدّثَ في الشعر، ولا لأمدح هذا أو ذاك، ولا لأحتفل بالسنة الثانية والثلاثين، ولا لألقي خطبة تُثير التصفيق. آتٍ لأسكر، ولا فرق كيف ومتى ومع من؟ ليس بالخمر وحده يسكر الانسان. نعم، ولكن يمكن أن يسكر، بكأس خمر. أما أنا، فأكتفي، بعينين ولا أبهى، بشفتين، بأصابع، بشربة ماء من القطّين، وبغصن شجرة وزقزقة عصفور وبيت عتابا. تعالوا نسكرْ. لم يعد ينفع إلاّ السكر، به وحده، نرتفعُ عن هذه السخافات التي تلفّ المجتمع والوطن والمنطقة. به وحده، نتخلّصُ من الواقع، الدخان، الضباب، النقّ، الخوف، صراع أهل السلطة، معارك الحيتان، على أنواعها المختلفة. ماذا يستطيع الشعراء أن يفعلوا في غابة العنف والموت وفي مستنقع الفضائح والفساد؟ عندما يتحوّل الوطن إلى بارودة صيد، تحملُ العصافيرُ حقائبَها وترحل. نحن العصافير، لن نرحل، تعالوا نسكرْ.

ولنفتح هلالين، عندما تسكر تصبح بطلاً وقويّاً، لا يخيفك تنصّت، ولا يرعبك قول الحقيقة، السكر يحرّر من العقد والنقائص والخوف. تعالوا نسكر، تنفلتُ قيود اللسان، ونتحدّث، فإن أخطأنا، قالوا: سكران، ليس على كلامه رباط، لا تقيّدوا عقلَكم عا واحد سكران.

ولأنّكم غير سكرانين، اسمعوا ماذا يقول السكران:

١- أوجعني جدّاً أحد السياسيين، وهو كما تعلمون رمزٌ في الدّجل والثرثرة، عندما قرأ تصريحاً لأحد المعارضين له، فهزّ رأسه مشمئزاً ونفش ريشَه وعلّق قائلاً: هذا كلام شعر.
ماذا؟ الشعر تهمة، شتيمة؟ أليس الشعر أبرأ وأصدق وأطهر ممّا يعشّش في رؤوس بعض السياسيين من فساد ونفاق وكذب؟ أليس الشعر أجملَ من كلامك الأصفر، أيّها النقناق اللقلاق؟ أليس الشعر وحده الطريق إلى الخلود، فيما اسمُك لا يُكتبُ إلاّ في الملفّات السوداء؟ أليس الشعر هو المجد، والباقي باطل الأباطيل؟ طهّر شفتيك قبل أن تتحدّث في الشعر وعن الشعراء.

٢- أوجعني أحدهم، من الصنف ذاته من السياسيين، عندما اتّهم بعض زملائه، بأنّهم، أي الزملاء، عندما يتحدّثون كأنّهم فرقةُ زجل.
هذا «البلبل» الصدّاح يعتبر الزجلَ لعنة، نقطةَ ضعف، علامةَ مهانة، وعار.
لا، يا صاحب السعادة، الزجل جزء من تاريخ هذا الوطن وتراثه وعظمته. الزجل منارة مضيئة في حضارة هذا الوطن؛ وفرقة الزجل، أية فرقة، أهم بكثير من فرقة اللصوص والقتلة وسماسرة الوطن. من جديد، وباسم هؤلاء الطيبين، أقول لك: الزجل لا يُرشق بوردة، فكيف ترشقونه بسهام حقدكم وصغائركم؟ ابتعدوا عن الزجل، فلن يكون لكم، حتى يوم جنازتكم، ردّة واحدة، أو قصيدة تعزية، لأنّكم لا تستحقون دمعة من عين أو تمتمةً من شفتين.

٣- أوجعتني مجموعة، تعتبر نفسها أمينة على اللّه وعلى الوطن. باسم الصليب، صادروا اللّه، وباسم الوطن، قامروا وتآمروا عليه. صوتهم الدائم: لبنان لنا، يسوع لنا.
أنتم للبنان، لبنان ليس لفئة ولا لطائفة ولا لحزب. من سمح لكم باحتكار

الوطن واحتقار الدين؟ من أعطاكم هذه الوكالة الحصرية؟ وأنتم ليسوع ويسوع ليس لكم، فيسوع ليس لفئة ولا لطائفة ولا لحزب. لا تخافوا من أحد على يسوع. فهو ليس باطلاً كي يهدّدَه الحق، ولا دولة زائفة كي تفجّره الثورة، ولا مفكّراً زمنيّاً بسيطاً كي يخيفه التطوّر. لا فرق بين ساطور يرتفع في منطقة، وقبضةٍ تنقضّ في منطقة أخرى. باللّه عليكم، بعض الوعي والعقل والحبّ.

أيها الأصدقاء.

أنا سكران، شكراً لكم، استمعتم إليّ، على سكري؛ تذكّروا دائماً أنّ الشعر، ولا سيّما الزجل، هو صبيٌّ ورشّ، مشاغب، متمرّد، يحرّض على الفوضى والثورة والتغيير. وحده الشعر يحرّرنا من هذا السجن الكبير. صعب الخروج من سجن لا جدران له. ولكننا سنخرج، الآتي قريب، طوبى للشعراء فإنّ لهم ملكوتَ الأرض والسماوات. وشكراً لكم.

# عارف الريّس

في حفل تكريمي في عاليه أقامه شوقي دلال
(رئيس محترف الفن التشكيلي)، في ٢٠٠٣/١/١٩

أيها الأصدقاء

اعترفت لشوقي دلال، منذ أسبوع، أنّني لا أعرف عارف الريّس، ولا تربطني به أيّة صداقة، ولا علاقات مميّزة تقوم بيني وبينه، كما بين الأشقاء، كما انني لا أتقن النقدَ الفنّي، ولكن شوقي دلال، يحقّ له أن يتدلّل، وأن يفرض، وأن أستجيب.

أما لماذا نحن هنا، في عاليه، وفي محترف فنّي، ولسنا في قاعة كبرى، فلأنّنا، لم نأتِ لنكرّم عارف الريّس، بل أتينا لنتكرّم بعارف الريّس، في منزله، ولأنّ الشاعر يقول:

اذا لم يكن صدر المجالس سيّداً
فلا خير في من صدّرته المجالس.

وفي هذا المنزل، سيّدُ المجلس هو الصدر والصدارة.

أيها الأصدقاء

كل ما أذكر من عارف الريّس، مع بعض الحنين والوجع، صورٌ تعود إلى خمس وثلاثين سنة تقريباً. كنّا طلاّباً في الجامعة اللبنانية - هل تذكرون الجامعة اللبنانية أيامَ العزّ والكبرياء وشراسةِ التحدّي والأحلام المتفجّرة؟ - يومها، كانت شوارعُ بيروت لا تتّسع لنا، وكنّا نُضرِب ونَضرُب ونُضرَب،

نتظاهر، نعتصم، نعرق ونجوع، نرسم صوراً لوطنٍ جميل، طفولي الملامح... يومها، كان شابٌ، كما أذكر، بشعره الطويل المبعثر المشاغب، وبسمرته الحادّة، يتقدّمنا، حماساً، في تلك المظاهرات. سألت عنه، قيل لي: اسمه عارف الريّس.

وتخيّلت أنني سألته: من أنت؟ فأجاب: أنا عارف.

في تلك المرحلة ١٩٦٨، نظّم عارف معرضَ «دماء وحريّة» وكانت للخطوط والألوان ملامحُ حمراء وخضراء، وإشاراتٌ تحريضيّة، وطعمُ الدماء ورائحته تدفّان الفضاء... وكانت لنا حريّة... موجعٌ الفعل الماضي.

بعد ذلك، سنة ١٩٦٩، صورةُ عارف، في إحدى المظاهرات، تتصدّر الصحف وهو يتخبّط بدمائه، بين أيدي وأقدام الشرطة، وتعليق الصحيفة هو: صاحب «دماء وحريّة» يُساق إلى حريّته مضرّجاً بدمه.

وتمرّ سنوات... هزائم... خيبات... أحلام متكسّرة... دموع مخنوقة..

«لقد تعبتُ... تعبتُ من عشر سنوات ماضية التزمت فيها القضيّة، قضيّة الفقراء والفلسطنيين والزنوج... لقد خسرتُ المعركة».

ولكن الفارس القتيل لم يترجّل، حمل نفسَه وأوجاعَه والغضب إلى شارع المتنبّي... وكان معرض «أزهار».

هذا الشارع، يقول، هو أشرفُ مؤسسة... هل تعلمون من هي المومس؟

ويأتي الانهيار سنة ١٩٧٥ ويتّسع القبر وتكبرُ مساحةُ القلق، ويختبئ عارف، في سجنه، في اللوحة، في المنحوتة، في الصخر...

شارع المتنبّي ذهب من الجغرافيا ولكنّه لا يزال يحتلّ صفحةً من التاريخ وبعضاً من الحاضر.

ينسحب الشابُ الأسمر من المظاهرة، يتحوّل هو إلى ظاهرة، ويتابع العمر رحلته القصيرة:.. إنّنا نشيخ ولا نكبر... عارف يكبر ولا يشيخ.

واليوم، أُطلُّ على عارف الذي كنت أسأله: من أنت؟ وكان يُجيب: أنا عارف.

اليوم، أسألُه: من أنت؟ يُجيب: شو أنا عارف؟ ولا نحن عارفون، ولا أحد...

وشكراً.

# أنطوان رشدان (٢)

في احتفال تكريمي، بعد صدوره كتابه «جونيه العطر»
في قاعة المجلس البلدي - جونيه في ٢٠٠٣/٢/٦

أيها الأصدقاء

تلملمُ بقايا جسدك المتعب، تأتي إلى حبيبتك، تنتزعُ نفسك من قاع الشقاء والحزن والجراح، تترك وراءك القلقَ وأجراسَ الموت ودمَ الأطفال، تغمض عينيك عن هستيريا مجنونة تعصف بالعالم، تصل إليها، هي المرأة، المرأة بألف لام مكبّرة، المرأة التي لا قبلها ولا بعدها، المرأة التي تغسل قدميها بأمواج البحر، وتنبسط على امتداد هذا الأزرق الساحر، ثم تتوارى تحت غلالة من السحر الأخضر، وبين ما يُرى وما لا يُرى، تعلي جبينها بكبرياء حتى عذراء حريصا، ترخي على عينيها بعض النعس الغنوج، تهمّ هي بضمّ شفتيها، تميل إليك بعنق كأنّه حرف نداء، تلوي خصرها بدلال حتى لكأنّ يداً تتسلّل إلى ذلك الخصر، فترتعش على خجل، وتغريك بامتناع وصدّ، ترتمي أنت فوق صدرها النابض بالحبّ والحنان، ولا خطيئة، ويحتلّك جسدها الدافئ فتقرأ وجهَ أمك وعيني حبيبتك، وضحكة ابنتك الصغيرة، وتهتف بها مع الشاعر:

فرشتُ فوق ثَراك الطاهر الهدبا ... جونيه، تعالي، لماذا نبدأ العتبا

حبيبتي أنتِ فاستلقي كأغنية ... على ذراعي ولا تستوضحي السببا

أنتِ النساء جميعاً، ما من امرأة ... أحببت بعدك إلاّ خلتُها خشبا.

هذه هي جونيه... أما العطر، فصناعة محليّة كُتب عليها: صنع في لبنان، انتاج أنطوان رشدان، ويا عطّار، هاتها قواريرَ العطر، من بنفسج صربا وياسمين غادير وورود حارة صخر وحبقات ساحل علما، ولا تنسَ وأنت تمرّ قرب الشير وعلى كتف الباطية أو على جنبات ضهر صربا أن تجمعَ بعضَ الوزّال وزهرات اللوز الربيعية، وعرّج، على مسؤوليتي، على المعاملتين، فإن استفاق فيك راهب قديم، نادِني إليها، أجمع منها شذا الصنوبر العتيق، وبعدّها، إلى بخور مريم، على تلال بكركي، واغفرْ لنا ذنوبَنا وخطايانا

فشــــرُّ هـــــذا بـــــخـــيـــــر نا    وإذا الـــــلّـــه قـــد عـــفـــا.

عطرُكَ يا أخي أنطوان ليس مستورداً ولا مستنسخاً، هو صناعةُ موهبتك الغنيّة بالأصالة والطيبة والإبداع. رشَّ عطرَك، كلماتٍ على هذه الأرض، ودعنا، نحن المدمنين، مدمني الشمّ والضمّ، نسكر، ولا نغيب. بك ومعك، نتنشّق عطرَ البشر والطبيعة والجمال، للأرض عطر، للرجال، للمقابر، للصبايا، للقدّيسين، للشهداء، للكنائس، للأمهات، وما أطيب عطرهن، وللأطفال.

هاتِ عطرك، يا أنطوان، ودعنا نغيب عن رائحة كريهة ينشرها أهل الحرب وأهل النفاق وأهل الفساد والإفساد، لقد أزكمتنا روائحهم: صفقات، فضائح، سجون للأبرياء، تحكّم بالناس واستبداد، تخلّف وتعهّر. وسؤال كبير: من هي المومس؟ من تبيع، لدقائق، مساحة من جسدها لا تتعدّى سنتيمترات لتأكل رغيفاً وتطعم أطفالها؟ أم من يبيع وطناً، بأهله والأرض والكرامة والحريّة، ليكدّس المليارات وليضخّم الأرصدة ويجوّع أبناءَ وطنه؟

عفوك، أنطوان، هاتِ عطرك قصائد نرشها على صبايانا، فتتقدّس الأجساد، وعلى مطارحنا فتتطهّر الأرض، وعلى أخوة لنا ورجال، فنغتسل

من خطايا وذنوب، ويا مار جرجس، يا رمز صربا، أرى الحيتان تقترب، أصلّي إليك، إشهر سيفك.

أما نحن، فبالفن نقاوم، رصاص قلمنا أصدق بكثير من رصاص مدافعهم والبنادق. يمكنهم أن يعتقلوا انساناً، ولكنهم عاجزون عن اعتقال حلم أو قصيدة. نحن وإيّاك، يا أنطون، لسنا من أحزاب السلطة أو المعارضة. نحن من حزب الياسمين والشفاه وفيروز. وبين ابن رشد، واحد في الأندلس، وبين ابن رشدان اثنين، في لبنان، تبقى الكلمة هي الجامع المشترك، وهي الأجمل والأنقى.

ويا أيها الأصدقاء

ساعة نخرج، من هنا، ان لمحتم رجلاً ينسحب بهدوء، يلملم بقايا جسده المتعب، يحمل قلماً وورقة، يتّجه ناحية صربا، يمرّ على كنيسة مار جرجس والباطية، يصلّي بخشوع وانسحاق، لا تزعجوه بسؤال، ولا تكسروا صمته والسكون. إنه أنطوان رشدان، ينظم قصيدة جديدة من وحي هذه الليلة، ولعلّه يصلّي من أجلنا، من أجل الأطفال في العراق وفي فلسطين، من أجل جونيه ومن أجل لبنان.

وشكراً لكم.

# الأباتي بطرس فهد

في احياء ذكراه في جامعة سيّدة اللويزة، في ٢٠٠٣/٤/٦

أيها الأصدقاء

... ونحن نشارك في القدّاس، خلتُه، في عليائه، يشاركُ معنا ويصلّي.

الأباتي فهد، إن حكى، اليوم، تراه ماذا يقول؟

تعالوا، نستحضرْ معاً، كلماتِه، ونستمعْ إلى فصلٍ من رسالة الأباتي فهد إلى أهل الأرض، وباركْ يا سيّد:

يا أحبّائي

من عالمي الجديد، أتوجّه إليكم، بوصايا سبع:

**الأولى:** سقط الزمان. لا أربعون يوماً، ولا أسابيع، لا شتاء، ولا ربيع، امّحت حدود الوقت، منذ انتقلت عنكم، وأنا بينكم. وصيّتي إليكم أن تنتصروا على محدودية الزمان.

**الثانية:** سقطت الجغرافيا... لا حدود لبلدة، لوطن، لمنطقة، زالت الحدود، امّحت الأعراق والقوميات والألوان، بقي الانسان. أحبّوه، ولا تميّزوا، انه ابنُ اللّه.

**الثالثة:** القلم الذي تركتُه على الأرض، هو قلمُ كلٍّ واحد منكم، اكتبوا به الحق والحقيقة... حطّموه إنْ تبشّعَ أو انحرف أو سقط تحت شهوة ومال. احفظوا له البراءة والصدق، وليكنِ السيفَ في خدمة اللّه والانسان.

**الرابعة:** البلدة التي انحدرتُ منها، وحملتُ في جسدي بعضَ صلابة سنديانها والصخور، احفظوا لتربتها، لعشقوت، الكرامةَ والحبّ، ولا تفرّقوا، عائلة عن عائلة، وبيتاً عن بيت، وأخاً عن أخ... كلهم، هنا، أبناء اللّه، ولا علامات فارقة أو ملامح معاكسة... وما جمعه اللّه في بلدة واحدة، لا تفرّقه شهوة أو منصب أو عصبية زائفة.

**الخامسة:** الرهبانية التي إليها أنتمي، والتي انسكبتُ فيها، جسداً وروحاً، وانسكبتْ بي قَدَراً وتراثاً وخدمة، هي الأم الأحنّ والأوفى والأكرم في عالم الفساد والعنف والأنانية.
احفظوا، يا أحبائي، أصالةَ الاسم ولا دنس: فهي مارونية، ومن مارون استمدّت النسك والفقر والحرية، وهي مريمية، ومن مريم استمدّت العفّة والطهارة والتضحية. أمناءَ عليها كونوا وأوفياء.

**السادسة:** الجامعة التي دعانا اللّه، منذ خمس وعشرين سنة، سنة ١٩٧٨، إلى احتضانها حلماً وردياً وطفلة تحبو، تحوّلت إلى حقيقة، نَمَتْ وكبرت وترسّخت، ثقافة وقيماً وحضوراً وطنياً، وهي اليوم، الأبقى والأنقى والأرقى. وصيّتي لكم، تابعوا الطريق، نوّروها بشموع الإبداع، زيّنوها بياسمين الطهارة وتواضع اللويزيات الطيّبات، وبركة الزيتون والنعناع، لا تبخلوا بحبّ عليها، فهي تستحقّ.

**السابعة:** أخصّ بها التراب، ومنه وإليه نعود. هذا التراب في أرض لبنان المباركة، لا ليُهمَلَ ولا ليُهجرَ، ولا ليؤجّر. منذ ١٦٠٠ سنة، ارتبط اسمنا، كأبناء مارون، بهذه الأرض، ولا بديلَ عنها، لا عن ايمانٍ فحسب، بل عن انتماء انطاكي مشرقي يجمع بين اللّه والتراب والانسان. بهذا الانفتاح الحرّ ننظر إلى من حولنا، إلى العراق وفلسطين، ولا نخاف. لا تخافوا، صلّوا معي، من أجل الانسان والتراب. والبركة معكم والمحبّة.

وابتسم الأباتي فهد، وتوارى... بعيداً في عالم المستحيل.

يا أيها الراحل العزيز والكبير

الرسالة وصلتَ... باسم هذه الجامعة، باسم رئيسها الأب بطرس طربيه، باسم أسرتها، أساتذة وموظّفين وطلاّباً، باسم الأمناء عليها والأصدقاء، أقول لك: شكراً، سنحافظ على الوديعة والذخيرة والجامعة. ومعك سنصلّي، لكل الذين ساهموا في تحقيق حلم هذه المؤسسة، وأخصّ بالصلاة الكبير الغائب بيار أبو خاطر*، وسيبقى مبنى "Fahed Hall" أيقونةً نقفُ أمامَها، لنصلّي:

طوبى لصانعي السلام، لأنّهم أبناءَ اللّه يُدعون.

---

* هو أحد كبار المساهمين في بناء بعض صروح جامعة سيّدة اللويزة.

# جوزف نجيم

في احياء ذكرى جوزف نجيم،
جامعة سيّدة اللويزة في ٢٠٠٣/٤/٨

أيها الأصدقاء

... وتبقى المرأة هي المشكلة وهي الحلّ... وتبقى هي السرّ وليس الشرّ، وأسرّ ما فيها أنه لا بدّ منها.

في زمن المذابح والقهر والدمع، تبقى المرأةُ هي الشعاع الوحيد، يخترق الظلمة، يبلسم الجرح، يمحو، بنظرة وقبلة، عالمَ البشاعة والحقد والجنون الأعمى.

في زمن الحرب، نستعيد من الذاكرة، ومن وحشية الزمن، ومن شراسة النسيان، نستعيدُ جوزف نجيم، ومعه، المرأة، ننتزعُها، بجسدها العاري، من «التخت»، ومن «القصيدة الملعونة»، ومن عصبة «بناتٍ» هنّ لكلّ الفصول ولكلّ الأوجاع ولكل الانكسارات الحزينة.

اليوم، نستعيد جوزف نجيم، فشكراً لجمعيّة أهل الفكر، بشخص رئيسها د. منصور عيد، وألف مرحبا بكم، باسم جامعة سيّدة اللويزة ورئيسها الأب بطرس طربيه، ولن أطيل، بل أكتفي بلمحتين:

الأولى: انني قضيت فترة بصحبة جوزف نجيم، كان يكبرني، ولكننا تزاملنا في الإشراف على امتحانات الأدب العربي سنة ١٩٨٠ برعاية كبيرنا الراحل جوزف الهاشم.

ألمحه اليوم، بتلك الأناقة النبيلة، وبتلك القامة الممتلئة الواثقة، وبتلك الابتسامة التي إن سكنتْ فرحاً، فإنّما لترتعشَ من السخرية والغضب.

ويستوقفني بجوزف نجيم تمرّدَ على تقاليد، ونعسٌ يتّخذُ أحياناً شكلَ الكسل اللذيذ، وتطلّعَ إلى الجمال. أما الكأس، والليل المقصوف بالخوف والقلق، فرفيقُ سمر، وشحنةُ إبداع، ويا طيبَه تُستكمل سكرتُه بسكرةِ عينين أو طيب شفتين.

هذه هي اللمحة الأولى، فشكراً يا جوزف، وإن لم يعرف أصدقاؤنا، الليلة، لماذا أشكرُك، فأنت أعلم.

أما اللمحة الثانية: فهي جوابٌ على كلام ختمَ به جوزف نجيم قصيدته الأولى في «تخت»، وجاء فيه:

يا حلوتي حسبي غنىً أنّني فقدتُ دنياي، وأنتِ البدل.

أيها الأصدقاء

يوم أُعلن عن هذه الندوة، تهيّأ لي أنّ رسالةً وصلتني من تلك المرأة - البدل، تلك المرأة التي لا عنوان لها، ولا اسم، والكتاب مُرسلٌ إلى جوزف، أتلو منه المقاطع الأولى:

حبيبي جوزف

بعد عشرين سنة، أعود إليك، لأتلو فعلَ الندامة، فاغفرْ لي...

بعد عشرين سنة، أعترفُ أمامك، أنني قدّمت لك التفاحة، لا لغوايةٍ، بل للذّة، ولم أعرف أن تلك التفاحة، كانت في زاوية منها مسمومة.

بعد عشرين سنة، أشكرُكَ لأنّك عريّتني، لا من الثياب فحسب، بل من عِقدي الكثيرة، ومن سخافاتِ مَنْ جعل جسدي مقبرةً لي.

بعد عشرين سنة، أحيّيك، بالحب، لا باللعنة، بالقُبَل، لا بالشتائم، وبشَعري الأسود، يغتسل بندى جنونِ أصابعك، ويستريح.

أما بعد

قل لي، يا جوزف، هل أخطأتُ عندما أبحتُ لك جسدي؟ ومن هو أشرف، هذا الجسد، أم رؤوسُ قادة لا يعيش فيها إلاّ الإجرام والنفاق والجوع الى الدم؟ ومن هي المومس؟ التي تحيا على بقايا جسدها، أم الذين يبيعون حرياتِ الشعوب، وأوطانَ الأطفال، وكراماتِ الأمهات الثكالى؟

وسكتت شهرزاد...

لن أتابع الرسالة التي وصلتني.

أكتفي بالقول: مغفورةٌ لكِ خطاياك، أيتها الحلوة، من كان منكم، بلا خطيئة فليرجمها بحجر...

أما أولئك الذين يقتلون الناس بالقنابل والعنقوديات والكيماويات، فلا تغفر لهم، يا رب، فهم يدرون ماذا يفعلون.

أما أنت، يا جوزف، أيها الطفل الشقيّ، يا ابن قانا العروس والضحيّة، أيها المهجّر من هذه الأرض، صبيحةَ الميلاد، ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟ وأضيف: وخسرَ حبيبته؟ ينفعه أنه ربح البدل، الشعرَ والخلود، وأنت تستحقّ. ومرحباً بك، كاسَك وكاسَ كلِ الحبيبات. وشكراً.

# شارل حرب

في وفاة المحامي شارل حرب، في ٢٠٠٣/٥/١٤

كما تنتهي الصلاة، برسم إشارة الصليب، انتهت حكايةُ حياتِه، على صليب المرض والألم.

بصمت، بهدوء، بنعاس مُتعَب، بنعمةِ الاستسلام إلى مشيئة اللّه، أغمضَ شارل عينيه، خبّأ بقايا جسدِه، وغفا...

هوتْ أرزة من لحم ودم، وكما تنكسر شجرةُ تفّاح، في جرود تنّورين، تحت قصف العاصفة، انكسرت قامتُه، فصرخ قائلاً: لتكن مشيئتُك يا ربّ...

لم يودِّعْ، لم يرتعشْ خوفاً، لم ييأسْ، بل ابتسمَ، بوداعة البسطاء الطيّبين، ومشى...

حمل طفولتَه البريئة، نظرَ إلى أبنائه الثلاثة وإلى الزوجة الحزينة، استوطنتْ صورُهم عينيه، وطار...

حمل شمخةَ الرأس وأصالةَ القرية وأنينَ الجراح، وانسحب إلى المستحيل.

هذا المقصوف العمر، هذا الشقيّ الرقيق، هذا النقيّ الناعس، كالقمر، في صفوة الليل، هذا الذي لم يوجعنا مرّة، في حياته، كم كان قاسياً وظالماً، في رحيله والموت.

شارل حرب، الشيخ الشاب، المحامي، الأب، الزوج، الأخ، الصديق، رجل القانون والرصانة والانفتاح، سقط في ربيع العمر، فاحتضنه نوّار، شهرُ الورود والعذراء، فكأنهما معاً على موعد، ولن يبقى سوى العطر.

يا صديقي شارل

أيها الظالم حتّى البكاء والانحناء،

اذا كانت الدموعُ لا تليقُ بك، فهي تليقُ بنا، نحن الحزانى الضعفاء.

موحِش زمانٌ بدونك، وصحراءٌ هو المكان.

واذا كان الأمواتُ يحيون على قدرِ الحبّ، فأنت إلى البقاء والخلود.

ومع أخينا بطرس*، ينكسرُ لنا، اليومَ، جناحٌ، ويسقط حلم، ويرتعش القلبُ حناناً وحنيناً.

صلِّ لأجلنا، يا شارل،

نحن اليوم، أكثر ما نكون بحاجة اليك،

ويا أبا طلال

كلمة أخيرة: اللّه معك.

---

* النائب الشيخ بطرس حرب.

# كرم ملحم كرم

**في مئوية كرم ملحم كرم**

**في جامعة سيّدة اللويزة - دير القمر، في ٢٠٠٣/٥/٢٣**

أيها الأصدقاء

أكاد أضيعُ وأنا أقول: الغائب الأكبر، اليوم، أم الحاضر الأكبر، هو كرم ملحم كرم؟

وأكاد أسألكم: أيُّ سرّ في هؤلاء الكبار الذين، وان غيّبهم الموت، شباباً، يبقون، فكأنّ قلمَهم أقوى من وحشية الزمن، واسمَهم أقوى من تحدّيات النسيان؟

وأكاد أتساءل: كرم ملحم كرم: خمسون فوق التراب وخمسون، أو أقلّ بقليل، تحت التراب، ويتغلّب الترابُ النائم على التراب المتحرّك، وطوبى لمن أُعطي وزناتُ الابداع ومعجزاتُ الفنِ والقلم.

مع كرم، نلتقي كَرْماً، ونحتار في العناقيد وفي الخمر، وتذوّقَ، أيها الباحث عن نكهة وعطر ولذّة.

مع كرم، انتهت أسطورةُ «السيف أصدق إنباءً من الكتب»، وارتفع القلم، ليؤكّد، أن رصاصةَ القلم أعنفُ وأصدق وأفعل من رصاص في مسدّس أو بندقية.

مع كرم، نلتقي لبنان: انه، هنا، هذا هو، وليس ذاك الذي يتناحر فيه المتناحرون وينتحرون، ويتقاسمه ذوو الحصص، ويشوّهه أهلُ الفساد

والأصولية الغبيّة والطائفية الزائفة. لبنانُنا، هو أنتم، النخبة، التي، لولاها، لا لبنان ولا لبنانيون.

أقول ذلك، لأذكّر، بمحبّة وصدق: لا نزال ننتظر تحقيق خطابَ القسم، ولو بشقّه الوطني الانساني، حيث القيمُ تسود، وحيث الحقُ يعلو، وحيث أهل الابداع، لا أهل الاتباع، أهل المواهب، لا أهل المناصب، يقفون، حيث يجب أن يقفوا، في الحكم وفي الادارة وفي المجتمع.

أيها الأصدقاء

كرم ملحم كرم جامعُنا في هذه الجامعة. وما جمعه اللّه لا تفرّقه أهواء وعصبيات. وأهلاً وسهلاً.

# أنور يونس (٢)

**في وفاة الصحافي والمعلّم أنور يونس في بروكسيل**

**واحياء ذكراه في لبنان، في ٢٠٠٣/٨/٢٤**

خمسون سنة من التمزّق والقلق:

بدأها في تنّورين، حيث وُلدَ، في منزل متميّز بالعلم والمعرفة.

منذ طفولته، قرب الكنيسة العتيقة، كان هذا الصبي يعيش الإيمانَ المسيحي، براءة وطيبة ونزعةً انسانية.

نما، وكبر، انتمى إلى الجامعة، كان نموذجَ البراءة الانسانية، لا خبث، لا كذب، لا نفاق، بل صراحة وعفوية، وكان الكتابُ رفيقه الأوّل، وكان الحوارُ سبيله إلى الناس، واستمرّ، كما نعرفه، نموذجاً للنظرة الانسانية إلى الآخر، فلا يميّز ولا يفرّق.

في الخامسة والعشرين، كانت الحرب المجنونة التي أوجعته كثيراً، فإذا به يُقدمُ على خطوتين: الزواج عن حبّ، لعلّه يجد بعضَ الراحة. السفر إلى الخارج، لاستكمال العلم، وللتخلّص من شبح الحرب والموت.

خمس وعشرون سنة في الخارج، كبُرَ فيه القلق، واشتعلت أكثر جذوةُ الضياع. وبين لبنان وأوروبا، كان التمزّق الكبير: قلبه في لبنان، في تنوّرين، بين أهله ورفاقه، وعقله في أوروبا حيث الحضارة والعلم والعمل.

النتيجة: أنور شهيد، انه شهيد الغربة والحنين. مَن شاهده من أصدقائه وأقاربه (أنا شاهدته شخصياً) قبل أسابيع من الرحيل، قرأ في عينيه حبّاً العودة إلى لبنان، وحبّ التغيير، ورجاءَ بناء وطن المحبّة والسلام.

ولكنّ أزمةَ الصراع بين القلب والعقل استبدّت أكثر، فإذا به يسقط في ديار الغربة، تاركاً الزوجة والولدين، وقلبه إلى شقيقته الوحيدة في تنّورين.

أنور نموذج الشاب اللبناني المغامر، الجريء، المثقّف، القادر على تحطيم جميع الأقفاص والجدران، والخروج إلى الحريّة... ولكن الحريّة تغتال أحياناً من يلحق بها ويتعبّد لها.

هذه الحريّة استخدمها في الصحافة وفي الإعلام، فكان له المستقبل اللامع والكلمة القاطعة والرأي السديد، ولكنّه دفع ثمنها قلقاً في الأعصاب وتوتّراً في القلب.

جميلة هي الحريّة، ولكنّها غالية الثمن،

جميلة هي المغامرة، ولكنها رحلة في المجهول. أيّ مجهول؟

أنور،

اللّه معك.

# مفيدة عابد

في حفل تكريمها، بعقلين في ٢٠٠٣/١١/٧

أيها الأصدقاء

الحديث طويل، تعالوا نتفاهم على اختصار الكلام، أبدأ بثلاثة مواقف وثلاثة اعترافات:

**المواقف:**

١- أنا في بعقلين، فاعذروا ارتعاشَ أصابعي والشفتين، فأنا عاشقٌ مزمن لهذه الأرض، وقَدَرُ العشّاق دائماً أن يصلوا متأخّرين على الموعد.

٢- أنا في المكتبة الوطنية، فاعذروا صمتي، فأنا عاشقٌ للكتاب، فكيف اذا كان الكتاب صعباً، وكلُّ صعبٍ جميلٌ مُتعِب، كذلك هي المرأة الصعبة، اللهمَّ أعطِنا من هذا الصعب الجميل.

٣- أنا في رعاية كريمة، اللهمّ أعطِ هذا الرجل أن يبقى صوتُه، ويرتفع في وجهِ اللصوص وخبراءِ السرقة وأصحاب الجوع العتيق، قويّاً كما النار والنور.

أما **الاعترافات** فثلاثة، أعترف بها أمامكم، ومن كان منكم بلا خطيئة، فليرجمني بحجر:

١- أنا منحاز إلى المرأة، أيّة امرأة، المرأة بألف لام مكبّرة، فكيف اذا كانت المرأة أمّاً ومعلّمة وعاملة وكاتبة وصديقة... ليعذرني الرجال، ففضاء الأنوثة يُغريني، وأنا ضعيف.

٢- أنا منحاز مع الجغرافية ضدّ التاريخ، التاريخُ يُفزعني، يُرعبني، رغم أنني اختصاصي بهذا العلم. لماذا؟ أخافُ العيشَ بين القبور والجثث والقتلى، التاريخ مزعج متعِب ومثقَلٌ بالأحقاد والثأر والهموم. سجنُ التاريخ أظلم السجون. ليتنا نحطّم الجدران ونخرج، ولكن ما أصعب الخروج من سجونٍ لا جدران لها.

٣- أنا منحاز إلى الكلمة الحلوة ضدّ النقد. النقد يحوّلني إلى أعصابٍ مشدودة متوتّرة. أنا لست بناقد، ولا أرغب، وموقفنا، الليلة، تكريمي لا نقدي، فاعذروني.

أمّا بعد، أيها الأصدقاء

أؤكّد لكم، أنّني لن أتحدّث عن د. مفيدة، بل أتحدّث إليها.

الحديثُ عنها، حديثٌ عن الماضي، الحديث إليها، حديثٌ عن المستقبل،

الحديث عنها، ذكريات، وموجعة هي الذكريات،

الحديث اليها، حلم، ورائعة هي الأحلام،

الحديث عنها تاريخ، الحديث اليها، وجدان ومحبّة،

فاسمحوا لي:

سيّدتي مفيدة

... وماذا بعد؟

أنتِ، اليوم، في مواجهة الغد: عمر من العطاء، تربية ومدارس، ثقافة وتاريخ، زواج، أولاد، أحفاد، أصدقاء، وظيفة، جمعيات وهيئات... ثمّ؟ ماذا؟ تقاعد؟ لا، بل تعاقد مع الحياة والأمل والشباب، وكتب جديدة، وتطلّع إلى المستقبل، بعين لبنانية صافية، وبروح وثّابة نحو التغيير والتقدّم. المستقبل، يا

سيّدتي، هو صناعةُ أناس مثلك، ينسجون الغدَ بآمالِ الأمومة ونشاط العمّال وثقافة الكتّاب ورسالة المعلّمين.

تعبْنا من الجهلاء الأغبياء يرسمون لنا طريقَ الغد بالخطب الغوغائية، بالسواطير، بالنهب واللصوصية، بالفساد والإفساد وسمّ الطائفية والتعصّب الأصوليّ الغاشم، وتناتش الحصص في موازنة من هنا أو من هناك، ثمّ يقفون أمامنا بدموع التماسيح، ويطلّ عليهم صوت سعيد تقي الدين يقول: ما أفصح «القحباء» وهي تحاضر عن العفاف.

نعم، يا سيّدتي المفيدة، العابدة للّه، واللّه وحده، بحكمة من اختمرَ في هذه الحياة، بصبر من تربّى وربّى على الآدمية والأخلاق، بعَرَقٍ انسكب، لتكون لنا لقمةُ الخبز شريفةً كدمعة عذراء، بقلمٍ ما كتب، إلاّ دفاعاً عن الحقّ والحقيقة، بهذه الصفات، وهي صفاتك، ولا أغالي، نبني معاً، بيتاً لأولادنا، نحصّنه بمحبّة الجار، لا بكراهية الثأر، نتوّجه بزهر الغار، لا بأشواك العار، نعمّره بالصدق، بالايمان، وبالحرية.

نعم، يا سيّدتي، نرى دخاناً وضباباً يزحف إلى المنطقة، علّمينا، مع أجدادنا التنّوخيين، كيف تكون الوحدةُ طريقاً إلى إحباط كلِّ محاولات الإذلال والاقتتال.

ويا سيّدتي، علمينا أنّ اللّه ليس بحاجة إلى من يدافع عنه، بل هو بحاجة إلى من يضيء الطريق إليه، وضوءُ العقل أرقى الأضواء وأثبتُها مقاماً.

وعلّمينا أن القيادة والمسؤولية والحكم، كما عند الأبطال التاريخيين من التنّوخيين، هي من حق الأعرف والأشرف والأجرأ، وليست لجماعة القنابل الصوتية، وللذين يغطّون فشلَهم، بالاستزلام لهذا أو ذاك، أو بتلزيم الوطن لهذا أو ذاك.

ويا أيّتها المعلّمة

علّمينا أنّ:

ملأى السنابل تنحني بتواضع والفارغاتُ رؤوسهنّ شوامخ.

فيا أيّتها السنبلة الممتلئة، شكراً لتواضعك...

ومنّي، ومن السبعة، الغائبين والحاضرين، قبلةً ليديك.

# حسّان آصف ناصر

بمناسبة صدور كتاب الدكتورة مها خير بك ناصر،
حول ابنها الذي رحل شاباً، في طرابلس ٢٠٠٣/١٢/٢٢

ربّما كان ذلك في الحلم، لست أدري... كأنّ آصف، بصمته وحريقه الوجداني، يشتعل فيّ... أربعون سنة من رفقة جامعة وطريق وعمر، كلها تضجّ... وفجأة، يلمع وجهُ مهى، تنبضُ الكلمات، يرتعش الحلم، تصلُني هذه الرسالة:

أمّي الحبيبة.

ها أنا أعود... رحلتُ عنك ولم أرحلْ منكِ. كنتُ نائماً، نسيتُ نفسي وغفوت، خمسُ سنوات كأنّها دمعة أو زهرة ياسمين أو صلاة.

كنت ألعب، أطير، أفرح، وجوهُهم لا تزال في البال: رفاقي في الصف، في المدرسة، المعلّمات، الأصدقاء والأنسباء، ووسعَ الدنيا كان الحلم. وفجأة وقع الانكسار: وجع، قلق، دمعة، انطواء، ومناديل، وقناديلِ من الشعر، وشموع، وكلمات تدقّ... تدقّ الباب، تدق المستحيل، تدقّ الصمت والليل...

وأسمع صوتَكِ... كأنّها الجمعةُ العظيمة، هل تذكرين الجمعة العظيمة؟ هل تذكرين صوت مريم تصرخ: أنا الأم الحزينة؟

وأسمع صوتك: أنا الأم الحزينة، وأراك مبلّلة بالحنان والحنين، وتقفين، لا ينحني لك ايمان، ولا يفجّرك اليأس شظايا وبقايا، وأحبّكِ أكثر، أعشقُكِ، أشدّ على عنقك، أرتمي على الصدر، أيّة أمّ أنتِ؟ حملتِني ثمرةَ حبّ،

هدهدتني طفلاً، غنّجتني مدبدباً في الدار، دلّلتني، سهرت عليّ... ثم بين اخوتي، وفي المدرسة. وما زلتِ... ما زلت تحملينني ثمرة حبّ، وما زال «حسّان» نغماً، وقصيدة وبطلاً، وما زال الوجه، بتقاسيمه والملامح، يبدو هو، هو.

كبرتُ... ثمانية عشر عاماً، وما زلت «حسّاناً»... وأحسن. مباركة أنت، يا أمّي، بين النساء، ومبارك وليدُك الجديد، حسّان الجديد، حسّان النغم.

ها هو اليوم يعود، يعود إليكم جميعاً، بالبسمة والنغمة والفرحة. إيّاكم أن تحزنوا أو تبكوا.

أراكم واحداً واحداً. أبي، أمّي، أخويّ وأختي... الأقارب والرفاق والمعلمين، زملائي المشاغبين في الصف، والفتيات الحلوات البريئات... وتقفز صورة الطبيب والممرضة والمستشفى... وأشعر كأنّني في مهرجان... وزّعوا الحلوى، قدّموا الزهور، إفرحوا بي.

ويا أمّي

أزهرتِ الجراح،

استضاء العمرُ بجمر الغياب،

أمطرت غيمةُ القهر

أرجوكِ، لا تقولي: كان

يوجعني الفعل الماضي

أنا، ورفاقي، المستقبل الآتي.

خاطبيهم في المدرسة، في الجامعة، في الطريق، في هذه القاعة

ازرعي فيهم أملَ الحياة وفرحَ الغدِ المشرق،

فلبنانهم لهم، وسيبنونه على قدر الحلم وفضاء الحريّة

وعلّميهم أنّ اللّه ليس بحاجة إلى من يدافع عنه، بل بحاجة إلى من يضيء الطريق إليه،

درّسيهم، وأنا خبير بالطيران، أن قَدَرَ العصافير أن تتشاجر مع الأقفاص، وكم من قفص لا مرئي في هذا الوطن.

ولا تنسي أن تقولي لهم، وأنا خبير بتحوّلات الثرى، أنّ طعم هذه الأرض ورائحة هذا التراب أشهى من كل ذَهَبِ العالم.

وبعد دقائق، عندما تخرجين، يا ماما من هذه القاعة، لن أكون بعيداً، ستكون يدي بيد صبيّة حلوة... صوتها جميل، وهي تغنّي:

تعا تَ نتخبّى     من درب الأعمار

وإذا هني كبرو     ونحنا بقينا زغار

وسألونا وين كنتو     وليش ما كبرتو إنتو؟

منقلّون نسينا

واللي نادى الناس     تا يكبروا الناس

راح... ونسي يناديـنا

ويا ماما

أنا أحبّكِ، دعيني أقبّل يديك.

ويا آصف، رضاك.

# بولس سلامة

في احياء ذكرى بولس سلامة

في جامعة سيّدة اللويزة في ٢٠٠٤/١/١٤

مئة سنة وسنة هو العمر الذي مضى على ولادته.

ثلاثةُ أرباعها جسدٌ يتلوّى، يتمزّق، يتوجّع، على مدى التراب اللبناني، بين بلدة وعاصمة ومدينة، أما الربع الأخير فجسد يستريح في مقبرة هادئة منزوية في بتدين اللقش.

ما تحدّثنا عنه مرّة، أو ذكرناه، إلاّ وكأنّه أسطورة في الألم، وجرحٌ مفتوح على كلّ آهة وسكين.

درسناه أطفالاً، فإذا به يعلّمنا الشجاعة والصبر:

داءٌ تـخـلّـل فـي الـعـظـام فـرنُّهـا | فِـلَـذاً وأشـلاءً عـلـى أشـلاء

سالتْ على حدّ المباضع مُهجتي | فشفارُهـا مصـبـوغـةٌ بـدمـائـي

تعرّفنا إليه فتياناً وطلاّباً، فإذا به يعلّمنا لبنان، وطنَ جمال وكرامة:

جـاورَ الأنـجـمَ واحـتـلّ الـسـحـابـا | جـبـلٌ مُـهّـد لـلـفـردوس بـابـا

أنـا لـو مُـتّـعـتُ فـيـه سـاعـةً | لشممتُ الصخرَ أو بستُ الترابا

رافقناه معلّمين شباباً، فإذا به يعلّمنا، وهو معلّم، كيف نبني وطن الانسان، لا وطن الطوائف والذئاب والفساد القاتل.

ويوم حمل عصاه وجراحه وقامته الشاهقة، ورحل، عن هذا الوجود، كان يرحل عن لبنان ١٩٧٩، لبنان المقطّع، لبنان المحتلّ، لبنان المريض الغريب الضائع.

اليوم، إذ نتذكّره، نذكر معه ثلاثة:

- نذكر معه الجنوب، وأهلَ الجنوب، وجزين وبتدين اللقش، والأرض التي تمثّل، بشعبها وتراثها، نموذجاً للبنان حرّ كريم.

- نذكر معه، ثانياً، أنّ القصيدة الطالعة من رحم الأصالة، هي ابنتنا الشرعية التي تحمل هويتنا ولون عيوننا وبراءة أطفالنا. وعيب، باسم حداثة مستوردة، أن نستنسخ الشعر أو أن نجنّس القصيدة. وشعر بولس سلامة هو نموذج لهذا الشعر الأصيل الحديث معاً.

- نذكر معه، ثالثاً، أنّ طريقَ بولس، هي نفسها طريقُ عليّ، وما جمعه اللّه لا يفرّقه إنسان، وأن بيت الدين ليس بيتاً لدين واحد، بل هو بيت لكلّ الأديان.

ليتنا أيها الأصدقاء، اليوم، ونحن نُحيي ذكرى بولس سلامة، نعلّم أولادنا، أنّ اللّه ليس بحاجة إلى من يدافع عنه، بقدر ما هو بحاجة إلى من يضيء الطريق إليه. وبورك بولس سلامة يضيء طريقَنا إلى القدس، وإلى ذلك الغدير، إلى تلك الرياض، يهدمُ جدراناً، يبني جسوراً، ويحقّق بالشعر، - ولم لا؟ - وطنَ الحرية والانسان.

وأهلاً بكم.

# الأب يوحنا قمير (٤)

بمناسبة منح سعيد عقل جائزته للأب يوحنا قمير
في جامعة سيّدة اللويزة في ٢٠٠٤/٢/١١

أيها الأصدقاء

جميل أن أتحدّثَ إليكم، وفخرٌ لي، ولكنّ الأجملَ هو أن ألتزمَ الصمت، بحضرة هذين الكبيرين، وأمتنعَ عن الكلام، وأكتفي، بالتأمّل؟

جرأة مني تصل إلى حدّ الوقاحة، أن أتناولَ الحديث، وكأنّي أتكابر، وأتساوى، بمن يتحدّث الليلة، وهما، ملكا الكلمة، ولهما تنحني احتراماً وتقديراً.

كل كلمة، ليست ملكة، هي، الليلة، كلمة جارية.

كل كلمة لا تتحوّل، هذه الساعة، إلى قدّاسٍ يمجّد اللّه، هي قول فارغ.

كل كلمة لا تحمل، الليلة، عقدَ ياسمين وكأسَ خمر وقبلةَ طفل، هي كلمة ناقصة.

كل كلمة لا تضيء الليلة وتشعّ منارةَ حبّ وعظمة، هي كلمة داشرة.

ومن أين لي كلمة - ملكة، أتوّج بها، هذين الرأسين الأبيضين، طهراً ونقاءً وجمالاً؟

أعيروني بعض الكلمات، يا أهل الأدب، لأقدمهما زرَّ ورد، لهذين الرجلين،

امنحوني بعض الصور، يا أهل الفن، ليليق بهما هذا التقديم،

هَبوني بعضَ الصوت، يا «سامعين» الصوت، لأحوّل الكلماتِ إلى أغنية ونشيد،

امحوا عن شفتيّ الخطايا، لتخرجَ الكلمات عذراءَ، ولا دنس،

من أين لي كلّ ذلك، وأنا الفقير إليه تعالى؟ وخبزي كفاف يومي، وكلماتي على قدّي وأقصر، أما هما؟

مع ذلك، أقولُها، لهذين المعلمين، معترفاً:

أنتما، إلى والديَّ، أكثرُ الناس تأثيراً بي، دراسةً وعلماً: علّمتموني الأدب والفن واللّه والوطن والجمال والمرأة والحبّ...

علّمتموني كيف أشقعُ الكلمات، كيف أنظم، كيف أسكر، كيف أتلاعب، وكيف أتسلّق الدرجات وصولاً إليكما.

فإن قصّرت اليوم، فهذه بضاعتكم رُدّت إليكم، وليتحمّل كلٌّ مسؤوليته، واغفروا لي ذنوبي وخطاياي.

تبقى كلمات أربع:

**الكلمة الأولى:** كدت أنسى، أنني أتحدّث باسم هذه الجامعة، جامعة سيّدة اللويزة، التي تتكرّم الليلة، بهاتين الظاهرتين اللبنانيتين، فباسم رئيسها الأب بطرس طربيه، وباسم أسرتها أقول: أهلاً بكم، نحن، الليلة، في عيد. شكراً للنقيب محمد بعلبكي، يتخلّى لنا اليوم، عن هذا الاستقبال وان كان يشاركُنا التكريم والتقدير.

**الكلمة الثانية:** لمدينتي تنّورين، الكتاب الأخير، الذي نشره الأب قمير؛ هذه التنّورين يصحّ فيها ما قاله سعيد عقل:

لي صخرةٌ عُلّقت في النجم أسكنُها    طارت بها الكتب قالت: تلكَ لبنانُ

أو ما قاله الشاعر:

فرشتُ فوق ثَراكِ الطاهر الهُدُبا فيا مدينةَ أهلي، أعطِني الأدبا
حبيبتي أنتِ، فاستلقي كأغنية على ذراعي، ولا تستوضحي السببا
أنتِ النساء جميعاً، ما من امرأة أحببتُ بعدَك إلاّ خلتُها خشبا

**الكلمة الثالثة:** هي لسعيد عقل، الانسان الكريم - لا أتحدّث عن الشاعر وعن العالِم وعن اللاهوتي وعن المتعبّد للبنان - ولكن أقف عند الرجل الكريم: جائزته اليوم تبلغ الرقم ١٧٥. يعني ١٧٥ مليون ل.ل. يدفعها شاعر خلال ثلاث سنوات أي بمعدّل ٣٠٠٠ دولار شهرياً. لتنحنِ حيتانُ المال خجلاً، أمامَ كَرَمِ هذا الشاعر الفقير.

**الكلمة الرابعة:** لمن هم في التسعين، وزد، وزد، وغداً مئة، وتبقى القيمة المضافة ١٠٪، ويا ربّ، أعطِهما، بعدُ، فنحن لا نزالُ بحاجة.

ويا أيها الأصدقاء

كان الأفضل، قلت في أوّل الكلام، أن أصمتَ، ولكنني أُغريتَ، فتحدّثتُ... مع ذلك، أدعوكم إلى الوقوف دقيقةَ فرحٍ واحترام لهذين العملاقين، والتصفيق لهما.

وأهلاً وسهلاً.

# جوزف خليفة

بمناسبة نشر .C.D خاص بهذا الفنّان الموسيقي
في ٢٠٠٤/٢/٢٥

ما شاهدتُه يوماً، إلاّ وتذكّرت قولَ الشاعر:

ملأى السنابل تنحني بتواضعٍ والفارغاتُ رؤوسُهنّ شوامخُ

جوزف خليفة، الرجل الوديع المتواضع، صاحب القلب الحلو، المرهف إلى حدّ الوجع والطهارة.

فنّان هو حتّى الشرايين، ومبدع حتّى لكأنّه وليدُ نفسه، وبريء كأنّه طفل.

الموسيقى بعضٌ من شخصيته، وهي، من خلال نبضاته، تتحوّل إلى حكاية حبّ وأنشودة صلاة.

من أجله كي يستمرّ معطاءً متوهّجاً ساطعاً، نصلّي،

وله نقول: جوزف، نحن نحبّك.

# جوزف حدّاد

في حفل تكريم أقامه نادي روتاري كسروان
في A.T.C.L في ٢٠٠٤/٣/٣

راقٍ، رقيقٌ، رهيفُ الحسِّ، يُختصرُ
بالعطرِ، قُبلهُ، نسيمُ الحبِّ أو زَهَرُ

صافٍ، كما الطفلُ، في عينيه بعضُ هوىً
وبعضُ دمعٍ، كأنَّ دمعَهُ الطُّهُرُ

وروتريٌّ، على نُبلٍ ومكرُمةٍ
خُلقٌ يضيءُ، كما نورٌ، ويستترُ

تواضعُ الأصدقاءِ، صدقُ مسلكِهِمْ
بَذْلٌ، ولا منّةٌ، يُعطي... ويعتذرُ

يا سيّدي، يا ابنَ أصلٍ طابَ منبتُهُ،
شكراً، فأنتَ هُدىً، في الليلِ يُنتظَرُ

«حدّانُ»، حدُّنْ لنا، خطٌّ رسالتِنا
نادٍ على كسروانَ أمْ عهدٌ لمنْ نُذِرُوا

للعلمِ، للحقِ، للإيمانِ، في وطنٍ
كالسيفِ يعلو، فيحني رأسَهُ القَدَرُ

رفاقُنا - والوفاءُ - يهمسونَ معاً:
نحبُّكَ... اليومَ، وليفرحْ بكَ العُمُرُ.

# حسّون لبنان

في حفل تقديم كتاب الحسّون الجديد: قصايد حب
في نادي الصحافة - بيروت في ٢٠٠٤/٤/٨

أيها الأصدقاء

- في مثل هذه الليلة، أخذ يسوع الخبز، وقال: خذوا كلوا هذا هو جسدي،

وأخذ الخمر وقال: خذوا اشربوا هذا هو دمي.

ونحن الليلة، نحيي هذه الذكرى، وقلبُ الحسون هو الذبيحة، ودمه هو الخمر والشعر، وهنيئاً لنا بوليمة الحَمَل.

- في مثل هذه الليلة، كان الغسل، تعالوا نغتسلْ، جسداً وروحاً، بندى الحبّ، وحده، هو الخلاص، في زمن الحقد والعنف والموت والتوحّش. الحبّ هو فضيلتُنا الوحيدة، هو شمسُنا، وبدونه، لا وجود إلاّ للرذيلة، اللهمَّ أعطِنا أن نحبّ، وأن نقرأ قصائد حبّ، وأن نحيا، مع الحسون، حكايةَ حبّ لا تنتهي.

- في مثل هذه الليلة، كان خميس الأسرار: وأجمل الأسرار مخبأة في جسد المرأة، ولا أتصوّر حبّاً كبيراً، إلاّ مقروناً بالمرأة وبجغرافية جسدها، ومحاطاً بالسرّ الذي نبحث دائماً للوصول إليه، ولكن لا وصول. فهل وصل الحسون، أم لا يزال يضرب على النافذة، وينقر، لعلّها تفتحُ له؟

- وغداً الجلجلة والصليب، وبعد غد القيامة... ونحن مع الحسّون، نتألّم ونُصلب، ونموت، وننهض، وتشتعل فينا شمسُ الحبّ، وتكون الحياة الجديدة الحلوة.

أيها الأصدقاء

هذا من حيث الذكرى، أما من حيث الواقع، اليوم، فقبلَ كل شيء، وقبل كل كلام، دعوا الحسّون يعترفْ ويندم.

لا يمكن أن نقول له: «مغفورة لك خطاياك» قبل أن يبوح بخطاياه، ويُعلنُ أمامَكم التوبة. خطاياه كثيرة، وأنا خبيرٌ به، يختفي وراء لقب حسّون، ولكنّه حيناً ينقضّ على المرأة، كالنسر، يعضّ، يفكّ العُرى والأزرار، يمرمغُ ريشه، حيث يشاء، ثم يرتدي ابتسامتَه الطفولية، ويلبسُ ثيابه، ويخرجُ كالطاووس، مزهوّاً بنفسه وبمغامرته.

أمّا خطيئته الثانية فهي إنه لا يعرف الوفاء: من امرأة إلى أخرى، من حبيبة إلى حبيبة، ومن سمراء إلى شقراء، ينطّ ويقفز، لا يريح ولا يستريح... ويمسرح دورَ الطفولة، وبراءةَ الأطفال في عينيه.

خطيئته الثالثة أنه يعتبر الحبّ فضيحة: تنانير ممزّقة، وشفاه مضرّجة، ونهود عاصفة، وأظافر وأحمر شفاه وعطر وشعر... وظُنّ خيراً ولا تسأل عن الخبر.

ثمّ، وهنا الخطيئة الكبرى، الحسّون متمرّد على اللغة العربية الفصحى، يكتب باللغة العامية، الدارجة، الساطعة بالواقع، المقطوفة من عنق صبيّة جبليّة، أو خدود طفل جردي، أو بساطة فلّاحة لبنانية، أو براءة إنسان، يحكي، ما يريد، وكما يريد. لماذا لا تكتب بلغة الشنفرى وأمرئ القيس وسيبويه؟ يجيبك: هكذا علمتني أمي، وهكذا يتحدّثون في الضيعة، وهذه هي لغتي التي لا أتقن غيرها.

لغتُه هي لغةُ الناس، فلا يتحدّث، مثل الذين كانوا يتحدّثون البارحة، وقبلها، على التلفزيون، لا يعرفُ أن يكذبَ وأن يتصنّع وأن يتكلّف وأن يدّعي العمل: من أجلنا، من أجل لبنان... من أجل المصلحة العامّة.

أيها الأصدقاء، مجرم كبير هذا الحسّون، مع ذلك، اغفروا له خطاياه، لا تلقوا القبض عليه، دعوه يخرج من هنا، وإن لمحتموه صامتاً حزيناً، خجولاً، يداري نفسه بنفسه، لا تزعجوه بكلمة أو سؤال... ربما هو يكتب قصيدة جديدة تحت عنوان: اللّه يفضحك متل ما فضحتني.

وشكراً لكم.

# راجي عشقوتي

في حفل تكريم أقيم في مبنى قُدامى الحكمة
في ٢٠٠٤/٤/١٥

أيها الأصدقاء

اسمحوا لي أن أخرجَ على موضوع هذا اللقاء، فإنا لم آتِ لأناقشَ مجموعةَ راجي عشقوتي الشعرية، بل جئت لأناقشَ راجي عشقوتي بالذات، وأُقيمَ معه فعلَ حوار وتواصل ومحاسبة واتّهام.

لن أتحدّث عنه، بل أتحدّث إليه،

الحديث عنه ماضٍ، الحديث إليه مستقبل،

الحديث عنه ذكريات، الحديث إليه أحلام،

الحديث عنه دراسة وبحث، الحديث إليه شعر وخيال.

فاعذروني، وسامحوني...

أخي راجي

ألم تتعبْ بعد يا رجل؟ ثلاثون - أربعون كتاباً، شعر ونثر، سفر وسيرة حياة، حديث في الشعر، وشعر حديث، كمال جنبلاط، الياس سركيس، التهجير، العودة، الشعر الفصيح، الشعر العاميّ، القرية، المدينة، اللّه، الكنيسة، البرازيل، ثمّ أوّلاً... وأخيراً، المرأة.

ألم تتعبْ... يا رجل؟

سبعون سنة، أربعون، خمسون، مع القلم، مع الكتاب، كلمات، كلمات، كلمات... ماذا انتفعت من القلم. ألم يكن أفضل لو حملتَ بندقية؟

أتعبتنا... ولم تتعب.

متعِب أنت، كضمير، يدق، يدق، يدق، لا يستأذن، يأتي في الليل، في النهار، على غير موعد، يجرح، يوجع، يرفع الصوت، يصرخ، ثم ينسحب إلى الظلّ، إلى العتمة، ويغفو، كأنّ شيئاً لم يكن.

مزعِجٌ أنت، مُقلق، ماذا تريد؟ لماذا إصرارُك على توتير الأعصاب؟ ودائماً، دائماً: دعوة إلى المحبّة والصدق والشرف... أوف، كم أنت قديم... ولست على «موضة» هذه الأيام؟

وتكتب الشعر، وشعرك راقٍ وراءٍ ورقيق... أنسيتَ أننا في زمن الهرطقات الشعرية اللامعنى لها؟ وتحكي في الريف والطبيعة والجرد والورد والحبق والنعناع... أنسيت أنّنا في زمن ا لخليوي والانترنت والكومبيوتر... والأجساد التي تغنّي؟

ألم تتعبْ يا رجل؟

ماذا تريد منّا؟ غفوتُنا لذيذة، كأنّنا في خَدَرٍ أو سَكَر،

وتأتي أنت، قلمُك في يدك، كالسيف حيناً، كالضوء، كالنار، ويضجّ، ونستفيق، ثم... نغفو.

مُتعِب أنت،

دائماً، دائماً: حديثٌ عن الحرية، عن وحدة الوطن، عن العيش المشترك، عن الدولة، عن القانون، عن...

... وبعد، ماذا تريد؟ ألم تمتْ، ألم ترَ من مات؟

أين أصبح رفاقُك والذين أحببتَهم وناجيتهم ورافقتَهم في السكينة والزهد والتأمّل، ووحيداً بقيت؟

أحدهم، لأنّه رفض أن يتخدّر ويصمت، كمال جنبلاط، انتهى شهيداً على الطريق،

ثانيهم، استمرَ وحيداً، ميخائيل نعيمة، في شخروبه، مع الليل والكلمة... وانتهى العمر،

ثالثهم، قتله التوتّرُ الصامت، الياس سركيس، فإذا هو، في عزلته وحزنه، يرفض إلى حدّ الانتحار.

أمّا الرابع، حفظه اللّه، الأب ميشال حايك، فلا يزال، في عزلته أيضاً، يناجي ربّه، ويناديك، كما في عظته الأخيرة منذ أيّام:

لماذا حُتّم على الحبّ أن يكون أبداً معذّباً مصاباً بالخيبة؟

وما خطيئتنا، نحن العشّاق، كي نُصلب دائماً ونتعذّب وننكسر؟

وتبقى أنت، ألم تتعبْ يا رجل؟

لماذا لا تترشّح إلى الانتخابات، والموسم موسمُ صور، وأحاديث، وتُصبح من الفعاليات، وتُستشار، وتُريح وتستريح؟

ولماذا تبقى المرأة هي الحُلم، وليست الزوجة؟ أهربتَ من جمالها الكاسر؟ نبيذ ورقص ونار؟ خشيْتَ أن تأكلَ التفاحة؟ وجسدُها تفاحةٌ تشربُ النبيذ ويسكرُ بها النبيذ.

نسيتَ جسدك، فيما الماء تمنّى، يوم رآها تستحمّ، لو كان هو جسداً،

واستمرّيت، في حالة شمٍّ، ولم تنتمِ إلى جنائنِ الزهر التي دخلَتْ في حزب النساء.

وبعد، تأتي، بقلمك، كالصوت والسوط معاً، تضرب... كأنّك جبهةُ نضال، أو نضال لا ينتهي.

غفوتُنا لذيذة، يا رجل، ماذا تريد منّا؟ ألم تتعب؟

وتجيبني:

- لن أتعبَ قبل أن أعلِّمَ العصافير كيف تتشاجرُ مع الأقفاص، وكيف تخرج من سجون لا جدران لها.

- لن أتعبَ قبل أن أرى وطني وطنَ الحرية والحق والقيم، لا وطن الصراخ والظواهر الصوتية، وطنَ الأسئلة القلقة، لا وطن الأجوبة الجاهزة.

- لن أتعبَ قبل أن أعيدَ إلى المرأة صورة الجسد - السؤال، وأنفضَ عنها غبارَ الصحراء، وأفكَّ الرهنَ المرصود على نهديها، وأرسمَ، بندى الياسمين، حضورَها البنفسجي الجميل.

- لن أتعبَ قبل أن أقولَ كلمتي الأخيرة: اللّه حبٌّ، الانسان حبٌّ، الوطن حبٌّ، ولا شيء يُنقذ هذا الوطن إلاّ الحبّ.

أيها الأصدقاء

ان لمحتُمْ الليلة، راجي عشقوتي، يغادر هذه القاعة، وحيداً، صامتاً حزيناً، ذكّروه أن اسمَه راجٍ، والرجاء صورةُ اللّه، واشهدوا أمامه بما هو قائل:

لن يموتَ وطن وجوهُه تشربُ الحزن... وتشعّ،

وباللّه عليكم،

لا تزعجوه بالكثير من الأسئلة، ربما هو ينظم قصيدةً جديدة، سيتلوها علينا، بعد سنة، سنتين، وليس أكثر تحت عنوان: قام... حقّاً قام.

# أيّها الأصدقاء،
# من القلب إلى القلب
# أسماء... وكلمات




ISBN 9953-418-98-5

